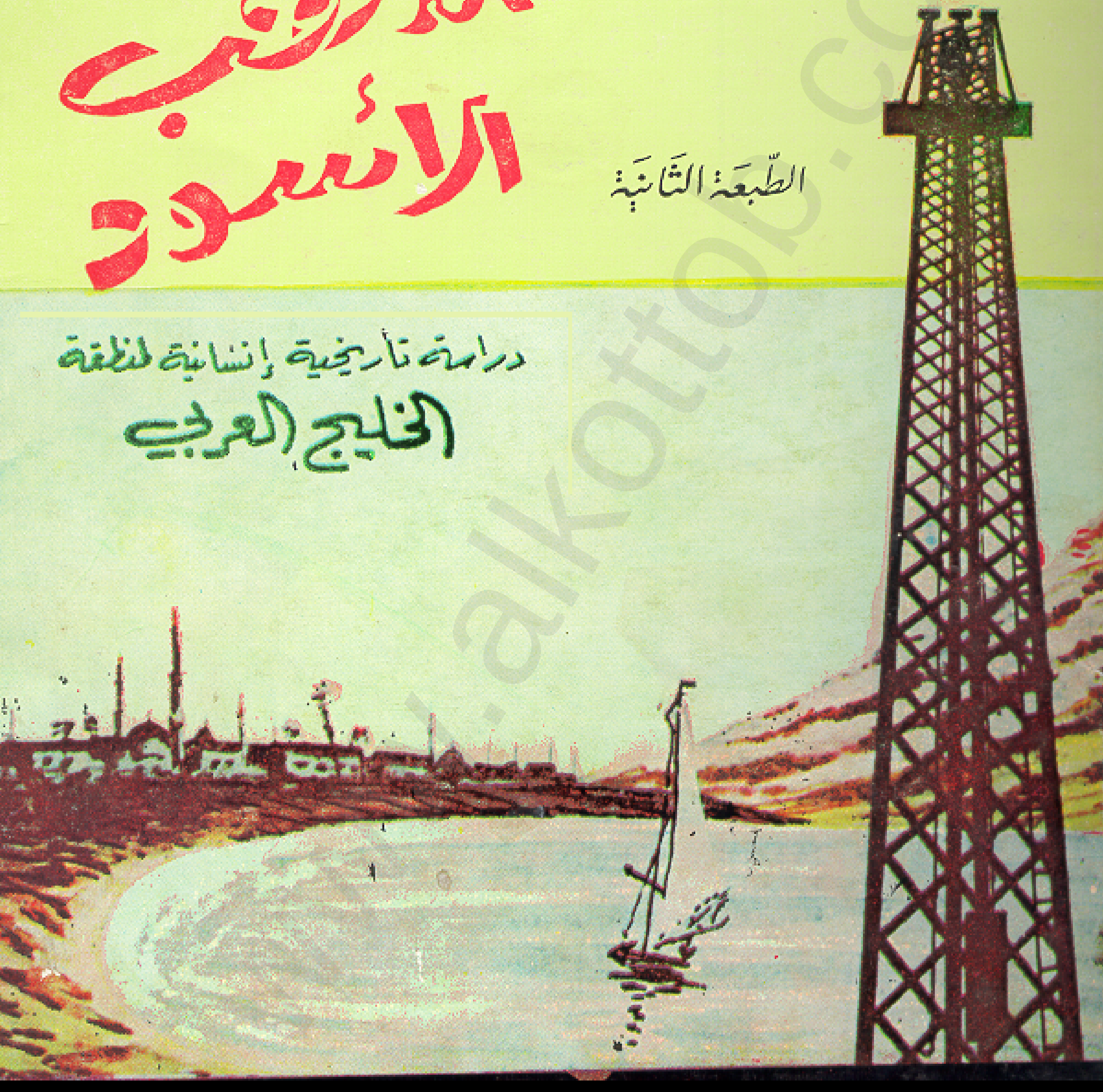
محمد سعيد المسلم

ساحل الذهب الأسود

الطبعة الثانية

دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة

الخليج العربي



محمد سعيد المسلم

ساحل الذهب الأسود

دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي

الطبعة الثانية

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب تاريخاً لمدينة القطيف فحسب، وإنما هو تاريخ للقطيف بمفهومها التاريخي القديم، الذي يشمل منطقة الخليج العربي كلها، بما فيها المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، تلك المنطقة التي اشتهرت منذ القدم بمصائد اللؤلؤ الطبيعي وتصدير التوابل والعطور إلى أنحاء العالم، وكانت بحكم موقعها الاستراتيجي همزة وصل بين الشرق والغرب.

وقد لعبت هذه المنطقة دوراً خطيراً في التاريخ، فانبثقت منها حضارة الفينيقيين والجرهائيين، وكانت في التاريخ الاسلامي معقلاً للثورات التي أقضت مضاجع الخلافة الأموية والعباسية.

وهي اليوم مطمح أنظار العالم، لأنها «خزان البترول العالمي»، الذي يحوي أضخم احتياطي بترولي على سطح الكرة الأرضية، كما قرر الخبراء، فهي على حق أن تتخذ لها هذا الاسم الجديد «ساحل الذهب الأسود».

الى مسقط رأسي ..
الى ذلك البلد العربي المجهول ..
أقدم هذه الصفحات وفاء لتربته
التي أنشأتني .

محمد سعيد المسلم

هذا الكتاب . . .

بقلم الاديب الكبير حمد الجاسر

عضو المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد

كتابة التاريخ ليست بالأمر اليسير ، اذا قصد بها ان ترسم صورة واضحة المعالم ، صادقة التعبير ، هذا بالنسبة لما تتوفر مصادره التاريخية ، وتبرز معالمه الاثرية ، بحيث تصبح مهمة المؤرخ محصورة بتدوين الحقائق بعد استخلاصها ، وايضاح معالم الماضي على ضوء تلك الحقائق .

وهذا ما حملني على (الاستغراب) حينما اخبرني احد الاخوان بأن الاستاذ محمد سعيد المسلم يقوم بطبع كتاب الفه عن تاريخ الجزء الشرقي من بلادنا — المعروف الآن باسم (المنطقة الشرقية) وقديماً باسم (الخط) الذي هو جزء من اقليم البحرين — وهذا الاستغراب مبعثه الاول الاشفاق على شاب اديب عرفته شاعراً رقيق الشعور والاحساس ، ولم اعرفه باحثاً مؤرخاً جلداً على قضاء الساعات — او الايام والليالي — للعثور على نص تاريخي ، في كتاب يبلغ مئات الصفحات ، مخطوطاً او مطبوعــاً . حقاً لقد اشفقت على هذا الشاعر

الصديق من تصديه للكتابة عن تأريخ هذا الجزء الحبيب من بلادنا وقلت في نفسي : أترى يستطيع الوصول الى غاية وهو يسير في بيداء لا يبصر السائر فيها لطريقه صوى ولا مناراً ؟ ؟ .

لقد حاول السير في هذه المجاهل - قبل الاستاذ محمد سعيد - كثيرون فحملهم الخوف من عدم القدرة على عبورها على الرجوع من اثناء الطريق .

جهد نافع

ولكن الاستاذ المسلم كان قد اتخذ للأمر اهميته ، فأمضى سنوات تقارب العشر ، باحثاً ومنقباً ، حيث مجال البحث والتنقيب خصب - حتى خرج على المعنيين بمعرفة تاريخ بلادنا بسفر ممتع ، حاول ما استطاع ان يوضح به الكثير من معالم ماضي هذه البلاد ، بعد ان استصفى واستخلص من عشرات المؤلفات أسساً للبناء ، ولو لم يكن من أثر هذا الجهد النافع الذي بذله الاستاذ في ابراز مؤلفه هذا سوى ايضـــاح كثير من معالم تاريخ هذه البلاد لمن أراد السير على منواله لكفى بذلك فضلا ، غير ان الاستاذ المسلم لم يقف جهده عند هذا الحد بل تجاوزه الى ما هو أهم وأعم نفعاً ، فقد جمع معلومات قيمة ليس من السهل اليسير جمعها ، ولم يقف ذلك الجهد عند حد الجمـــع ، بل تجاوزه الى التنسيق والترتيب ومحاولة ايجاد صورة متكاملة الاجزاء لتاريخ هذه البلاد ، فبرز مؤلفاً يضم من المعلومات التاريخية المنسقة المرتبة ما لا يضمه غيره مما أُلف في موضوعه على قلة ما ألف ، ومـــا على هؤلاء الذين لا ينظرون الى اعمال العاملين الا من زاوية واحدة - هي زاوية استقلال الجهد - الا ان يحاولوا كما حاول الاستاذ المؤلف وان يجربوا كتجربته ، فان فعلوا فسيضفون عليه واسع العذر ويسدونه

جزيل الشكر .

من الرواد الاول

اقول هذا ولي رأي لا يتفق مع رأي الاستاذ في بعض المواضع – ولكن ليس معنى هذا انني على حق وهو على نقيض ذلك ، بل قد يكون الصواب العكس، انا أرى ان كثيراً من الاعلام التاريخية اعتورها التحريف والتصحيف، والمؤلف الفاضل قد بذل من جهده ما جعله يطمئن الى ما وصل اليه من التأكد من ايرادها صحيحة ، والاستاذ الفاضل يرى ان عهد القرامطة انتهى قبل قيام (الامراء العيونيين) للاستيلاء على البـــلاد ويؤيد رأيه منطقية وغيره يخالفه الرأي بأدلة تاريخية – وأشياء اخرى قد يخالف القارىء فيها المؤلف ولكن الوصول الى الحقيقة في كل ذلك يتوقف على انجلاء معالم تاريخ هذه البلاد انجلاء اكثر وضوحاً وذلك لا يكون الا بعد ان يصبح طريق الكتابة في النواحي التاريخية معبداً ، أما وهو الآن لم يتجاوز عهد « الريادة » ومؤلفنا الفاضل يُعد من رواده الاول فلنتقبل هذا الجهد المشكور ولنقابله بما نستطيع من شكر وتقدير .

ان الاستاذ محمد سعيد المسلم بتأليفه هذا الكتاب « ساحل الذهب الاسود » والشيخ محمد بن عبد القادر مؤلف كتاب « تاريخ الاحساء » والاستاذ احمد السباعي مؤلف كتاب « تاريخ مكة » والاستاذ محمد بن احمد عيسى العقيلي مؤلف كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » قد وضعوا لبنات قوية في بناء الثقافة التاريخية لهذه البـــلاد وكل واحد منهم جدير بأن يجد من العون والمؤازرة ما يكون باعثاً لاستكمال ذلك البناء . وقد قرأنا في صحفنا وسمعنـــا عن انشاء مجلس للعلوم والآداب في « وزارة المعارف » وانه قد أعد جوائز ومكافآت للباحثين من العلماء والادباء ، وهؤلاء الاساتذة المؤلفون من أجدر من يجد من

ذلك الجاسر بل من كل مدرك لفضل العلم وعارف قدره ، مساندة وتشجيعاً ، يبعثان في النفوس من القوة والاندفاع لمواصلة البحوث التاريخية والأدبية مـــا يكمل ما نشعر به من نقص في هذا السبيل .

حمد الجاسر

فالوغا (لبنان) ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢ هـ
٩ / ٩ / ١٩٦٢ م

توطئة

لا أعرف بلداً عربياً اهمل ذكره حتى كاد ان ينسى مثلما منيت به القطيف، ذلك البلد العربي المجهول العريق في القدم الذي وعى له التاريخ ذكريات حية تزخر بالامجاد، واحتفظ له بين طيات صفحاته بسطور ذهبية كتبت بمداد من نور.

ولعل القليل من يعرف ان اهل هذه المنطقة القدامى هم اول من اخترع الحرف، وانهم المعلمون الاوائل للعالم اجمع فلقد كانت هذه المنطقة مثوى حضارات قديمة .. هي من اقدم الحضارات التي عرفها التاريخ، فانبثقت منها حضارة الساميين التي درجت الى وادي الرافدين ثم الى لبنان، حيث استقرت على شواطىء البحر المتوسط، وشملت فيما شملت موانىء هذا البحر من الشاطىء الافريقي وجزره المتناثرة، حتى شارفت مضيق طارق .

وانا لا اباهي بما في هذا البلد من حضارة او مدنية في حاضره الراهن، فهو منها صفر على اليسار، فقد شاءت له ظروفه ان يظل منعزلاً يعاني واقعه الخاص، ويقف على مدرجة القرن العشرين محتفظاً بجلال القدم وروعة الماضي وليس له سواهما من رصيد، ويتقلص اسمه شيئاً .. فشيئاً حتى لا يشمل الا تلك الواحة الممتدة على الساحل من خليج كيبوس .

ولقد حزّ في نفسي ان أجد كثيراً من الناس من يجهل القطيف، حتى ينتهي

به الأمر الى الجهل بموقعها الجغرافي ، ودورها التاريخي حتى بين الطبقة المثقفة ، ولشد ما آلمني ايضاً ان أرى بعض من كتبوا عن الخليـج العربي كالمسيو جان جان بيربي ان لا يشير اليها ، ولو اشارة عابرة ، وهي كانت أزهى مدينة في الخليج ، وان أجد مؤلف منجد العلوم يجهلها جهلا تاماً ، فيضبط لفظهـــا (القُطيف) مصغرة ثم يمر على ذكرها مروراً عابراً ، ويقتصر على القول بانها حقل من حقول البترول في المملكة العربية السعودية ، حتى كأنها بقعة من البقاع المجهولة في الربع الخالي ، او كأنها موضع من مواضع البادية واقع في تيه الصحراء .

ولو لم يكشف المنقبون عن تلك الثروة الهائلة التي تكمن في اراضيها ، والتي تتدفق اليوم بشكل يثير دهشة الاوساط الاقتصادية .. لظلت مجهولة الى الابد ، والانكى من ذلك ان يكون اسم هذا البلد العائم اليوم على بحر من الذهب الاسود عرضة للتحريف ، حتى عند من يعنيهم امر هذه الثروة ، واذا كنا نعذر بعض الاجانب الذين عنوا بامرها مؤخراً ، فتردد اسمها محرفاً في السنتهم وكتاباتهم ، فاننا لا نعذر بعض الكتاب من اخواننا العرب بان يقعوا في مثل هذا الخطأ ، فيحرفون اسمها الى (قاطف) .

ولعل من مبررات ذلك الجهل .. ان هذا البلد لم يكتب له تاريخ ، ولم يتناوله كاتب على حدة وبصورة مستقلة ، فكان اسمه يمر في كتب التاريخ عرضاً في مجرى الاحداث ، واذا كنا نبرر بعض الشيء جهل الاوساط الثقافية .. فاننا ننحي باللائمة اكثر على علمائه وادبائه الذين تقاعسوا عن واجبهم ، فلم يكتبوا شيئاً وفاء لتربة هذا الوطن .

وعلى ضوء ما اسلفت ولنفس الاسباب التي ذكرتها .. رأيت من واجبي ان ابذل قصارى جهدي – وهو جهد المقصر – فاسلك طريق الشوك ، واعني انني لم أجد الطريق ممهداً امامي مفروشاً بالورود ، فأبني على أسس ما شيدها احد

سبقني ، بل اخذت على نفسي بان أبذل ما في وسعي ، وان اقوم بجمع المعلومات طيلة اقامتي في بغداد التي استمرت قرابة عشر سنوات ارتاد فيها مختلف المكاتب وعلى الاخص مكتبة الآثار والمكتبة العامة ، وقد تيسر لي ان أقف فيها على مصادر تاريخية نادرة .

ولقد عانيت الكثير من اضطراب الروايات وتناقضها ، وارتباك تواريخ الاحداث سيما في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ، فبذلت جهداً في تحقيقها ، وحاولت ربطها ما امكن ، وقد استخلصت صورة حية متساوقة لتاريخ هذا الاقليم ، مستبعداً ذكر الارقام والنصوص والمصادر في صلب الكتاب وحواشيه ـ في الإغلب ـ لكثرتها ، مكتفياً بذكر ثبت للمصادر والمراجع في آخر الكتاب.

ومن الملاحظ ان التاريخ السياسي والادبي جاء على نحو من الشمول للضفة الغربية من الخليج العربي المعروفة قديماً ببلاد البحرين . ايام كانت وحدة اقليمية ، فما كان في وسعنا ان نستخلص تاريخ كل مدينة على حدة ، الا في الفترة القريبة التي تجزأ فيها ذلك الاقليم ، وكان الاوفق ايضاً ان يكون هذا الكتاب تأريخاً شاملاً لمناطقه الثلاث : البحرين ، الاحساء ، القطيف ، لو لم تظهر كتب تعنى بتاريخ بعض مدنه ، كجزيرة البحرين ومدينة الاحساء .. في نفس الوقت الذي تهمل فيه مدينة القطيف فلم تستأثر بعناية أحد المؤرخين حتى كتابة هذه السطور .

ولهذا الكتاب قصة لا بد ان اتناولها بالحديث ، لقد تفتحت اكمامه اول ما تفتحت عن فصل نشرته في احدى الجرائد العراقية في بغداد سنة ١٩٥٢ تناولت فيه بايجاز تأريخ هذا البلد ، وقد دفعني الى كتابته احد اخواننا من حي (القطافة) [١] من لواء المنتفق ، وهو اديب وشاعر تعرفت به صدفة في مقهى

---

(١) هذا الحي يتكون من عشرين الف نسمة نزحوا قديماً من القطيف .

الزهاوي في بغداد ، ثم ما لبثت ان ترعرعت لدي فكرة تأليف هذا الكتاب ، فقمت بجمع مواده طيلة اقامتي في بغداد ، وحين قدّر لي ان اعود الى وطني اتيح لي الفراغ الذي لم أكن احلم به ،ففكرت في استغلال الوقت الذي يجري في حياة روتينية مملّة ، وفجـــأة خطرت لي فكرة مشروع الكتاب ، ففتشت درج مكتبي ، واخرجت كراسات المواد التي جمعتها ، واعتكفت في منزلي اقتل اوقات الفراغ في الكتابة زهاء عامين ، وكانت ساعات مخاض قاسية ، خرج بعدها هذا المولود الذي تراه بين يديك الآن .

وهذا الكتاب نفسه يمكن ان يكون تأريخاً لما يسمى الآن بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، اذ لم يوجد سابقاً في هذه المنطقة غير القطيف وشقيقتها الاحساء ، واذا استثنينا الاحساء فليس فيها قبل اكتشاف الزيت غير القطيف وضواحيها ، اي منذ ربع قرن تقريباً .

وحسبي في هـــذا الكتاب انني بذلت جهدي ، ووطدت الأسس لمن يأتي بعدي ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

١٨ اغسطس ١٩٦٠ — المؤلف

١

القطيف

نظرة عامة . اسماؤها . تكوينها الجيلوجي . احوالها الطبيعية . موقعها الجغرافي . مناخها . واحتها

١ ـــ نظرة عامة

اذا نظرت ملياً الى خارطة شبه الجزيرة العربية الطبيعية بدا لك لاول وهلة بقعة كبيرة من اللون الاحمر تتربع في وسطها ، وهي عبارة عن فراغ صحراوي رملي يقع في اتجاه الجنوب الى الشرق ، ويمتد لسانه الى الشمال حيث يكون فواصل طبيعية بين اقليمي نجد والبحرين ، اما تلك المساحة فقد اطلقوا عليها اسم «الربع الخالي» التي يؤلف لسانها الضارب الى الشمال كلا من صحراء الدهناء والصمان ، وهما عبارة عن نفوذ رملية تتخللها الهضبات والتلال، يقطعها المسافر في اتجاه نجد سابقاً في مدة ثلاثة ايام بلياليهـــا ، فـكان يدخر الماء ويقتصد في استعماله ، وكأنه بعمله هذا يغالب الطبيعة التي قست على هذه البقعة فحرمتهامن نعمة الحياة والاحياء ، ولكم حكيت الاساطير عن أناس تاهوا في فيافيها فهلكوا

وماتوا ، وعن آخرين طلبوا الماء فبيع لهم باضعاف وزنه ذهباً وفضة ، وما زال في واحة القطيف بستان معروف باعه صاحبه لقاء شربة من ماء .

وتنحدر مرتفعات لسان هذا التيه من الربع الخالي شيئاً فشيئاً في اتجاه الشرق حيث تقع واحة الاحساء الرابضة في قلب الصحراء على بعد ١٤٠ كم عن الساحل ، ثم تأخذ تلال الصحراء في الانحدار ، وتتلاشى هضباتها عند الشاطىء الزمردي حيث تغتسل رمالها الصفراء بمياه الخليج الخضراء الدافئة ، وعلى طول هذا الساحل الأجرد الذي يمتد مسافة ٣٥٠ ميلا حتى حدود الكويت تستقر في زاوية منه واحة القطيف الخضراء على بعد ٥٠ درجة من خطوط الطول تستقبل المصحر المكدود الذي تصادى نداء الطبيعة في اذنيه قائلا : ان تيه الصحراء وراءك ، وغمر البحر امامك ، وقد أمدتك العناية الالهية بقطعة من الفردوس لتتفيأ ظلها الظليل ، وتأكل من ثمرها الجني ، وتشرب من ينابيعها الثره ، لتشكر ربا انزلها عليك من السماء .

تلك الرقعة الخضراء الرابضة على الساحل الغربي من الخليج العربي بنخيلها الباسقة ، والتي تتحدى الطبيعة منذ آلاف السنين .. هي واحة القطيف ، تحتضن المدينة التاريخية التي شهدت امماً كثيرة ، ووعت احداثاً جمة ، وانبثقت على صعيدها حضارات شتى .

٢ ــ اسماؤها

والقطيف بفتح اوله وكسر ثانيه « فعيل » مشتق من القطف ، وهو القطع من العنب ونحوه ، كما يضبطها ياقوت الحموي في معجمه ، ولعل اسمها في الاصل محرف عن كيتوس *Cateus* الاسم القديم الذي ذكره مؤرخو اليونان لهذه المنطقة ، والذي يشير بكل وضوح الى اسمها الحالي .

ويطلق على هذه المنطقة التي تمتد من البصرة الى عمان اسماء كثيرة، اشهرها: الخط ، وهجر، والبحرين، وتشمل هذه الاسماء كلا من شقيقتها الاحساء وجزيرة اوال ، لاشتراكها معها في تاريخ سياسي واحد ، وان كانت هذه الاسماء تطلق – الآن – على منطقة معينة من تلك المناطق الثلاث ، فتستأثر جزيرة اوال باسم البحرين [١] ، وتختص الاحساء باسم هجر ، ويطلق اسم الخط على القطيف .

ويرجع بعضهم اشتقاق كلمة « الخط » الى لفظة كتني *Chateni* وهو اسم لقبيلة كانت تسكن هذه المنطقة في قديم الزمان [٢] ، وقد عرفت ايضاً مدينة بهذا الاسم بناها اردشير بن بابك (٢٢٦ – ٢٤١ ب م) في هذه المنطقة واشتهرت به حتى بعد ظهور الاسلام ، على ان كلمة الخط اسم يشمل الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية الذي يبتدىء من البصرة وينتهي الى عُمان ، فهو اسم يطلق على هذه المنطقة كلها تقريباً [٣] .

ويذكر الدكتور عبد الوهاب عزام ان هذا الساحل كان يسمى القطيف قبل ان يغلب عليه اسم الخط ، ويذكر صاحب التعريفات الشافية ان الخليج العربي كان يسمى بحر القطيف ، اما شبرنكر فينص على انه كان يسمى خليج القطيف قبل ان يعرف باي اسم آخر [٤] ، وعلى هذا التحديد يمكننا ان نقول بان هذه البقاع الواقعة على الضفة الغربية من الخليج كانت كلها من مناطق هذه المدينة .

---

(١) كانت المناطق الثلاث تعرف في التاريخ الاسلامي ببلاد البحرين ، ثم استقلت بهذا الاسم مؤخراً جزيرة أوال ، وهي عبارة عن ارخبيل يضم خمس جزر : ١ – اوال وفيها « المنامة » العاصمة ، ٢ – المحرق مقر الاسرة الحاكمة ، ٣ – ستره وفيها مصافي البترول ، ٤ – جداي، ٥ – نعسان، ومساحتها اجمع تقدر بـ ٥٥١ كم مربعاً ، وتبعد عن ساحل الظهران بنحو ٣٠ كم.

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ١٤٠ .

(٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٤٩ .

(٤) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٤٠ عن *Enoy vol 2. p 821*

٣ ـ تكوينها الجيلوجي

قد يكون اعرب من الخيال لو سمعت متحدثاً يقول : بان هذه المنطقة وما جاورها من البقاع والصحاري كانت فيما مضى من الزمن مغمورة بالماء ، وان ارضها وصحاريها القاحلة شهدت حيتان البحر تسرح وتمرح بين رمالها وصخورها ، وانها كانت منبتاً لمحار اللؤلؤ ، وان سماءها التي تتصادى فيها اغاني الرعاة في الوقت الحاضر كانت قد وعت صيحات النوتي ومواويل البحارة وهم يضربون عرض البحر المتلاطم ويغالبون بسفنهم الصغيرة امواجه الغاضبة .. قد يكون اغرب من الخيال لو سمعت هذا ، ولكن الجيلوجيين يؤكدون هذه الحقيقة ، فيذهبون الى ان هذه المنطقة وما جاورها من البقاع كانت فيما مضى من الزمن تغمرها مياه المحيط حتى اعالي نجد ، ويذهبون الى ابعد من ذلك في استنتاجاتهم فيقررون بان هذه المواقع التي عليها الآن مدينة حائل والدوادمي والقاعية كانت في ذلك الوقت على ساحل البحر القديم ، وان المحيط الهندي او فروعه وهو الخليج العربي ، كان متصلا بالربع الخالي ، وان الهضبات التي تقع شرقي الرياض كانت جزيرة في وسط ذلك البحر .

ويعززون آرائهم بأدلة تستند على براهين علمية لما وجدوه في ارضها من رواسب بحرية مما لا تجعل سبيلا الى الشك ، ويؤيد رأيهم هذا وجود الزيت في اراضيها (١) كما يؤيد رأيهم ما اكتشفه برترام توماس (٢) في الربع الخالي اذ وجد

---

(١) اختلف العلماء في سبب نشأة الزيت ، فبعضهم يرى انه نتيجة لاتحـــاد عنصرين هما الايدروجين والكربون ، بينما يرى فريق آخر انه ناشىء من تحلل النبات والحيوان ، والرأي الاخير ارجح لوجود الزيت في اكثر المناطق التي اختلفت عليها التقلبات الجيلوجية .

(٢) مستشرق انجليزي قام لاول مرة باختراق الربع الخالي في شباط سنة ١٩٣٩ م فقطعه في ٥٨ يوماً وهو اول اوربي قام باجتيازه .

بحيرة من الماء المالح يبلغ طولها سبعة اميال وبقايا حيوانات مبعثرة هناك ، وقد تأكد لدى العلماء ان تلك البحيرة كانت فيما مضى من متفرعات الخليج العربي ، وان هذه الارضين التي تكثر فيها رواسب قيعان البحر قد كانت في سالف عهدها من المناطق البحرية التي تغمرها مياه المحيط .

وتتألف ثلثا ارض هذه المنطقة تقريباً من طبقات رسوبية ،تحولت على مرور الزمن الى طبقات من الصخور بعضها فوق بعض ، وتتكون هذه الطبقات من احجار طينية او رملية او كلسية جيرية ، وتكثر هذه الصخور في الاراضي التي وجد فيها البترول .

وعلى العموم نجد اكثر المناطق الساحلية حتى منطقة الواحة ذاتها مغطاة بطبقة رملية في الغالب ، بحيث لا تزيد قشرة تربتها في العمق عن بضعة امتار ثم تظهر الطبقات الصخرية ، التي أشبه شيء باسفنجة تختزن الماء ، فتمد الآبار والعيون من ينابيعها ، أما الزيت فيكمن في مسام طبقة رملية صخرية على عمق يتراوح بين ٥٠٠٠ الى ٩٠٠٠ قدم .

٤ ـ احوالها الطبيعية

وتلتقي على صعيد هذه المنطقة المظاهر الطبيعية الثلاثة : البحر والجبل والصحراء ، فمن الشرق والجنوب تكتنفها مياه الخليج ، ومن الغرب والشمال تحتضنها رمال الصحراء بهضباتها الرملية ، ومن الجنوب على مقربة من خليج قطر او خليج جرّا ـ كما يسمى قديماً ـ تنتثر قمم جبل الظهران على بعد ٣٦ كم وعلى ارتفاع ما يقرب من ٢٩٨ قدماً عن سطح البحر .

وتتكون صحاريها في الاغلب من تلال رملية صفراء، يبلغ ارتفاعها في بعض

الاحيان عشرات الامتار وتتخذ اشكالها في الاكثر شكل حذاء الفرس ، وهي غير ثابتة مستقرة ، اذ نراها تنتقل من محل الى آخر متجهة نحو الجنوب بتأثير الرياح الشمالية العاتية ، واحياناً تزحف بالقرب من الواحة فتغطي مساحة كبيرة من بساتينها، حتى لا يُرى منها إلا كرانيف النخل، ولكنها ما تلبث ان تنحسر في سنوات قليلة لتنتقل الى جهات اخرى ميممة شطر الجنوب، واذا هطل الغيث اكتست سهولها بحلل خضر ، فتنتجعها البداة لرعي ابلهم ومواشيهم ، غير انها سرعان ما تجف حين تهب الرياح الموسمية الحارة ، فتحيلها الى قاع صفصف .

أما جبل الظهران فهو يتكون من هضبات تتألف في الاغلب من صخور متفتتة بتأثير العوامل الجيلوجية ، الامر الذي استدل به على وجود البترول ، وهناك هضبتان اطلق على الاولى اسم جبل المذرى الشمالي والاخرى جبل المذرى الجنوبي ، وتوحي اشكالها المخروطية المستديرة بانهما من صنع الانسان كما دلت عليه المكتشفات حديثاً اذ وجد فيهما مقابر قديمة يرجع بناؤها الى عهود سحيقة .

واراضي الواحة في منتهى الخصوبة تتكون من تربة طينية او رملية، وهي صالحة لزراعة جميع الخضار والفاكهة لو اتخذت في زراعتها الطرق الفنية وتنظيم الري ، وتقوم قراها المنتثرة فيها على مواضع جبلية بارزة على سطح الارض ، ولعله روعي ذلك عند تأسيسها لتكون بعيدة عن رطوبة اراضي الواحة .

ويبلغ طول سواحلها التي تمتد من قطر الى رأس مشعاب ٣٥٠ ميلاً تقريباً ، وتتألف اغلب هذه السواحل من شواطىء رملية متعرجة ، تكثر فيها الشعاب المرجانية ، وتخترقها بعض الخلجان ، وفيها ثلاثة اخوار صالحة للملاحة ، ففي مبتدأ خط الشاطىء من الجنوب عند حدود قطر يقع خليج جرّا *GERRA* وهو كبير تقع في مدخله جزائر البحرين ، وفيه مرفـــأ عقير ، وهو قليل العمق ، تكثر فيه الصخور والشعاب المرجانية ، ثم يليه خليج كيبوس *CAPEOS*

المحاذي لمدينة القطيف ، والذي تقع فيه جزيرة تاروت ، وهو الذي تردد ذكره في كتب المؤرخين اليونانيين ، وهو غير صالح لرسو السفن الكبيرة ، ثم بعده الى الشمال يقع خليج المسلمية بالقرب من الجبيل ، وهو مسدود من جهة البحر تقريباً بجزيرة ابي علي،وفي وسطه تقع جزيرة جنة وعلى مقربة منها تقع جزيرةالمسلمية، وفي الشمال ايضاً يقع خليج صغير بين منيفه ورأس التناقيب .

ويشذ عن امتداد الساحل رؤوس،لها اهميتها تكثر او تقل بالنسبة لموقعها.. اهمها رأس تنورة الواقع في الطرف الشمالي من خليج كيبوس ، وهو ممتد في داخل البحر الى مسافة تستطيع السفن التجارية الضخمة وناقلات البترول ان تقرب منه، ثم رأس السفانية ورأس مشعاب، ثم رأس الزور ويليه رأس القليعة عند حدود الكويت وكلاهما يقعان في المنطقة المحايدة .

٥ ـ موقعها الجغرافي

وتقع مدينة القطيف على الساحل الشرقي من شبه جزيرة العرب على بعد٥٠° (درجة) من خطوط الطول شرقاً ، و٢٦° (درجة) و ٣٢″ (دقيقة) من خطوط العرض شمالاً ، وكان يطلق على هذه المدينة اسم الخط ايضاً، واليها نسب الشاعر جعفر لخطي ، كما ورد تحديدها في شعر علي بن المقرب الاحسائي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ.

والخط من صفواء حازوها فما ابقوا بها شبراً الى الظهران

وكانت مدينةالقطيف القديمة تبعد عن الساحل مسافةميل كما يذكرالمسعودي، وقد ذكرها ياقوت في معجمه فوصفها بانها مدينة بالبحرين .. هي اليوم قصبتها واعظم مدنها ، ووصفها ابن بطوطة في رحلته .. بانها مدينة حسنة ذات نخل

كثير ، وقد كانت عاصمة اقليم البحرين في ادوار مختلفة ، ففي القرن الاول والثالث والتاسع الهجري كانت عاصمته وازهى مدنه ، واليها كانت تنسب الرماح الخطية الشهيرة ، وقد تردد اسمها كثيراً في الشعر العربي . قال عمر بن اسوي :

وتركن عنترة يقاتل بعدها اهل القطيف قتال خيل ينقع

وقال حمل بن المعنى العبدي :

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها وما خير نصح بعد لم يتقبل

فقد كان في اهل القطيف فوارس حماة اذا ما الحرب شدت بيدبل

٦ - مناخها

وتتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ٤٠° (درجة) الى ١١٠° (درجة) ف اي ما بين ٥° الى ٤٤° سنتفراد تقريباً ، وتبدأ الحرارة في الارتفاع ابتداء من ابريل «نيسان» حتى تصل نهايتها في شهري يوليو واغسطس «تموز وآب» وتهبط ابتداء من سبتمبر « ايلول » ، وموسم البرد فيها ما بين نوفمبر ومارس « تشرين الثاني – آذار » .

وترتفع ارضها عن سطح البحر بضعة اقدام، ويتراوح الجزر والمد على سواحلها مرتين في اليوم، فاذا كان الجزر انحسر الماء عن شواطئها لمسافة بعيدة، واستعملت المواصلات البرية بينها وبين جزيرة تاروت ، ويبلغ المد مداه مرتين في الشهر في أوله وفي منتصفه حتى يحاذي اراضيها الساحلية .

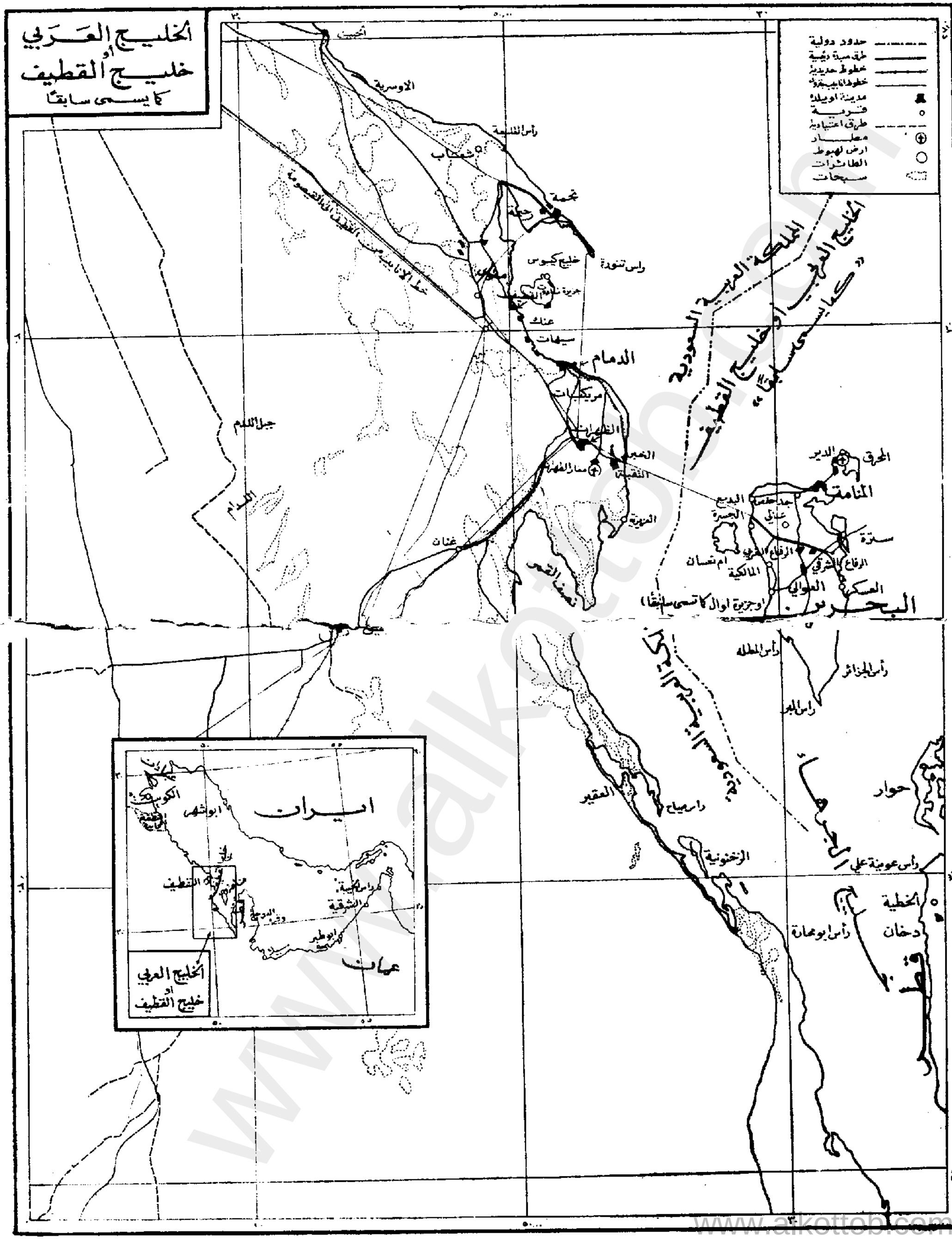
لذلك كان هواؤها في الغالب مشبعاً بالرطوبة ، وتبلغ نسبة الرطوبة في فصل الصيف احياناً ٩٠٪ لانخفاضها ، ولوقوعها على الساحل مباشرة ،وتكثر الرطوبة حين يكون تيار الهواء وافداً من الشرق او الجنوب ، لكون البحر - كما سبق ان ذكرنا - يحيط هذه المنطقة من الجهة الشرقية والجنوبية .

اما اذا كان مجرى الهواء من الغرب او الشمال فالطقس فيها يصبح جافاً ، لوفوده من الصحراء ، والغريب من أمر هذه المنطقة .. ان الحرارة ترتفع في فصل الشتاء بعض الاحيان بواسطة الرطوبة حتى تضطر الى استعمال الملابس الصيفية ، وذلك حين تكثر الرطوبة ويهب الهواء البحري ، وهو ما اصطلحوا على تسميته « بالكوس » .

٧ - واحتها

وتحيط قصبتها واحة عظيمة من اشجار النخيل وانواع الفاكهة [١] تبلغ مساحتها من الشمال الى الجنوب تقريباً ١٨ ميلا ومن الشرق الى الغرب ٣أميال، ويظهر انها كانت فيما مضى من الزمن اكثر سعة وامتداداً ، فقد روى ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ. في كتابه تقويم البلد ان نقلاعن بعضهم بانها اكبر من الاحساء، ويرجع السبب - كما يظهر - في تقلص مساحتها الى زحف رمال الصحراء على بساتينها ومزروعاتها من جهة ، والى اضطراب حبل الأمن وارتباك الاوضاع السياسية في الايام الغابرة من جهة اخرى ، أي قبل استيلاء الحكم السعودي الحالي عليها .

(١) سيأتي الحديث عنها وعن انتاجها الزراعي بصورة مفصلة في الفصل الخامس .


الخليج العربي
أو
خليج القطيف
كما يسمى سابقاً
حدود دولية
طرق معبدة رئيسية
خطوط حديدية
خطوط انابيب نفط
مدينة او بلدة
قرية
طرق اعتيادية
مطار
ارض لهبوط الطائرات
سبخات
المملكة العربية السعودية
الخليج العربي أو خليج القطيف كما يسمى سابقاً
الاوسرية
رأس القليعة
تحمة
رحيمة
خليج كيوس
رأس تنورة
عنك
سيهات
الدمام
الظهران
الخبر
النقيبة
العزيزية
غنان
جبل اللدم
الحرق
الدير
المنامة
البديع
الجسرة
سترة
الرفاع الغربي
الرفاع الشرقي
ام نعسان
المالكية
العوالي
العسكر
البحرين
(وجزيرة اوال كما تسمى سابقاً)
رأس المطلة
رأس الجزائر
رأس البر
حوار
العقير
رأس صباح
الزخنونية
رأس عوينة علي
الخطية
دخان
رأس ابو عمارة
قطر
ايران
ابوشهر
الكويت
الشارقة
ابوظبي
عمان
الخليج العربي
أو
خليج القطيف

ويحدثني المرحوم والدي [1] انهم كانوا في ايام شبابهم يقفون قرب النزهة [2] ويرون البر ، ويدل على تقلص مساحتها ايضاً ما نجده من اطلال وبقايا احجار مبعثرة هنا وهناك في تلك الصحاري مما يدل على انها بقايا قرى كانت عامرة ، وكذلك وجود العيون البرية على مسافات شاسعة من الواحة ، ويقال ان تلك المسافة من الصحاري التي تفصل الاحساء عن القطيف كانت كلها آهلة بالسكان وبالقرى والواحات ، بل يذهبون الى أبعد من ذلك فيقولون ان الماشية السائبة كانت تنتقل من مدينة القطيف بين القرى والواحات حتى تصل الى مدينة الاحساء.

وهذا القول اذا حملناه على المبالغة فمما لا شك فيه انه يدل اجمالا على ان هذه المساحة كانت آهلة بالسكان والمزروعات في الزمن الغابر ، وان جفاف الينابيع التي تسقي سيحاً بالاضافة الى الاسباب التي ذكرناها آنفاً يرجع اليها السبب في تسرب الخراب والدمار الى هذه المناطق .

ومما ينهض دليلا على صحة هذا القول ان رجال شركة الزيت العربية الامريكية عثروا اخيراً على صهاريج متصلة بعضها ببعض بانفاق عليها فتحات في مواضع متعددة لاستقاء الماء منها .. عثروا عليها في القطيف والاحساء والفلج واواسط نجد واماكن اخرى تعد اليوم من المناطق الصحراوية ، كما وجدت على مقربة منها آثار قرى كانت عامرة ومزارع واسعة ، مما يدل على انها كانت غير ما كانت عليه الآن ، وانها كانت عامرة آهلة بالسكان .

ويحدثني السير مالكم كوينت *Malcom Quint* [3] ان شركة ارامكو

---

(١) هو موسى المسلم احد اعيان القطيف ولد سنة ١٣٠٠ هـ. وتوفي سنة ١٣٦٩ هـ.

(٢) النزهة بستان بالقطيف يقع قريباً من حاضرتها « القلعة » .

(٣) اميركي اخصائي في العلوم الاجتماعية ، قطن العراق سنتين ، وتعرف على رجال العلم والادب فيها ، وبعد الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ نزح عنها الى المملكة العربية السعودية حيث التحق بشركة ارامكو .

عثرت على آثار مدفونة خلال الحفريات التي قامت بها اثناء مد خطوط انابيب البترول فكلما حفروا بقعة في هذه المنطقة وجدوا خرائب مدفونة تحت الرمال، واحياناً تكون بارزة على سطح الارض ، كما يشاهد قطع نقود وبقايا اوانٍ فخارية قديمة منتثرة هناك ، يجدها المتجول دون عناء . ويضيف قائلا : ان هذه المساحات الواقعة جنوبي الخبر وبين الدمام والخبر، وكذلك الاراضي الصحراوية الواقعة غربي واحة القطيف وشماليها حتى مدينة الجبيل .. تكاد تمتلىء بالآثار التاريخية ، وقد وجدت عيون كثيرة تربو على ١٥٠ عيناً نظائر العيون التي في الواحة انطمر اكثرها تحت الرمال ، منثورة في الصحاري المجاورة على مسافات شاسعة من واحة القطيف .

وقد دلت الآثار التي اكتشفت حديثاً في سواحل هذه المنطقة في ثاج وجاوان وتاروت ونواحي القطيف على انها كانت مهداً لشعوب عريقة في الحضارة، وحين تتاح لهذه المنطقة بعثة اثرية تقوم باعمال التنقيب سيزاح الستار من الناحية العلمية عن الوجه التاريخي القديم لهذه البلاد .

٢

مدنها القديمة والحديثة

مدنها التاريخية : بلبانا . الجرعاء . الزاره ـ مدنها الحديثة : الدمام . الخبر . الظهران . رأس تنوره . بقيق ـ مدنهـــا القديمة : القلعة . احياؤها . قراها .

١ ـ مدنها التاريخية

كانت هذه المنطقة الساحلية قبل اكتشاف الزيت ليس فيها من المدن المهمة غير القطيف وضواحيها ، وبعض القرى الصغيرة المنتثرة شمالاً وجنوباً . أما المدن القديمة التي يذكرها المؤرخون فقد اندثرت تماماً ، ولم يبق لها أثر سوى خرائب واطلال ، وإلا ذكر عابر يمر عرضاً في كتب التاريخ ، وقد ذهب الباحثون الى ان هذه المنطقة ذات تاريخ قديم ، يرجع الى آخر عهد من عهود العصر النحاسي [١].

فمن هذه المدن القديمة التاريخية مدينة بلبانا *Bilbana* او بلمانا *Bilana*

---

(١) العصر النحاسي في حدود ٣٥٠٠ سنة ق. م.

حدى مدن الجرهائيين الشهيرة ، والى الجنوب منها بالقرب من العقير كانت تقع مدينة الجرهاء *Gerra* او الجرعاء الشهيرة على بعد مئتي استاذة [1] من الساحل .

ويصفها المؤرخون اليونانيون بانها كانت في ارض سبخة ،وان سورها وابراجها كانت مبنية من صخور الملح ، وان محيطها يبلغ خمسة اميال ، ويذكرون ان هذه المدينة كانت مركزاً من المراكز التجارية الخطيرة ، وسوقاً من الاسواق المهمة في بلاد العرب ، اذ كانت بحكم موقعها الاستراتيجي ايام ازدهارها همزة وصل بين تجارة الشرق والغرب .

ويضفي هؤلاء المؤرخون صورة رائعة على هذه المدينة ، وما بلغته من شوط بعيد في المدنية والحضارة ولعلها كانت ابان ازدهارها عاصمة من اجمل عواصم هذا الاقليم ، ويذكر استرابون [2] ان اهلها يعتبرون من اغنى العرب يقتنون الرياش الفاخر ، ويتمتعون بكل اسباب الرخاء والترف ؛ ويكثرون من آنيـة الذهب والفضة والفرش الثمين،ويزينون منازلهم بالعاج والفضة والحجارةالكريمة ويحملون سقوف أبنيتهم وابواب غرفهم بالذهب والاحجار النفيسة الغالية .

ويذكر الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب انه كان لبني تميم سوق على كثب تسمى الجرعاء يتبايع عليها العرب،وكما قلنا ان هذه المدينة كانت مركزاًتجارياً، وانها سوق من الاسواق المهمة في بلاد العرب، فمن المحتمل ان تكون هذه السوق من بقايا امجاد تلك المدينة التاريخية ، كما يؤكد المستشرقون هذا الرأي اذ ذهبوا الى انها هي نفسها التي تردد ذكرها كثيراً في الشعر العربي .

---

(١) او اسطاديون *Stadion* وهي كلمة استخدمها علماء تقويم البلدان لمسافة اربعمائة ذراع.

(٢) استرابون *Strapo* المتوفي سنة ٥٨ ق. م. وهو جغرافي يوناني له كتاب الجغرافيا فيه معلومات تفصيلية عن بلاد العرب لم يسبقه اليها غيره من المؤرخين .

وهناك مدينة مشهورة كانت عاصمة لهذه المنطقة تسمى الزاره ، وقد نالت شهرة واسعة في التاريخ الاسلامي منذ العصر الجاهلي، غير انها في الوقت الحاضر اندرست ولم يبق لهـــا أثر سوى اسم يطلق الآن على موضع بالقرب من قرية العوامية أقيم عليه بضعة أكواخ ، ويسمى فريق الزاره ، ولعلها اندرست منذ ان احرقها ابو سعيد الجنابي القرمطي في سنة ٢٨٣ هـ. في بداية حركتـه حينما استعصت عليه ، اذ اننا لم نجد لها ذكراً بعد ذلك في كتب التاريخ

٢ ـ مدنها الحديثة

اما بعد اكتشاف الزيت في هذه المنطقة فقد نشأت فيها بعض الاحياء تبعاً لبعض المراكز المهمة، ثم ما لبثت ان تحولت هذه الاحياء الى مدن حديثة عامرة تزخر بالنشاط والحركة ، واكتملت فيها جميع مقومات التمدين ، واصبحت من اهم المدن في هذه المنطقة .

فمنها :

مدينة الدمام ، وتقع الى الجنوب الشرقي من مدينة « القطيف » على بعد ١٧ كم ، وتقوم على منعطف الساحل من خليج كيبوس ، لذلك ترى البحر يكتنفها من الشرق ومن الشمال ، وقد كان لهذه المدينة تأريخ سياسي في اوائل القرن التاسع عشر ، فقد كانت من الموانىء المهمة ، ولكنها خربت خلال ذلك القرن ، واصبحت أثراً بعد عين .

وحتى ذلك الوقت فقد كانت بلدة تابعة لمدينة القطيف ، وقد لجأ اليها الشيخ عبد الله الخليفة واولاده سنة ١٢٥٨ هـ. ، وقطنوها بعد ان تغلب عليه ابن عمه الشيخ علي وانتزع منه حكم جزيرة البحرين ، ويذكر المؤرخون ان الشيخ علي



الدمام : شارع الملك سعود وهو اهم شارع فيها

الخليفة حاصرها سنة ١٢٧١ هـ، وضيق على ابناء عمه الخناق ، كما حاصرها الامير فيصل بن السعود خلال تلك الفترة ، ثم تضاءلت اهميتها فيما بعد ، وطواها عالم النسيان . ولم تكن هذه المدينة شيئاً مذكوراً قبل لجوء قبيلة الدواسر اليها سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) فقد رحل هؤلاء من جزيرة البحرين على أثر وقوع ازمة حادة بينهم وبين الحكومة المحلية هناك اضطروا بسببها الى الجلاء، وقدموا لاجئين الى هذه المنطقة، فقسم منهم قطنوا الدمام وابتنوا بعض الاكواخ بمساعدة اخوانهم من اهالي القطيف ، فكونوا قرية صغيرة ، حيث اصبحت تابعة لمدينة القطيف .

ولكنها بعد فترة وجيزة حين اتسعت اعمال شركة الزيت العربية الامريكية ، وانشئت فيها السكة الحديدية والميناء واتسع فيها العمران .. اتخذت مركزاً مهماً ، فاختيرت لان تكون مقراً رئيسياً لامارة المنطقة الشرقية لموقعها الاستراتيجي بما فيها الاحساء ، بدلا من مدينة الهفوف سابقاً ، فنقلت اليها مراكز الدوائر الحكومية وأسست فيها مكاتب اصبحت فيما بعد نواة لوزارات مستجدة ، كمكتب مصلحة العمل والعمال ، ومكتب شؤون الزيت ، وافتتح فيها فرع لمؤسسة النقد التي هي البنك المركزي للدولة ، واصبحت حاضرة للمنطقة الشرقية باجمعها .

وقد ساعدها على ان تحتل مركزاً خطيراً عدة عوامل ، منها نقل المقر الرئيسي لامارة المنطقة الشرقية اليها ، ومنها انشاء السكة الحديدية التي تربطها بالاحساء والرياض ، والتي يبلغ طول خطوطها ٥٦٦ كم وقد اكملت منذ عام ١٣٥١ هـ ، ومنها بناء مرفأها العظيم الذي يتوغل داخل البحر محاذياً لخطوط السكة الحديدية مسافة أحد عشر كيلومتراً ، حتى يصل الى عمق يستطيع فيه استقبال البواخر الضخمة الوافدة من جميع انحاء العالم .

وعلى الرغم من ان هذه المدينة دون مدينة الخبر من حيث التنظيم واتساع

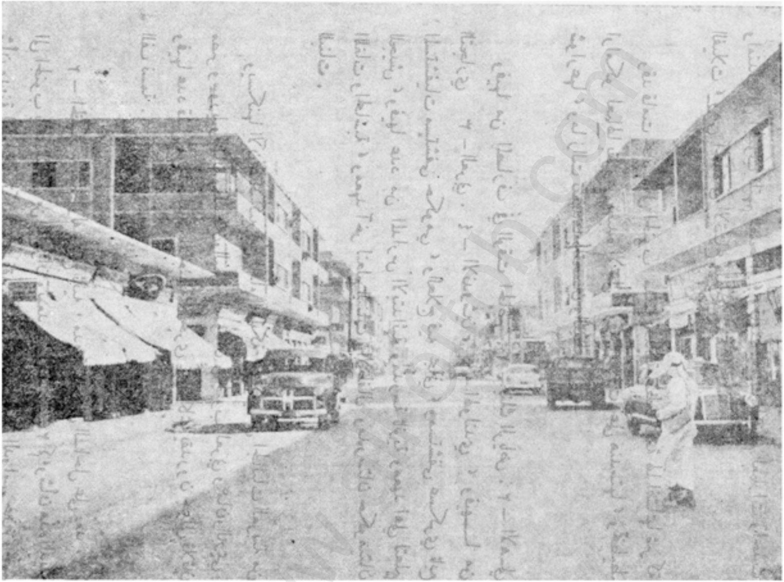
الشوارع الا انها تعد مركزاً مهما لاستيراد المواد الغذائية ، وقد اتسعت رقعتها وامتدت الى الجنوب تلتهم الصحراء ، وقامت فيهـا اضخم العمارات واحدث الفيلات ، وهي آخذة في الاتساع بسرعة مدهشة.

وقد قامت بجانبها الى الجنوب مدينة حديثة منظمة تابعة لها انشأتها شركة ارامكو لعمالها بقروض بعيدة الاجل ، وقد أشرفت على هندستها ، وتخطيط شوارعها ، وما زالت تتعهدها بالتحسين والتنظيم .

وفيها من المصارف في الوقت الحاضر : ١ - بنك الرياض . ٢ - الاهـلي التجاري ٣ - العربي . ٤ - الاندوشين . ٥ - الهولندي ، وفيهـا من المستشفيات مستشفى حكومي ، والعلاج فيه مجاني ، ومستشفى عسكري تابع للجيش ، وفيها عدد من المدارس الابتدائية ومدرسة ثانوية ومعهد اهلي لتعليم اللغات والمحاسبة ، ومعهد آخر لتعليم البنات والاطفال ومدرستان حكوميتان للبنات .

ويسكنها الآن عدد كبير من انحاء المملكة ، وكثير من الجاليات العربية من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن والسودان والجنوب العربي وعمان والبريمي. وفيها عدد قليل من الجاليات الاجنبية الأخرى ، وسكانها يقدرون بحوالي ثلاثين الف نسمة .

٢ - الخُبَر : بضم أوله وفتح ثانيه ، مدينة تقع على الساحل على بعد ١٠ كم الى الجنوب باتجاه الشرق من الظهران وتبعد عن الدمام بـ ٢٥ كم، وشأن هذه المدينة شأن مدينة الدمام في تكوينها ، فقد لجأ اليها قسم من قبيلة الدواسر حين نزوحهم من البحرين عام ١٣٤١ هـ وابتنوا بعض الأكواخ شأنهم شأن القسم الآخر الذي قطن الدمام ، ولما كان لهذا الموقع من استراتيجية مهمة بالنسبة لقربه من جبل



مدينة الخبر : ويرى شارع الامير خالد وهو اهم شارع تجاري فيها

الظهران ومن جزيرة البحرين فقد ابتنت فيه شركة الزيت مرفأ صغيراً لنقل الزيت في بادىء الأمر لقربه من مركز اعمالها ولإيصال البضائع والمعدات الواردة بواسطة السفن الصغيرة او الدوب من البحرين ورأس تنوره ، وقد أنشىء تبعاً لذلك مركز جمركي ،وفي برهة وجيزة قامت بالقرب منه بعض الأكواخ والحوانيت البسيطة ، ثم مـا لبثت ان اتسعت شيئاً فشيئاً بحكم موقعها الاستراتيجي حتى اصبحت مرفأ مهماً ونقطة اتصال بين تجـــارة البحرين وتجارة هذه المنطقة ، وقويت فيها حركة الصرافة والاعمال التجارية وتأسست فيها البنوك ، واصبحت من المراكز التجارية الخطيرة في المنطقة الشرقية .

وتعتبر هذه المدينة اليوم من احدث المدن في المنطقة الشرقية من حيث التنظيم واتساق الشوارع ، وقد هندست شوارعها طولاً وعرضاً في خطوط مستقيمة تخترق المدينـــة من الشمال الى الجنوب ومن الغرب الى الشرق ، وقد شجرت شوارعها الرئيسية ، وقامت فيها العمارات الضخمة والفيلات الأنيقة التي تنافس عمارات القاهرة وبيروت .

ولأهميتها من الناحية التجارية والاستراتيجية تركزت فيها اعمال البنوك وحركة الصرافة ،وفيها الآن عدد من البنوك منها بنك الرياض والأهلي التجاري والعربي والاندوشين والهولندي والبريطاني الشرقي ، وفيها ثلاثة مستشفيات منها مستشفى حكومي والعلاج فيه مجاني ومستشفيان اهليان واحد للتوليد والآخر للعيون ، وعيادة للاسنان وفيها عدد من المدارس الابتدائية ومدرسة ثانوية ، ومعهد لتعلم اللغات والمحاسبة وآخر لروضة الاطفال وتعليم البنـــات كما توجد مدرستان حكوميتان للبنات .

وقد هاجر اليها عدد كبير من مختلف الجاليات العربية والأجنبية ، كما هو الحال في مدينة الدمام، واتسعت رقعتها، وهي آخذة في الامتداد سنة بعد سنة،

وسكانها يقدرون بحوالي خمسين الف نسمة ، وحوانيتها المنتظمة الانيقة تزخر باصناف الحاجات الضرورية والكمالية .

وقد نشأت بالقرب منها الى الغرب قرية تابعة لها تسمى « الثُقبة » يسكنها بعض القبائل والعمال الذين يعملون في شركة ارامكو ، وتوشك ان تتصل بها في الوقت الحاضر ، كما توشك ان تموت هذه المساحات الصحراوية التي تفصل بين مدن هذه المنطقة بسبب اتساع العمران ، وان تتقلص هذه الأبعاد في السنوات القليلة المقبلة .

٣ - **مدينة الظهران :** يقع جبل الظهران الى الغرب من مدينة الخبر على مسافة ١٠ كم ، ويبعد عن مدينة القطيف بـ ٣٧ كم ، وهو جبل أجرد لا نبت فيه ، وتكتنفه رمال الصحراء من جميع جهاته ، ويستقر في زاوية منفرجة حيث تنحدر سفوحه بمحاذاة البحر من الشرق ومن الجنوب .

وتؤكد لنا المصادر التاريخية بانه كان فيما مضى آهلاً بالسكان ، وعامراً بالقرى والواحات ، وان له تاريخاً سياسياً وحضارياً ، وقد اشتهرت قصبته بصنع الثياب الظهرانية ، وقد أشار اليه ياقوت في معجمه .. فوصفه بانه بلدة لبني عامر بن عبد القيس ، وتطرق اليه الفيزوبادي في قاموسه . فذكر انه بلدة بالبحرين ، وتحدث عنه الأصمعي .. فزعم ان فيه عيوناً ونخيلاً كثيرة ، ويظهر ان هذه البقعة قد تسرب اليها الدمار بسبب الجفاف الذي طرأ على ينابيعها ، فهلك فيها الزرع والحرث ، وهجرت وطمرت اثارها الرمال .

اما جبل الظهران في الوقت الحاضر ، فهو مزرعة تنبت الذهب الأسود وتجري في حقولها انهار البترول ، ومنظمة تزخر بالنشاط والحركة حيث تضج ارضها بدوي المعامل ، وتمتلىء أجواؤها بدخان المصانع ، والظهران في تاريخه



الظهران : ويرى في هذه الصورة الحي الامريكي ويجانبه مراكز اعمال الشركة

الحديث يرجع الى نحو من ٢٧ سنة حينما أقامت اول جماعة من المشتغلين بالزيت مخيماً لايواء الجيلوجيين ، الذين بدأوا اعمالهم للتنقيب عن النفط في اواخر سبتمبر ١٩٣٣ ويتألف من مبان خشبية أقيمت قرب الموقع الحالي لمحطة التلفزيون ، فمن الطبيعي ان يصبح الظهران مقراً للشركة ومركزاً رئيسياً لأعمالها ، ففيه الادارة العامة حيث يقيم رئيس مجلس الادارة ورئيس الشركة وكبار الموظفين .

وقد أسست فيه مدينة عمالية مقسمة الى ثلاثة احياء . منها حي من الدرجة الثالثة ويسمى الحي السعودي ويقع في سفح الجبل من الشرق وهو مخصص لسكنى العمال العموميين ، وحي آخر يسمى « المنيرة » من الدرجة الثانية ويقع في أعلى الجبل الى الشمال من الحي الامريكي وهو أرقى مستوى من الاول ويسكنه الموظفون المتوسطون وتوجد فيه بعض وسائل الترفيه ، ففيه دار للسينما وناد للالعاب ومكتبة عامة ومسبح ، أما الحي الثالث فهو المعروف بالحي الامريكي وهو يعتبر في الدرجة الاولى إذ يسكنه كبار العمال ورؤساء الأقسام والدوائر ، ويقع على هضبة جرداء أحالتها اليد العاملة الى جنان خضراء ويزخر هذا الحي بسكنى العوائل الامريكية ، وهو في حد ذاته يكوّن مدينة حديثة مستقلة منظمة محاطة بسياج حديدي ، وبضمنها الى الغرب مراكز أعمال الشركة والورشات والمخازن .

وهذا الحي يتألف من فلات جميلة تحيطها الحدائق الغناء باشجارها الوارفة الظلال ، وازهارها المختلفة الالوان ، حيث تخترقها الشوارع الفسيحة الأنيقة ، والأرصفة المبلطة المسيجة بالنباتات ، كما يوجد في هذا الحي جميع وسائل الترفيه ، ففيه دور للسينما ونواد للالعاب الرياضية ومسابح ومطاعم من الدرجة الاولى وملاعب للاطفال ، وتعد هذه المدينة من أحدث المدن وأجملها في هذه المنطقة .

ويوجد في هذه المدينة مستشفى من الدرجة الاولى وهو خاص بالامريكيين، ومستشفى آخر من الدرجة الثانيــــة لسائر العمال وكلاهما مجهزان باحدث الأجهزة والمعدات اللازمة لمعالجة المرضى وعملية التوليد ومختلف الاصابات مهما كان نوعها ، ويوجد كذلك فيها معاهد مهنية وتثقيفية لتدريب العمال على القيام باعمالهم حسب ما تتطلبه مقتضيات العمل تحت اشراف الشركة .

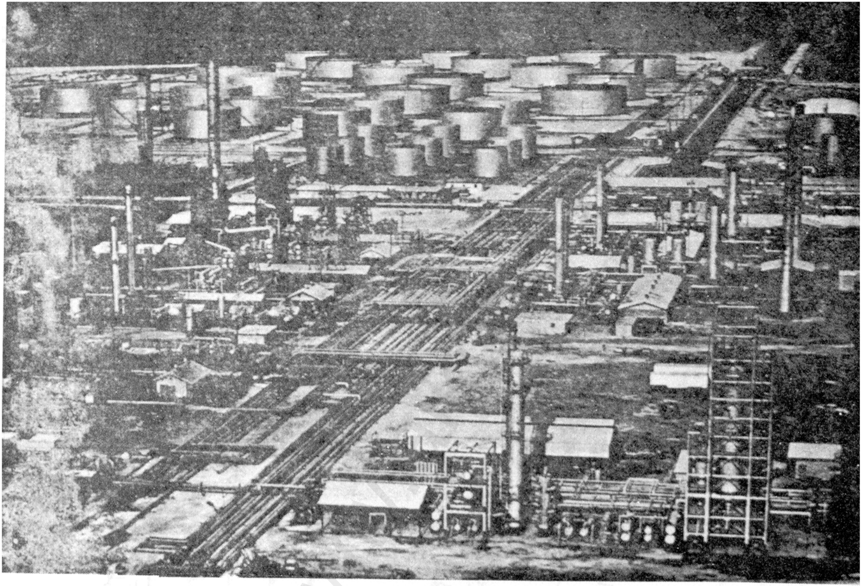
والى القرب من مدينة الظهران الى الناحية الشرقية الجنوبية يقع مطـــار الظهران الشهير الذى أنشىء سنة ١٥٤٦ وفيه ، مقر البعثة الامريكية لتدريب الجيش السعودي ، كما يوجد فيه مكاتب لشركات الطيران العالمية ووكالاتها ، ولمطار الظهران اهمية كبرى لكونه نقطة اتصال للخطوط الجوية الدولية بين آسيا واوروبا وامريكا ، وقد أقيم على أرضه مبنى كبير للمطار الجوي المدني على الطراز الشرقي رائع الهندسة والتصميم .

وفي الظهران ايضاً محطتان للتلفزيون ، مستقلة احداهما عن الاخرى ، منها محطة بالمطار تذيع براجها باللغة الانجليزية على موجة رقم ٨ وهي غير خاضعة للرقابة ، وكأنها أنشئت للترفيه عن الجيش [١] أما الاخرى فترسل براجهـــا باللغة العربية على موجة رقم ٢ وكأنها أنشئت للترفيه عن العمال العرب ، وقد تأسست هذه المحطة في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٧ ، وهي قوية جداً بحيث تستطيع التقاطها أجهزة التلفزيون في جميع انحــــاء المنطقة ، وتصل الى الاحساء وقطر وجزيرة البحرين .

ومن المهم ان نشير الى انه يوجد في جنـــوبي الظهران مسبح على شاطىء البحر الزمردي يسمى « نصف القمر » او « هاف بي » انشأه بعض رجال

---

(١) ألغيت هذه المحطة في بداية عام ١٩٦١ حينما الغيت الاتفاقية بشأن المطار .



رأس تنورة : وقد ظهرت في الصورة مصافي البترول الضخمة

شركة ارامكو على بعد ٢٠ كم من الظهران اقاموه على شاطىء رمـلي ، وهو عبارة عن ناد للاستحمام تجري فيه مختلف الالعاب الرياضية البحرية على غرار ما يجري في المسابـح البحرية في البلاد الاخرى ، ويقصده المتفرجون من جميـع الانحاء ، وقد أنشىء فيه مخفر للشرطة ، وتنوي البلدية اقامة كازينو نموذجي لجمهور هواة السباحة والمتفرجين .

٤ – **رأس تنورة** : تقع هذه المنطقة في الطرف الشمالي الشرقي من خليـج كيبوس ، وتبعد عن مدينة القطيف بـ ٣٣ كم وعن الظهران بـ ٧٠ كم ، وتنقسم هذه المنطقة الى اقسام ثلاثة : أولها مرفأ رأس تنورة وهو عبارة عن لسـان يمتد داخل البحر في اتجاه الجنوب الشرقي الى مسافة ٤ كم حتى يصل الى عمق تستطيـع فيه ناقلات البترول الضخمة الدنوّ منه وترسو بجانب رصيفيه اللذين لا يتجاوز طولها كيلومتراً ، وهذا المرفـأ يعتبر الميناء الرئيسي لاعمال الشركة حيث يجري فيه تفريغ البضائع وجميع مستلزمات اعمالها ، كما تعب منـه ناقلات البترول ملايين البراميل التي تزود شرايين الصناعة في امريـكا واوروبا وآسيـا .

وثانيها « نجمة » وهذا الاسم ينطبق عليهـا فعلاً ، فهي قطعة من نور لا تعرف الخمود ، ولعل اسمها في الاصل محرف عن « نجبة » التي ذكرها ياقوت في معجمه ، فوصفها بانها قرية لبني عامر بن عبد القيس وهي الآن موضع يقع في مدخل رأس تنورة بمحاذاة الساحل أقيمت فيه المصافي العظيمة بوحداتها المختلفة وابراجها الشاخة وصهاريجها واسطواناتها المتعددة الاشكال وافرانها ومداخنهـا وانابيبها المعقدة المتشابكة ، ومعظم اقسام هذا المعمل يشتغل ٢٤ ساعة في اليوم .

ويوجد الى جانب هذا المعمل حي لكبـار الموظفين وحي آخر للعمال المتوسطين ومستشفى ، واحياء للسكنى في مرافقها تشاكل ما هو موجود في

مدينة الظهران .

أما القسم الثالث الذي يسمى « رحيمه » فيقع بالقرب منها الى الغرب ، وقد كانت في الاصل حيـّاً لصغار الموظفين إلا ان الشركة سمحت لموظفيها ان ينشئوا لهم بيوتاً في الناحية الغربية من برنامج القروض التي تقدمها لعمالهـــا فتكونت مدينة حديثة تحت اشرافها حيث انتقلوا اليها مع عائلاتهم .

ومجموع العمال الذين يعملون في منطقة رأس تنورة ٤٤٠٠ موظف ، ويعتبر مرفأها من أكبر موانىء الزيت في العالم ، وهو أكثر منشآت ارامكو حركة ، وقد حملت منه الناقلات عـــام ١٩٥٨ ما مجموعه ١٧٦،٧١٠،٩١٨ برميلاً من الزيت الخام والمنتجات المكررة ووقود السفن ، وفي عام ١٩٥٩ شحن منـه البرميل البليون من الزيت الخام ، ويبلغ متوسط عدد السفن التي تعبّ الزيت شهرياً ١٢٦ سفينة .

ويمكن تحميل عشر ناقلات في وقت واحد من رصيفي الفرضة بما في ذلك اكبر الناقلات الضخمة ، وتبلغ طاقة التحميل في الفرضة ١،٠٥٠،٠٠٠ برميل في اليوم ، وتضم منطقة الفرضة نحواً من ٦٥ صهريجاً ، تتراوح سعة الواحد منها ما بين ١٠٠٠ و ١٨٠٠٠٠ برميل ، ويبلغ مجموع سعة الصهاريج حوالي ثمانيـــة ملايين برميل ، وتقع الصهاريج المخصصة للزيت في الشمال من الفرضة والصهاريج المخصصة للمنتجات المكررة في القسم الجنوبي منها . ويضم معمل التكرير ١٦٠ صهريجاً تتراوح سعة الواحد منها ما بين ٥٠٠٠ و ١٨٠٠٠٠ برميلاً وتبلغ سعة جميـع هذه الصهاريج نحواً من ٥،٩٧٠،٠٠٠ برميل من الزيت الخام والمنتجات المكررة والماء وغير ذلك من انواع الزيوت المختلفة .

وفي هذه المنطقة مصنـع للاسفلت ينتج يوميـــاً حوالي ٩٠٠ برميل لسد

احتياجات الحكومـة العربيـة السعودية وارامكو ، وهذه الكمية تصنع من حوالي ٢٠٠٠ برميل من المتخلفات المستخلصة من وحدات التقطير .

٥ – **بقيق** : موضـع يقـع في قلب الصحراء ، يبعد عن الظهران الى الغرب بـ ٧٠ كم ، ولم تكن له اهمية إلا منذ عام ١٩٤٠ حين اكتشف فيه حقل الزيت الذي يعتبر ثاني حقل في منطقة الامتياز إذ يبلغ طوله ٥٦ كيلومتراً وعرضه ٨ كيلومترات ، وقـد تركزت فيه حركة انتاج الزيت سيما حين اكتشف حقل الغوّار سنة ١٩٤٨ الذي يعتبر من اكبر حقول الزيت في العالم ، والذي يبلـغ طوله ٢٤٠ كيلومتراً وعرضه مـا بين ٢٠ و ٢٤ كم ، ويقع الطرف الشمالي لهذا الحقل على بعد ٤٨ كم الى الغرب من بقيق .

وتشرف ادارة الشركة في بقيق على هذين الحقلين اللذين بلغ انتاجهما عـام ١٩٥٨ ما معدله ٩٢١٠٠٠ برميل من الزيت الخام يومياً ، بالاضافة الى معملين لحقن الغاز في مكامن الزيت بامكانهما حقن ٤٠٥،٠٠٠،٠٠٠ قدماً مكعبـاً من الغاز يومياً في جوف الارض، ومرافق اخرى لحقن الماء بامكانها حقن ٢٤٠،٠٠٠ برميلاً يومياً تحت الزيت واحد عشر معملاً لفرز الغاز من الزيت بمعدل ماية الف برميل يومياً لكل واحد ، ومعمل للتركيز لفرز غــاز كبريتد الهيدروجين بمعدل ٩٥٥،٠٠٠ برميل يومياً ومحطات ضخ وكهرباء وورش للصيانة والأعمال الأخرى .

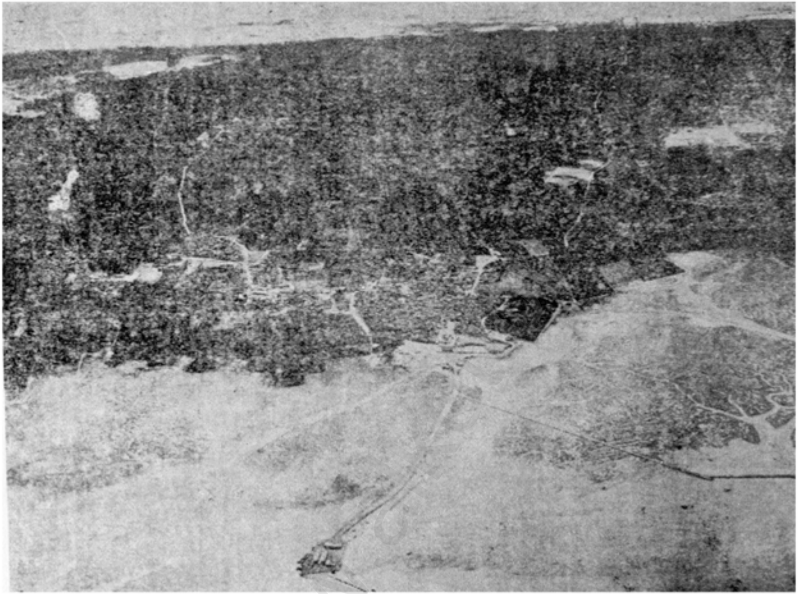
وفي بقيق مستشفى ومركز للتدريب ، وجميـع المراكز اللازمــة لايواء ٤٤٠٠ موظف ، وتزويدهم بالوسائل الضرورية والترفيهيــة ، وقد انشأت ارامكو تحت اشرافها مدينة هناك لسكنى العمال وعوائلهم من برنامج القروض التي تقدمها لعمالها ، ومناطق الزيت كلها نموذج موحد تقريبـاً ، وعلى طراز متشابه من حيث التنظيم وإيجاد المرافق المختلفة .

٣ ـ مدنها القديمة

هذه أهم المواقع التي قامت فيها منشآت حديثة العمران ، أما اذا رجعنا قليلاً الى الوراء ، أي الى قبل ربع قرن تقريباً ، فلسنا نجد في هذه المنطقة شيئاً ذا أهمية غير القطيف وضيعها وضواحيها ، فهي كانت شامخة بجلال القدم وروعة الماضي ، تتحدى تيه الصحراء من جانب وغمر البحر من جانب آخر ، وتبسط سلطانها على مناطق هذه السواحل كلها متبوئة عرش المجد والسؤدد ، فليس هناك من ينافسها في استراتيجيتها ، فكانت مقر السلطة المحلية ، وفيها مراكز الدوائر الحكومية ، ومن انتاجها الزراعي وايراداتها الأخرى تجود بالخير والعطاء ، وليس ثمة سواها ، تنتجعها البوادي في طلب المؤونة ، وترتادها السفن من أجل الزاد والماء ، وتتركز فيها حركة الاستيراد والتصدير .

وهذه المدينة قديمة جداً ، ويستدل من الخرائب العادية التي تشاهد عندها على ان هذه المنطقة ذات تأريخ قديم يرجع الى آخر عهد من عهود العصر النحامي ، أي في حدود ٣٥٠٠ قبل الميلاد .

ومدينة القطيف لا تختلف في حاضرها كثيراً عن ماضيها ، فهي ما تزال محتفظة بطابعها القديم ، فحاضرتها ـ وتسمى « القلعة » ـ تقع على ساحل البحر بأبنيتها المتلاصقة ، وطرقها الضيقة ، شأنها شأن البلدان القديمة الأخرى ، ويحيطها سور قديم ، وهي صورة طبق الأصل لما هي عليه في القرن الثامن الهجري ، فقد حدثنا ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان ، فوصفها بان لها سوراً وخندقاً ، ولها اربعة ابواب ، والبحر في حالة المد يتصل بسورها ، وهذا الوصف ـ اذا استثنينا الخندق الذي ليس له وجود في الوقت الحاضر ـ ينطبق تماماً الى عهد قريب حيث كانت امواج البحر ترتطم بجدران السور .



منظر جوي لمدينة القطيف ، وقد ظهرت ميناؤها وقلعتهـــا وضواحيها ، كما يشاهد بعض قراها ـ من اليمين الى الشمال ـ القديح . البحاري . التوبي . الخويلدية . حله . محيش . الجارودية

وحاضرتها « القلعة » تقع على منتصف الخط الساحلي الموازي للواحة ، وكانت قديماً تسمى « جبرو » *Jiparro* حيث كانت فيما مضى مخزناً للتوابل والعطور الواردة من جزيرة تاروت ، بينما كانت الحاضرة حتى بعد ظهور الاسلام مدينة تسمى « الزاره » كما تذكر ذلك كتب التاريخ ، تقع في نفس الموضع الذي يسمي الآن بفريق الزاره بالقرب من قرية العواميه .

ولعل موضع مدينة الخط التي بناها اردشير بن بابك (٢٢٦ - ٢٤١ ب. م) هو نفس هذا المكان الذي تستقر عليه ابنية القلعة وتوابعها في الوقت الحاضر ، كما يوحي لفظ الدروازة الفارسي الذي يطلق على كل بوابة منها بتلك الصلة بينها وبين مؤسسها ، ومن المحتمل ان مركز الثقل انتقل اليها بعد خراب الزاره سنة ٢٨٣ هـ. حينما احرقها ابو سعيد الجنابي القرمطي ففقدت حاضرة لهذه المنطقة بعد ان كانت بلدة صغيرة يسكنها صيادو الأسماك .

والقلعة في ماضيها القريب أي منذ سنوات خلت ، كما رأيناها يحيطها سور قديم يبلغ سمكه ٧ أقدام ، وارتفاعه ٣٠ قدماً تقريباً ، وتبرز بين جوانبه وزواياه ابراج عالية مستديرة الشكل ، وكانت توصل هذه الابراج التي يبلغ عددها احد عشر برجاً جسور ممتدة في اعلا السور لتتصل الحاميات بعضها ببعض اثناء قيامها بمهامها، وكان لها اربعة أبواب منها باب في الشرق تجاه المرفأ ويسمى دروازة البحر، وباب في الغرب يصلها بالواحة ويسمى دروازة باب الشمال ، وباب في الجنوب عند مدخل السوق ويسمى دروازة السوق ، وباب في الشمال يصلها بالكوت الذي يقع بجانبها الى الشمال ، وهو حصن صغير كان مقراً لجهاز الحكم في الايام الماضية ، وهذه الابواب كانت تفتح نهاراً وتغلق ليلا .

وكان هذا السور حصيناً يصد عنها غزو البدو ويصونها من كيد الاعداء أما الآن فقد أهمل شأنه فأخذ في التداعي ، فازيلت ابوابه وابراجه اذ فقد أهميته

لاستتباب الأمن في ربوع هذه المنطقة ، وتدلنا كتابة اللوحات المنقوشة الحجرية على ان هذا السور بُني في عهد السلطان سليم الثاني العثماني في القرن العاشر الهجري ، بينما يبدو انه أسس قبل هذا التاريخ بزمن بعيد كما تحدثنا به رواية ابي الفداء .

ويحدثنا السير ارنولد ولسن [١] « بان الترك بعد تغلبهم على البرتغاليين واستيلائهم على القطيف بمعونة اهاليها في منتصف القرن السادس عشر اعاد البرتغاليون الكرة من جديد ، فتغلبوا على الترك ، واستولوا على القطيف ودكوا قلاعها حتى ساووا بها الارض ، ثم ساروا الى البصرة باساطيلهم ، غير ان الترك استأنفوا الكرة حيث دبروا لهم مكيدة ، فاوقعوا بهم واستولوا على القطيف كرة اخرى بعد قليل » ، ويظهر ان الاتراك قاموا باعادة بناء السور من جديد كما هو عليه الآن اذ يصادف ذلك التاريخ عهد السلطان سليم الثاني [٢] .

وفي القلعة من الآثار التاريخية جامع قديم يرجع بناؤه الى القرن الثامن الهجري ، وقد كتب تاريخ بناؤه على لوحة حجرية موجودة بداخله ، وقد هجر هذا الجامع وأُهمل فتداعى بنيانه ، ولم يبق منه بصورة سليمة الا مئذنته العالية التي تطل على الحاضرة وضواحيها .

( ) في كتابه *The Persian Gulf P,125* .

(٢) توسعت الخلافة العثمانية في عهد السلطان سليمان خان الاول الذي تولى الخلافة سنة ٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م. اذ قام هذا بفتح عدد من البلدان فاستولى على شرقي اوربا واحتل المجر وتوغل في النمسا حتى وصل الى عاصمتها بودابست واخضع اخبيل اليونان كما استولى على تونس وافتتح بغداد حيث استخلصها من الفرس ، وتوغل في ايران حتى وصل تبريز ، وقد قام خلفه السلطان سليم الثاني الذي تولى بعده عام ٩٧٤ هـ. ١٥٦٦ م. فأتم عمل سلفه بافتتاح قبرص واخضاع اليمن حيث امتد نفوذه الى شبه الجزيرة العربية .

والقلعة في شكلها البيضوي تنقسم الى اربعة أقسام ، ليس بينها فواصل ولكل قسم اسم معروف خاص به ، فالجانب الجنوبي من الناحية الغربيــة يسمى فريق الخان ، ومن الناحية الشرقية يسمى فريق السدره ، كما ان الجانب الشمالي من الناحية الغربية يسمى فريق الزريب ، ومن الناحيـة الشرقية يسمى فريق الوارش ، ولعل هذه الأسماء ذات صلة وثيقة بتاريخ القلعة في بدء تأسيسها ، فالخان اسم ايراني معناه الفندق او نزل المسافرين ،أما الزريب فتصغير للزرب وهو موضع المواشي ، واما السدره فيقال نسبة الى شجرة تبق شهيرة بجودتها ، وأما الوارش فيظهر أنه كان في الأصل مسكناً للدخلاء ، من وارش على القوم أي دخل عليهم ولم يدع للأكل .

وتحف بالقلعة من الغرب ومن الجنوب بعض الاحيـــاء الصغيرة ، بعضها مسور كالمدارس ومياس والدبابية والكويكب ، وبعضها غير مسور كباب الشمال والجراري والشريعة ، وكان لها فيما مضى سوق واحد مستطيل مسقوف ، يتكون من صفين من الحوانيت ، يبتدىء من باب القلعـة الجنوبي ، ويمتد في اتجاه الجنوب حتى يصل الى اسوار الكويكب ثم ينعطف الى الغرب بـين مياس والكويكب وينتهي بباب كبير ، وهذه الانعطافة كانت تسمى « سوق الحرية » وقد سمي هذا الباب باسمهـــا ، وهو أحد ابواب السوق الرئيسية التي كانت تفتح نهاراً وتغلق ليلاً . أما الآن فقد تبدلت معالمها ، فاتسعت وازيلت ابوابها وسقوفها ، شأنها شأن القلعة نفسها .

وتقدر سكان القلعة والأحياء التي حولها بثلاثين الف نفس ، وفيها مستشفى حكومي ومدرستان ابتدائيتان ومدرسة ثانوية ومدرسة للبنـــات ومكتبة اهلية يشرف عليها خيرة الشباب القطيفي الواعي ويوجد فيها من البنوك .. فرع لبنك القاهرة ومكتب لبنك الرياض ومكتب آخر للبنك العربي .

أما واحة القطيف فتتكون من غابة كثيفة من النخيل متصلة بعضهـــا

ببعض ، ولا ينفصل عنهـــا إلا بعض الضيع والقرى القريبة منها ، كجزيرة تاروت وقرية الآجام وصفوى وام الساهك والجبيل وبعض القرى الصغيرة التي تسكنها قبائل البادية كأبي معن ودريدي وشعاب والنابية والعباء ، والرويحه ، وهذه القرى تقع في قلب الصحراء وهي قليلة السكان ويغلب على اهلهـــا طابع البداوة .

وتنتثر القرى وسط هذه الغابة الكثيفة المتصلة بعضها ببعض من الجنوب الى الشمال ، ويبلغ مجموعها ١٣ قرية ، وتتوزع هذه القرى بساتين الواحة فيما بينها ، فيلحق بكل قرية قسم من البساتين ، اي ان هذه الغابة تقسم على هذه القرى في حدود وهمية ، اذ لا يوجد فواصل فيما بينها ، فيسمى كل قسم باسم القريـة نفسها ، ويطلق عليها « سيحة[١] » ، وهـــذا التقسيم متبع حتى في الدفاتر الرسمية الحكومية ... أما هـــذه القرى فهي على الترتيب من الجنوب الى الشمال .. كما يلي :

١ – **سيهات** : قرية كبيرة تقع في اقصى الواحة من الجنوب وهي التي اشار اليها الشاعر جعفر الخطي في قوله :

هلاّ سألت الربع من سيهات عن تلكم الفتيان والفتيات
ومجر ارسان الجياد كأنهـا فوق الصعيد مسارب الحيات
حيث المسامع لا تكاد تفيق من ترجيع نوتيّ وزجر حـداة

وقد دبت فيها حركة العمران حتى غلب عليها طابع المدنية ، فقامت فيها

---

(١) ولعلها اطلقت في الاصل ويراد منها الارض التي تسقي سيحاً كما هو الشأن في جميع ضيع القطيف اذ تسقي جميعها سيحاً .

من الجهة الشرقية بعض الفلات الحديثة والأبنية المسلحة ، وسكانها يقدرون باثني عشر الف نسمة ويوجد فيها مركز للبلدية ومدرسة ابتدائية .

والى القرب منها موضع بينها وبين قرية الجش يسمى « الجعبة » قيل انـه المكان الذي اقام عليه ابو طاهر القرمطي بناية ووضع فيها الاسود سنة ٣١٧ هـ.

٢ – **عنك** : قرية صغيرة تقع على الساحل الى الشمال من سيهات ، وكانت لها شهرة تاريخية ، فقد تحدث عنها المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف فوصفها بانها من مدن القطيف ، وهي التي عناها الراجز في قوله :

طعن غلام لم يحنك بالسمك ولم يعـلل بخياشيم عنـــك

واهلها يعتمدون في معيشتهم على صيد الأسماك ويقدرون بـ ٢٠٠٠ نفس ، ويسكن الى جوارهم قبيلة بني خالد الذين سيطروا على القطيف فترة من الزمن ، فهم يفدون اليها في الصيف هرباً من حر الصحراء ، ويرحلون عنها في الخريف الى البادية ، وقد بدأ قسم منهم يتحضرون الآن فزاولوا مهناً حضرية واستقروا وبنوا لهم بيوتاً في عنك .

وفيها من الآثار التاريخيـــة برج قديم يرجع بناؤه الى عهد البرتغاليين ، وفيها الآن مدرسة كبيرة ابتدائية تابعة لوزارة المعارف .

٣ – **الجش** : قرية تقع الى الشمال الغربي من سيهات وقد دبت فيها حركة العمران في الوقت الحاضر ، وسكانها يقدرون بـ ٨٠٠٠ نفس .

وفيها مدرسة ابتدائيـــة حكومية تشاركها فيها كل من قريتي الملاحة وأم خمام .

٤ – **الملاحة** : قرية صغيرة تقع الى ناحية الشرق من الجش ، وسكانهـــا يقدرون بـ ٣٠٠٠ نفس .

٥ – **ام الحمام** : تقـــع الى الشمال من قرية الجش ، ويبلغ سكانها حوالي ١٠٠٠٠ نسمة .

٦ – **الجارودية** : تقع هذه القرية الى الشمال الغربي من ام الحمام قريبـاً من بر لبدراني الذي كان منطلقـاً للحجاج ايام كانت الجمـال وسائط للنقل عـبر الصحراء ، وتقدر سكان هذه القرية بـ ٥٠٠٠ نسمة ، وتستقر على مرتفـع من الجبل الصلد .

٧ – **الخويلدية** : تقع الى الشمال من الجارودية ، ونفوسها تقدر بـ ٥٠٠٠ نفس .

٨ – **حلة محيش** : تقع في وسط الواحة الى الشرق من الجارودية ، والمشهور عن هذه القرية ان حشرة العقرب لا تعيش فيها ، ويرجح بعضهم هذه الظاهرة الى اسطورة .. خلاصتها ان احد رجالاتها الروحانيين دفن في ارضها رقية ضد هذه الحشرة ، فانعدمت منها منذ ذلك التاريخ .

وسكانها يقدرون بـ ٥٠٠٠ نفس .

٩ – **الشويكه** : تقع بالقرب من الحاضرة من ناحية الجنوب وقد امتد اليها العمران حتى اتصلت بها ، وهذه القرية تكاد تكون هي الوحيدة التي لا توجد فيها عين ، وبساتينها تسقى من السيبان ، وأشهر سيبانها ساب « ابو خمسة » . وسكانها يقدرون بـ ٤٠٠٠ نفس .

١٠ – **التوبي** : تقع في منتصف الواحة بمحـــاذاة الحاضرة من الغرب ، وهي مسقط رأس الشاعر المشهور جعفر الخطي ، وسكانها يقدرون بـ ٥٠٠٠ نفس .

١١ – **البحاري** : قرية تقع بالقرب من الحاضرة من ناحية الشمال ، وعدد

سكانها يقدر بـ ٤٠٠٠ نفس .

١٢ – **القديح** : قرية كبيرة تقع الى الغرب من البحاري ، تخطى اسوارها العمران فملأ الموضع الذي يسمونها « الوادي » وهو متسع من الارض يستعمل سابقاً لتجفيف التمور فازدحم بالابنية على غير انتظام ، وفيها مدرسة ابتدائية كبيرة تابعة للمعارف ، ومركز للبلدية ، وسكانها يقدرون بـ ١٢٠٠٠ نفس .

١٣ – **العواميه** : تقع في نهاية الواحة من ناحية الشمال ، وكان اول من عمَّرها العوام بن محمد بن يوسف الزجاج في اوائل القرن الخامس الهجري ، فنسبت اليه ، ولعلها نسبت في الاصل الى ابي الحسن بن العوام زعيم الازد وأمير الزاره ، وهناك ظاهرة تنفرد بها هذه القرية .. هي استمرار المصاهرة بينها وبين الحاضرة ويعتقد ان هذه الصلة عميقة الجذور ترجع الى ايام كانت فيها الزارة عاصمة لهذه المنطقة .

وفي هذه القرية مدرسة ابتدائية تابعة للمعارف ، وسكانها يقدرون بـ ١٠٠٠٠ نفس .

أما الاجزاء التي تنفصل عن هذه الغابة الكثيفة فهي كما يلي :

١ – **جزيرة تاروت** : تقع هذه الجزيرة في قلب خليج كيبوس ، على بعد ٦ كم الى الجهة الشرقية من الحاضرة ، واسمها الاصلي تيروس *Tarrus* الذي هو قريب من اسمها الحالي ، اما اليونانيون فأطلقوا عليها اسم « تارو » *Taro* كما جاء في جغرافية بطليموس ، وقد وصفها ابو الفداء في القرن الثامن الهجري .. بانها بليدة شرق القطيف ، تبعد عنها بنصف مرحلة ، وفيها كروم تنتج العنب المفضل .

ويذهب البعض الى ان اسمها في الاصل عشتاروت ، وانها كانت معبداً

للالهة عشتاروت الفينيقية .. تطرق اليه التحريف ، فحذف منه المقطع الاول اختصاراً وصارت تعرف بالمقطعين الاخيرين « تاروت » [١] ، وعشتاروت أو عشتروت اسم للبعله معبودة الفينيقيين التي كانوا يقدمون لها الذبائح البشرية ، والتي لها تماثيل مجسمة في دير القلعة بلبنان .

وكانت هذه الجزيرة موطناً قديماً للفينيقيين قبل نزوحهم الى شواطىء البحر الابيض المتوسط ، فقد جاء في تاريخ لبنان ، نقلاً عن بعض مؤرخي اليونان .. بان اهل هذه الجزيرة كانوا يباهون بانهم هم الذين أسسوا صور وارواد [٢] ، ولا تخلو هذه الجزيرة من بعض آثارهم ، فقد عثر منذ سنوات في احد بساتينها على تمثال من الذهب الخالص للبعله عشتروت ، وفي هذه الجزيرة من الآثار التاريخية قلعة متداعية من آثار البرتغاليين .

وتقع في شرقي هذه الجزيرة قرية تسمى السنابس ، واخرى تسمى الزور ، وفي طرفها الجنوبي تقع بلدة دارين الشهيرة التي كانت سوقاً من أسواقها التجارية والادبية ، ومرفأ مهماً ، وقد تردد ذكرها كثيراً في الشعر العربي والتاريخ الاسلامي ، فهي التي قال فيها الاعشى :

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم   ويخرجن من دارين بجر الحقائب
على حين ألهى الناس جل أمورهم   فندلاً زريق المال ندل الثعالب

والتي عناها الفرزدق في شعره :

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام : جواد علي ج. ١ ص. ١٤٠ .

(٢) صور مدينة ساحلية في لبنان أسسها الفينيقيون في الالف الثالث قبل الميلاد ، اما ارواد فهي جزيرة في البحر الابيض المتوسط على بعد ٣ كم من شاطىء طرطوس سكنها قديماً الفينيقيون .

كأن تريكة من ماء مزن ... وداري الــذكيّ من المــدام

وقد وصفها ياقوت .. بأنها فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند وقد كانت في سالف عهدها مرفأ تجارياً مهماً وهمزة وصل بين تجارة الشرق والغرب ، وقد اشتهرت باستيرادها البضائع من الهند ، كما اشتهرت بما يردها من التوابل والعطور .

والى جانب هذه البلدة مرتفع على شكل هضبة ، يقال انه من بقايا تلك المدينة التاريخية ، وترجع اهميتهــا في ذلك الوقت الى كون اغلب سواحل هذه المنطقة ضحلة او قليلة العمق لا تصلح للملاحة ، أما حين انشئت الموانىء في المدن الساحلية ، فقد فقدت دارين اهميتها ، لانعزالها في جزيرة ليس لهـا طريق بري يصلها ببقية المدن .

وتقوم وزارة المواصلات الآن بعمل طريق بري يصل الجزيرة بالحاضرة ، كما يتوقع لها ان تزدهر بعد اتمامه ، فتكون اجمل مكان سياحي ، تقضي فيه ايام العطل .

ومجموع سكان هذه الجزيرة في الوقت الحاضر يقدر بـ ١٥٠٠٠ نفس ، وفيها مستوصف حكومي ومدرسة ابتدائية .

٢ - **صفوى** : قرية كبيرة تنفصل عن الواحة بمسافة ٤ كم تقريباً ، وتبعد عن الحاضرة بـ ١٢ كم ، واسمها التاريخي - كما يذكره المسعودي - صفوان ، وكان يسكنها بنو حفص بن عبد القيس ، ولعل اسمها في الاصل مقتبس من نهر الصفا الذي يتخلج من عين محلّم - كما اشار اليه ياقوت - وقد ذكرها لبيد في شعره :

سجف بمنسعة الصفا وسرية ... جم النوائل بينهن كروم

وفي قوله :

فرحن كأن الناديات على الصفا ... مذارعها والكارعات الحواملا
بذي شطب احداجهم ان تحملوا ... وحث الحداة الناجيات الذواملا

ولعها كانت مدينة من أهم المدن في هذه المنطقة ، كما يصفها ابن الفقيه .. بانها قصبة هجر ، وعين محلم هي المين التي تسمى الآن « داروش » التي يتفرع منها سبعة أنهر ، وهي شهيرة بقوتها وغزارة ينابيعها .

وسكانها يقدرون بـ ١٢٠٠٠ نفس ، وتوجد فيها مدرسة ابتدائية حكومية ، ومدرسة اخرى أهلية للبنات ، ومستوصف حكومي ، وقد انتشر فيها العمران بكثرة حتى غلب عليها طابع المدينة ، وقد تفردت بمشروع اسالة الماء عن بقية مدن هذه المنطقة اذا استثنينا الاحياء التي اقامتها شركة ارامكو .

والى القرب منها يقع مقلع جاوان الشهير ، وهو من المواضع التي تزخر بالآثار التاريخية ، وقد اكتسبت هذه القرية اهمية خاصة لوقوعها مباشرة على خط الشارع الرئيسي الذي يصل الظهران بمنطقة رأس تنورة . ولقربها ايضاً من هذه المنطقة التي تتركز فيها اعمال مصافي البترول والميناء ، والتي تبعد عنها مسافة ٢٤ كم .

٣ – **الجبيل** : بلدة قديمة تبعد عن الحاضرة بـ ٣٥ كم وتبعد عن صفوى الى الشمال بـ ٢٣ كم ، وتقع على الساحل بالقرب من خليج المسلمية ، واغلب الظن ان تأريخها يرجع الى عهود الفينيقيين – كما يدل على ذلك اسمها ، ويبدو انهم نقلوا هذا الاسم ذاته حين هاجروا الى لبنان ، واطلقوه على بلدة أسسوها

هناك تقع شمالي بيروت والتي هي من أقدم مدنهم في السواحل اللبنانية [١] .

ويذهب بعضهم الى انها بلدة ام عينين الشهيرة التي تردد ذكرها في التاريخ العربي ، وهي في حاضرها بلدة صغيرة قليلة السكان ، وقد هاجر كثير من اهلها الى انحاء هذه المنطقة ، وسكانها يقدرون بالوقت الحاضر بـ ٣٠٠٠ نفس .

٤ ـ **الآجام** : ضيعة تقع في قلب الصحراء الى الجهة الغربية من الواحة على بعد ٥ كم ، وفيها مسجد أثري لاحد الاولياء ، وسكانها يقدرون بـ ٣٠٠٠ نسمة .

ولعل لاسم هذه القرية صلة بالآجاميين الذين رحلوا مع سليمان القرمطي عند رجوعه من هيت سنة ٣١٧ هـ. وقد انتظموا في جيشه ، فعرفوا بالآجاميين ، وكانوا قبلاً من سكان الآجام والطفوف من اعمال الكوفة كما يذكر المسعودي .

٥ ـ **ام الساهك** : ضيعة تقع بالقرب من صفوى الى جهة الغرب ، وسكانها يقدرون بـ ٣٠٠٠ نفس ، وهناك بعض القرى الصغيرة الشبيهة بها والتي يغلب عليها طابع البداوة ، منتثرة في الصحاري المجاورة ، كأبي معن ، ودريدي ، وشعاب ، والرويحة ، والنابية ، والعباء ، وهي ضئيلة الأهمية قليلة السكان .

---

(١) أقدم المدن الفينيقية هناك ، وهي مرفأ يقع شمالي بيروت ، اشتهرت دينياً بكونها مركزاً لعبادة « ادونيس » وفيها من الآثار مقبرة ملوك جبيل ، وهي عبارة عن سراديب محفورة في الصخر ، كما عثر فيها على ناووس ، نقشت على جوانبه اقدم ابجدية كتابية (١٢٥٠ ق.م).

ومن الملاحظ ان جميع قرى القطيف كانت محاطـــة باسوار ذات ابراج على شاكلة القلعة ، تقي سكانها من سطو البدو وغاراتهم المتتاليـــة في الايام السالفة ، أما الآن فقد أهمل شأنها ، فتداعى بناؤها ، لاستتباب الأمن في ربوع هذه المنطقة .

ومن الجدير بالذكر ان نشير الى ان الغالبية العظمى من سكان القرى الفلاحين يقطنون البساتين ، بعضهم بصورة دائمة ، والبعض الآخر يتخذها مصيفاً حيث يرحل عنها في الشتاء الى القرية .

ويستنتج مما سبق ان سكان مدينة القطيف وقراها يقدرون بمائة وخمسين الف نسمة في الوقت الحاضر على وجه التقريب ، لأنه لم يوجد حتى الآن احصاء شامل لنفوس هذه المنطقة ، كما يلاحظ ان أغلبية سكانها الساحقة من الشيعـة الذين ينتمون الى المذهب الجعفري بنسبة ٩٦ ٪ واذا استثنينا أهالي قريـــة دارين والجبيل وام الساهك وقرى البادية المنتشرة في صحاريها والقبائل الرحل فان جميع أهالي القطيف وقراها كلهم من الشيعة الجعفرية ، وليس بينهم من ينتمي الى مذهب آخر .

ومن الملاحظ أيضاً ان نسبة السكان زادت على الضعف في خلال ربـع قرن مضى ، لارتفاع الزيادة في نسبـــة المواليد ، وانخفاض نسبة الوفيات ، بسبب وجود الاطباء وانتشار الوسائل الصحية ، ومكافحة الأوبئـــة التي كانت تجتاح السكان في العهود الماضية ، ولا شك ان لتوفر المواد الغذائيـــة كالفاكهة والخضار المستوردة من الخارج ، ووجود مياه الشرب النقية المستخرجة من الآبار الارتوازية ، وتقدم الوعي الصحي ، وانتشار الطب الوقائي .. لها جميعها أيضاً أكبر الاثر في تحسن الصحة العامـــة وانخفاض نسبة الوفيات واضطراد الزيادة في نسبة السكان .

كما يشاهد في السنوات الأخيرة أيضاً ازدهار حركة العمران في مدينة القطيف وضواحيها على السواء ، فضاقت مساحتها القديمة المحاطة بالاسوار عن استيعاب هذه الحركة ، فأخذت المباني الجديدة تلتهم المساحات المجاورة والبساتين القريبة حيث تضاعفت اثمانها ، كما قامت فيها بعض العمارات والفلات الحديثة ذات البناء المسلح ، وان كان أكثرها يرجع الفضل فيه الى القروض البعيدة الأجل التي تمنحها أرامكو لعمالها ، وقد قامت حكومتنا الجليلة في السنوات الأخيرة بمنح البلدية مساعدات فعالة لفتح الطرق والشوارع وتبليطها وعمل بعض المشاريع الحيوية ، حيث يتوقع في الأيام القليلة القادمة أن يتبدل الوجه الكالح لهذا البلد التاريخي القديم .

٣

سكانها وحضارتها

الهجرات الاولى . الكنعانيون . العمالقة . الفينيقيون . الجرهانيون . العرب البائدة . القبائل العدنانية . بنو عبد القيس . القرامطة . التشيع والشيعة . الهجرات الحديثة .

١ ــ الهجرات الاولى

يذهب كثير من العلماء والباحثين في أصل الأجناس والسلالات .. الى ان العرب هم الأصل للعرق السامي(١) ومن أرومتهم تفرعت الاقـوام الاخرى ، وتشعبت قبائلها ، ولهذا الفريق شواهد تاريخية وعرقية ولغوية يدعم بها حجته

(١) هذه النسبة أطلقها العالم النمساوي *Schlozer* لاول مرة على تلك الشعوب التي ذهب الى انها تتحدر من صلب سام عام ١٧٨١ فشاعت منذ ذلك الحين ، واصبحت عند العلمـــاء علما لهذه المجموعة من الشعوب وهي العربية والبابلية والاشورية والكنعانية والفينيقية والعبرانية والارامية والحبشية .

ويثبت آراءه ، وقد حصر الاستاذ برستيد في كتابه « التاريخ القديم » الهجرات التي تعاقبت من شبه الجزيرة العربية الى سبع .. وكان أولها هجرة الكلدانيين الى ما بين النهرين حوالي ٣٦٠٠ ق.م. ؛ وثانيها هجرة الفينيقيين الى سواحل سوريا سنة ٢٦٠٠ ق.م. ، وثالثها هجرة قوم حمورابي الى العراق سنة ١٦٠٠ ق.م. ، ورابعها هجرة الاقوام الاسماعيلية الى شمال بلاد العرب سنة ٦٠٠ ق.م وخامسها هجرة قوم معد بن عدنان الى العراق والى سوريا حوالي القرن الاول للميلاد ، وسادسها هجرة القبائل اليمنية بعد سيل العرم سنة ٣٠٠ ب.م. ، وسابعها الموجة الاسلامية الكبرى في سنة ٧٠٠ بعد الميلاد .

وقد شبهوا الجزيرة العربية ببحر يرسل أمواجاً بشرية متتابعة في حقب متعاقبة . حتى قل سكانها بسبب الهجرات المتتالية فاصيبت بفقر الدم ، وقد شبهها شبرنكر بالخزان الذي جهز الهلال الخصيب بالسكان ، وهو أول القائلين عام ١٨٦١ م. بان أواسط شبه الجزيرة هي الموطن الأول للساميين .

ولا يعنينا من ذلك شيء بقدر ما يهمنا من أمر سكان هذه المنطقة بالذات، فلقد توافد على أرضها أقوام عديدة في أزمنة مختلفة ، كما نزح منهم جماعات الى الهلال الخصيب والى أنحاء العالم القديم ؛ حتى خيل لبعضهم .. انها المهد الأول للساميين[1] وأقدم ما استقصي من المعلومات عن أحوال سكانها.. انهم نزحوا من أواسط شبه الجزيرة العربية في حدود الألف الثالث قبل الميلاد ، ويذهب « فلبي » الى انهم نزحوا من الأفلاج والخرج ، واستوطنوا ساحل هذا الخليج .. يدل على ذلك ما خلفوه من مقابر وآثار مماثلة هناك .

فمن تلك الآثار ما عثر عليه رجال شركة أرامكو اذ وجدوا عدداً من

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٦٠ ج ١ .

القبور تقدر بالالوف في مواضع عديدة من هذه المنطقة ، بعضها يقع في جبل المذرى الشمالي وجبل المذرى الجنوبي ، والبعض الآخر في شمالي مدينة القطيف ومقلع جاوان ، وتتكون هذه القبور من تلال عديدة تنشأ في الغالب من قطع الصخور بعضها فوق بعض ، وتتألف من غرفتين وأحياناً من طابقين من الغرف يوضع في داخلها الموتى ثم يهال عليها التراب فتتخذ شكل التل .

كما توجد أيضاً لهذه القبور نظائر في جزيرة البحرين (أوال سابقاً) في موضع يسمى المراقيب يقع غربي الرفاع ، ويشتمل كل مدفن على حجرتين الواحدة فوق الاخرى مبنية من قطع صخور ضخمة ، ويوجد على جوانبها حجر ومعابر مسيَّعة بطين على غاية من الضبط والاتقان ، وقد عثر فيها على بعض الهياكل البشرية ، وقد فتح المستر بنت بعضها وأرسل ما وجده فيها من آثار الى المتحف البريطاني ، فقررت لجنة المعهد بان هذه القبور من أصل فينيقي ، ويرجع تاريخها الى نحو من خمسة آلاف سنة[1] .

٢ ـ الكنعانيون

على ان الباحثين في كرنولوجية هذه المنطقة يذهبون الى أن أول قوم عرفوا بانهم سكنوها .. هم الكنعانيون ، وهم أقوام سامية[2] ويبدو انهم نزحوا الى شواطىء الخليج حين انحسر الماء عن المنطقة ، وطرأ الجفاف على أواسط شبه

---

(١) التحفة النبهانية ج ٦ ص ٤٦ و ٥٠ .

(٢) يرجع المسعودي نسبهم الى كنعان بن سنحارب بن نمرود الاول بن كوس بن سام بن نوح ، وبعضهم يقول انها حامية ، ويذهب بروكلمن الى ان الروايات التي ترجع نسب الكنعانيين الى حام هي عبرانية المصدر ، فقد تعمد العبرانيون اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام لاسباب سياسية ودينية ، حيث انهم اصطدموا بالفينيقيين وحدثت بينهم منافسة شديدة .

الجزيرة العربية نتيجة لتقلبات جيلوجية حدثت في الالف الثالث قبل الميلاد . وربما كانت تلك التقلبات..هي ما أطلق عليه بعض المؤرخون اسم الطوفان[1].

فقديماً – كما بينا سابقاً – ان هذه المنطقة كانت من ضمن المناطق التي تغمرها مياه البحر ، وان أواسط شبه الجزيرة العربية – كما يذكره المؤرخون لم تكن على هذا الشكل الذي نعهده الآن ، فقد كانت في عصر البلايستوسين[2] موفورة الخصب كثيرة المياه ، تتساقط عليها الأمطار بغزارة ، وتغطي سهولها الاشجار والنباتات ، وقد مضى عليها شطر من العصر الجليدي كانت هضباتها .وأوديتها خضراء عامرة بالسكان .

ويذهب كثير من علماء طبقات الارض الى أن هذا الجفاف طرأ على شبه الجزيرة في حدود الالف الثالث قبل الميلاد ، أو في العصر الحجري *NEOLITHIC* نتيجة لانحسار الماء عن أطرافها ونتوئها عن سطح البحر، وقد أدى ذلك الى تغير كبير في مناخها وأحوالها ، فبعد ان كانت الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة تصل باستمرار الى أرض الجزيرة ، وتنزل عليها الغيث ، فتحول بقاعها الى بسط خضر ، وأوديتها الى أنهار جارية طرأ عليها هذا التغيير المفاجيء فحول سهولها الخصبة الى صحارى قاحلة ، حتى اضطر سكانها الى تركها والارتحال منها ، والهجرة الى أماكن تتوفر فيها ضروريات الحياة ، فكانت نتيجة ذلك تعاقب الهجرات منها الى العراق وسوريا ومصر كما أشرنا سابقاً .

وكان الكنعانيون من جملة أولئك الذين نزحوا منها ، وقدموا الى ساحل

---

(١) يستنتج من اقوال المؤرخين ان هناك نوعين من الطوفان اللذين أثرا في جغرافية الارض الطبيعية ، الاول الطوفان الكبير وهو طوفان نوح ، والثاني الطوفان الصغير الذي حدث سنة ٢٣٤٨ ق. م. كما جاء في كتاب تاريخ الخلفاء ترجمة نخله مشغوات من الفرنسية .

(٢) عصر البلايستوسين *PLEISTOCENE* يرجع الى ما قبل ٣٠٠٠ ق. م.

الخليج ، ويبدو أنهم رأوا بادىء ذي بدء في هذه المنطقة بعض الينابيع العذبة الحلوة التي كانت متفجرة في قاع البحر من سواحل هذه المنطقة[1] ونتيجة لانحسار الماء عن هذه البقاع أخذت هذه الينابيع تسيح على وجه الارض ، فاكتست بقاعها بحلل خضر ، فرأى فيها الكنعانيون مرابع صالحة للسكنى والاقامة فيها .

ويشير صاحب منجد العلوم الى موطن الكنعانيين فيصفهم بانهم قبائل سامية ، ظهرت أولاً على ساحل خليج العجم (الخليج العربي) ثم ارتحلت الى سوريا ، فبعضها استوطنتها واشتغلت بالزراعة ورعاية المواشي ، وبعضها استقرت على شواطىء البحر الابيض المتوسط ومنها نشأ الفينيقيون الذين تعاطوا التجارة والصناعة والملاحة .

ويذهب فريق من المؤرخين الى ان اقامتهم كانت في بادىء الامر في جزيرتي (تيروس) التي هي جزيرة تاروت و (آراد) احدى جزر البحرين التي تسمى الآن عراد ، كما يدل على ذلك اسمها ،أو هي جزيرة المحرق كما يذهب اليه البعض ومن ثم انتشروا على الساحل ؛ ومهما يكن نصيب هذا القول من الصحة فمما لا شك فيه انهم أقاموا في هذا الصقع ، وأنشأوا فيه مدناً عامرة ، وفيه تفرعت قبائلهم .

وعلى الرغم من ان القبائل التي تفرعت منهم ، والتي اتخذت فيما بعد أسماء جديدة فانها لم تهمل اسمها الاول ، فقد كان الفينيقيون بعد هجرتهم الى لبنان كانوا يسمون بلادهم ببلاد كنعان كما يستدل على ذلك من مسكوكاتهم ،

---

(١) يوجد بالقرب من سواحل هذه المنطقة وسواحل جزيرة البحرين عدد من العيون المتفجرة في قاع البحر على بعد نحو من ٢٥ ميلاً عن الساحل ، وعلى عمق ٣٥ قدماً فأكثر ، وهناك حوالي ٢٠٠ عين لها اسماء معروفة يستقي منها البحارة عدا الينابيع الصغيرة والمجهولة التي لا تحصى .

ويذكر القديس أغسطين ان أبناء المستعمرات الفينيقية القديمة لم يكونوا في أيامه قد نسوا وطنهم الاول ، فكان الفلاح اذا سئل من هو ؟ أجاب انه كنعاني [١] .

ويقول فريد وجدي في دائرة معارفه أنه في سنة ٢٥٠٠ ق.م. أخذت سواحل البحر الابيض المتوسط في آسيا تأهل بقوم نزحوا من الشرق ، وقالوا انهم من الكنعانيين ، وكانت مدائن الكنعانيين على سواحل الخليج في اقليم بلاد العرب المعروف – الآن ـ باسم القطيف او البحرين [٢] .

٣ ـ العمالقة

وأشهر من تحدر من سلالتهم فئتان ، عرفت احداهما بالعمالقة [٣] والاخرى بالفينيقيين واشتهرت الأولى بالزراعة وشؤون الري وحفر الآبار والعيون التي سنتحدث عنها في الفصل الخامس ، وهي من الأعمال العظيمة التي أصبحت بالاضافة الى منافعها أثراً من آثارهم التاريخية الخالدة .

وقد تواترت نسبة هذه العيون اليهم خلفاً عن سلف ، وقد سمعت عن المرحوم والدي اذ سألته ذات مرة وأنا طفل : من حفر هذه العيون ..؟ فأجابني على الفور انها من أعمال العمالقة . وأشار الدكتور جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام الى ان هناك ـ أي في هذه المناطق ـ آباراً قديمة

(١) تاريخ لبنان ص ١٠٠ .

(٢) ج ٧ ص ٥٩٠ .

(٣) ينتسب العمالقة الى كنعان بن سنحارب بن نمرود الاول بن كوس بن سام بن نوح ، وهم غير العماليق الذين ينتسبون الى لوذ بن ارم والعماليق وطسم وجديس يتحدرون من ارومة واحدة ، فكلهم ينتسبون الى لوذ بن ارم ، فالعماليق سكنوا الحجاز وفلسطين وكونوا فيها دولة وحضارة ، وطسم سكنت هذه المنطقة وسنتحدث عنها ، وجديس سكنت اليمامة .

اشتهر أمرها قبل الاسلام ، ولقدمها نسبوها الى الجن والعمالقة . وهذه العيون رائعة من روائع الفن والهندسة ، ودليل مادي على تقدم الحضارة والمدنية والعلم عند هؤلاء القوم .

ويبدو ان تلك الينابيع التي أشرنا اليها فيما سبق والتي كانت تسيح على وجه الارض ، والتي أغرت آباءهم الكنعانيين بالاقامة في هذه المنطقة قد شحت مياهها على مرور الزمن ، فانتجعوا جوف الارض يحفرون تلك العيون ، ليعوضوا عنها ، والمتأمل في هذه العيون ذات الاشكال الهندسية المربعة يستدل منها أيضاً على انهم قد قطعوا شوطاً كبيراً في ميادين العلم ، وأن لهم خبرة فائقة في جيلوجية الارض ، يدل على ذلك مواقع هذه العيون ، وتقارب بعضها من بعض في مواضع كثيرة وانعدامها في بعض المناطق .

ويبدو أن هؤلاء قد آثروا البقاء في هذه المنطقة على العكس من أبناء جلدتهم الفينيقيين لاشتغالهم بالزراعة ، وقد احتفظوا بطابعهم ولسانهم ، فقد أشار الى ذلك ابن الاثير في تاريخه .. الى ان أهل البحرين[1] وعمان هم من العمالقة الذين يقال لهم الكنعانيون ، وهم عرب ولسانهم عربي .

ويستنتج مما كتبه المؤرخون .. ان هناك قوماً آخرين يدعون بالعماليق ، وهم غير العمالقة الكنعانيين الذين سكنوا هذه المنطقة ، وينتسب هؤلاء الى عملاق ابن لوذ سكن بعضهم الحجاز وفيهم وفي جرهم نشأ اسماعيل وتعلم اللغة العربية ، وقسم منهم هاجر الى أرض فلسطين ومنهم جماعة الهكسوس الذين غزوا مصر واحتلوها وسيطروا عليها حيناً من الزمن (٢١٦٠ ـ ١٥٨٠ ق.م) .

---

(١) يطلق على هذه المنطقة في الصدر الاسلامي اسم البحرين وقد جرى على ذلك المؤرخون العرب .

٢ ـــ الفينيقيون

أما الفينيقيون وهم الفئة الثانية التي تفرعت من الكنعانيين ، فقد اشتهرت أكثر من الأولى .. ذلك انهم تميزوا بطابع خاص، فقد جبلوا على الطموح وحب المغامرة ، وهذا راجع الى طبيعة عملهم اذ حصروا اهتمامهم في الملاحة والتجارة ولهذا السبب نفسه ترجع التطورات التي طرأت على حياتهم من نزوح جماعات منهم الى الهلال الخصيب طمعاً في الفتح والتوسع .

واسم الفينيقيين مشتق من فينقس *Pheinicie* وهو لفظ يوناني معناه النخل ، وقد أطلق اليونانيون عليهم هذا اللقب حتى غلب على لقبهم الأول فعرفوا به[١]، والنخل شجر معروف منبته البلاد العربية في هذا الاقليم ، حتى قيل في المثل « كجالب التمر الى هجر » ، وقد كان هذا الاقليم مشهوراً بكثرة النخل حتى في عهد متأخر ، فقد وصفه الرحالة ابن بطوطة .. بان فيه من النخل ما ليس ببلد سواه ، وقد اتخذ الفينيقيون هذا الشجر شعاراً لهم منذ نزوحهم من موطنهم الأول ورمزاً لدولتهم التي امتدت رقعتها ، فصوّروه على مسكوكاتهم ، وقد عثر لهم على كثير من هذه النقود في مدنهم ومستعمراتهم كقرطاجنة في سواحل تونس وأتيكه وقادش .

ويذهب البعض الى ان موطن الفينيقيين الاصلي هو لبنان ، وانهم أتوا الى الخليج عن طريق الفتح والتجارة ، وهذا القول لا يستند على أساس صحيح ،

---

(١) يذكر محمد فريد وجدي في دائرة معارفه ج ٥ ص ١١٣ : ان اليونانيين اطلقوا عليهم هذا الاسم لما انتشروا في سواحل الشام بين لبنان والبحر الابيض المتوسط ، وكانوا من قبل يسمون الكنعانيين ، اي قبل نزوحهم من الخليـج العربي في اقليم بلاد العرب المعروفة باسم البحرين او القطيف .

وتكذبه الوقائع التأريخيـة ، ولأن لبنان ليس بلد نخل ، ويدحضه ما كتبه هيردوتس[١] Herodote في تاريخـه : ان الفينيقيين كانوا يسكنون في بحر أريثريا كما يقولون هم أنفسهم ، وقد انتقلوا من هناك الى سواحـل سوريا فقطنوها[٢] ويقصد ببحر أريثريا الخليج العربي ، كما تردد ايضاح مقصده أكثر من خمس مرات في كتابه ، ثم ما ذكره أيضاً في وصفه لمدينة بابل بان نهر الفرات يمر وسط المدينة ويقسمها شطرين وهو نهر سريع الجري مخرجه من أرمينيـا ومصبه في بحر أريثريا[٣] .

وفي محل آخر يذكر تاريخ هجرة الفينيقيين الى سواحل سوريا وتأسيسهم مدينة صور بموجب التقرير الذي تلقاه من كهنة آلهة هركل عند زيارتـه لبنان سنة ٤٥٠ ق م. الى ان هـذه الهجرة ترجع الى ٢٣٠٠ سنة ، أي الى ٢٧٥٠ قبل الميلاد .

ويدحض هذا الرأي أيضاً ما ذكره المؤرخ اليوناني استرابون STRAPO عند زيارته لهذه المنطقة : بان سكان هذا الخليج يقولون بان سكان مدينتي صور وأرواد اللتين يسكنها الفينيقيون .. هم من مهاجريهم ، وان هاتين المدينتـين كانتا من مستعمراتهم ، ويضيف في موضع آخر نقلاً عن أهالي هذه المنطقة .. بان أسماء جزرهم ومدنهم هي مثل أسماء ومواضع الفينيقيين . وعلى الرغم من مرور الفي سنة على زيارته لهذه المنطقة فان تلك الأسماء لا تزال هي هي .. لم

---

(١) هو المؤرخ الرحالة اليوناني المتوفى سنة ٤٢٥ ق. م. . وهو اول اوربي الف كتـاباً في التاريـخ باسلوب علمي حيث اتخـذ من الماضي موضوعاً للحاضر ومادة للمناقشة لذلك لقبـه سيشرون Cicero الشهير بابي التاريـخ ، وقد تناول في كتابه « التاريـخ » الصراع بين اليونان والفرس ، وهو يعد من اهم المراجع لمعرفة احوال الاقدمين وان لم يخل كتابه من الاساطير .

(٢) ج ٢ ص ٩٣ .

(٣) ج ١ ص ٩٣ ،

تتغير ، وان طرأ عليها بعض التحريف البسيط ، فهنا بلدة جبيل الواقعة شمالي صفوى ، وهناك في لبنان أيضاً بلدة من مدنهم اسمها جبيل تقع شمالي بيروت ، وكذلك بلدة صور التي تقع في الساحل العماني ، ومثلها مدينـة بهذا الاسم في جنوبي صيدا بلبنان ، كما ان اسم جزيرة أراد (عراد – البحرين) قريب من لفظة أرواد ، اسم الجزيرة التي تقع في البحر الابيض المتوسط على بعد ٣ كم عن شاطىء طرطوس ، وقس على ذلك الكثير لو تتبعنا هذه الأسماء ، وتعمقنا في مقاطع ألفاظها .

ويظهر ان هذا الوهم الذي بنيت عليه هذه المزاعم نشأ من تبادل الفينيقيين التجاري مع سكان الخليج أخيراً ، واحتكارهم تجارة بلاد العرب وسواحـل الخليج في أواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وأواخر القرن العاشر قبـل الميلاد . فقد حدثنا فريد وجدي في دائرة معارفه .. ان الفينيقيين بعـــد أن تخلصوا من حكم الاسرة الثامنة عشرة الفرعونيـــة سنة ١٦٧٠ ق.م. امتدت أسفارهم الى البحر الاحمر فاحتكروا تجارته وتجارة بلاد العرب وسواحل الخليج العربي ، وفي سنة ٩٧٠ ق.م. حين استحوذ الفينيقيون على التجارة بعد القضاء على حلفائهم الاسرائيليين واستيلاء شيشنق فرعون مصر عـــلى بلاد يهوذا من فلسطين وخلا لهم الجو .. توسعوا فامتدت تجارتهم الى البحر الاحمر والخليج العربي[١] فلا يستبعد ان يكون هذا الوهم نشأ من التباس الأمر عليهم ، فـــلم يفرقوا بين هجرتهم الاولى من الخليج ، وبين مجيئهم اليه أخيراً عبر البحر الاحمر لأغراض تجارية بحتة .

ومن الثابت عند المؤرخين .. ان للفينيقيين طبيعة متأصلة في الطموح وحب المغامرة ، فقد كانوا يتمتعون بنشاط كبير في ميدان التجارة، وقد أدى نشاطهم

---

(١) ج ٧ ص ٥٩٢ و ٥٩٤ .

هذا الى ان يخرجوا من محيطهم الضيق ، ويجتازوا حدودهم الى أنحاء العالم القديم طمعاً في الفتح والتوسع ، ولكي يوجدوا أسواقاً جديدة لتجارتهم المزدهرة ، فتدفقوا في بلاد ما بين النهرين ثم الى سوريا ، حيث انتشروا في سواحلها ، وأسسوا فيها المدن التي ما زالت تعرف بأسمائهم حتى الآن .

فمن مدنهم التي أسسوها دمشق سنة ٢٥٠٠ ق.م. وصيدا سنة ٢٥٠٠ ق.م. وجبيل سنة ٢٤٠٠ ق م. وصور سنة ٢٢٠٠ ق.م. وبيروت سنة ٢٢٠٠ ق.م وحماه سنة ٢١٠٠ ق م. وعكا سنة ٢٠٠٠ ق.م.[1] وقد نشروا في هذه المناطق حضارتهم التي نقلوها معهم من الخليج ، ومن جملتها الحروف الهجائية ومن ثم انتشرت في أنحاء العالم القديم .

وبعد ان استقر بهم المقام في سواحل سوريا قاموا بجولاتهم في البحر الابيض المتوسط فوصلوا الى مصر سنة ٢٢١٢ ق. م. أيام كانت قبائل الهكسوس وهم قبائل العرب الرعاة تسيطر عليها ، وأسسوا مدينة ايطانوس في جزيرة كريت وجعلوا لهم مراكز في جزيرة قبرص ، ومحطات تجارية في سواحل كيليكيا .

ثم انطلقت أشرعتهم في البحار فوصلوا البحر الاسود وأسسوا هناك مراكز لتجارتهم ، ثم داروا حول شواطىء افريقيا الشمالية فأسسوا مدينة قرطاجنة بسواحل تونس التي كانت عاصمة لجمهورية عتيدة من سلالتهم استمرت حتى بعد القضاء على دولتهم في سوريا .

ويحدثنا التاريخ ان المصريين القدماء بعد تمكنهم من طرد الملوك الرعاة الذين حكموها زهاء خمسة قرون في عهد الملك احمس مؤسس الاسرة الثامنة عشر في القرن ١٨ قبل الميلاد .. اتجهت أنظارهم الى آسيا ، فهاجم الملك تحوتمس الاول

---

(١) تاريخ لبنان ص ٥٥٩ .

فينيقيا ، ولما تولى تحوتمس الثاني جهز جيوشاً الى البلاد السورية ففتحها بدون حرب ، فصارت فينيقيا تابعة لمصر منذ سنة ١٧٥٠ ق.م حتى سنة ١٦٧٠ ق.م اذ انفصلت عنها فتحررت في عهد الاسرة العشرين .

ولما توفي الملك داوود سنة ١٠١٩ ق.م. وخلفه سليمان بعث له ملك صور الفينيقي « احيرام » يهنئه بمناسبة اعتلائه العرش، فتوطدت العلاقات الطيبة بين الشعبين ، فتحالف الفينيقيون مع الاسرائيليين ، وشاركوهم في التجارة ، غير انالفينيقيين ضاقوا بهم ذرعاً اخيراً وشعروا بمنافستهم لهم اذ استأثروا بالمصالح، فأثروا على حسابهم حتى أصبح ملكهم سليمان مضرب المثل في الغنى والثروة .. لذلك حين هاجم شيشنق فرعون مصر بلاد يهوذا بعد وفاة سليمان بخمس سنين عام ٩٧٠ ق.م. ودخل بيت المقدس واستولى على خزائنه .. تخلى الفينيقيون عن مناصرتهم ، ورأوا في ذلك فرصة سانحة للقضاء عليهم .

وفعلا فقد تنفسوا الصعداء فاستعادوا نشاطهم التجاري وامتدت تجارتهم الى البحر الاحمر والخليج العربي ، وخفقت قلوعهم في شواطىء البحر الابيض المتوسط ، فامتلكوا سواحل ايطاليا وسردينيا وصقلية وسواحل افريقيا الشمالية واسبانيا ، وعبروا مضيق طارق ، فدخلوا ثغور البرتغال ووصلوا الى جزيرة « كستريد » في جنوبي انكلترا التي اكتشفوا فيها معدن القصدير واستأثروا بتجارته ، ومن ثم عبروا بحر الشمال فبلغوا بحر البلطيق الذي سموه ببحر الكهرباء .

ويحدثنا هيرودتس بان الفينيقيين أخذوا في التوسع الى حد كبير ، فقد وجهوا الى اغريقيا حملة عظيمة فهاجموا باسطولهم أرخبيل جزر اليونان فسيطروا عليه ، ولم يستطع الاغريقيون الوقوف أمام زحفهم فولوا الادبار ، ووقفوا موقف المتفرج وهم يطوفون في مدنهم في أيديهم المشاعل ، ثم يستطرد

هيردوتس فيصف الوسائل التي مكنتهم من اجتياز كل عقبة تقف في طريقهم ، فيذكر انهم كانوا يأتون بنوع من الصمغ يسمى ميعه من جزيرة العرب – آخر المعمور – على حد قوله – الى بلاد الاغارقة فيحرقونه ليشردوا بدخانه أنواع الحيات الخبيثة التي تكمن في الغابات فيقف خطرها مانعاً من تقدمهم في فتوحاتهم .

وقد خضعت فينيقيا للاشوريين في الفترة بين ٨٧٦ – ٦٠٥ق.م[١] الا مدينة صور فانها استعصت عليهم ، وقد هاجمها سرجيون الثاني ملك الآشوريين فلم يستطع فتحها ولكن نبوخذ نصر ملك الكلدانيين غزاها واحتلها بعد مقاومة استمرت ثلاث عشرة سنة فخضعت للكلدانيين ثم للميديين ولما ظهر قورش مؤسس الدولة الكيانية الفارسية واستولى على بابل .. أخضع جميع الثغور الفينيقية في سوريا لنفوذه[٢] ولكنهم استعادوا استقلالهم سنة ٥٣٨ ق.م[٣].

واستمر الفينيقيون في نشاطهم محتكرين التجارة ودام مجدهم في عالم البحار حتى سنة ٣٣٢ ق م. ففي هذه السنة قام الاسكندر المقدوني بهجوم على مدينة صور على رأس قوة كبيرة تتألف من ٢٥٠ سفينة ، ففتحها بعد مقاومة استمرت ستة أشهر ودمرها ، وأذاق أهلها ألوان العذاب ، ومنذ ذلك الحين أخذ مجد الفينيقيين في التقلص ، وبعد موت الاسكندر دخلت فينيقيا في حوزة البطالسة[٤] مع بقية بلاد سوريا تحت حكم الرومان[٥] .

---

(١) الاطلس التاريخي ص ٧٩ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٧ ص ٥٩٢ .

(٣) الاطلس التاريخي ص ٧٩ .

(٤) اطلق هذا الاسم على ١٦ ملكاً من ملوك مصر المعروفين بالبطالسة ٣٠٩ – ٣٠ ق.م.

(٥) الاطلس ص ٧٩ .

أما دولتهم في شمالي أفريقيا فقد أسستها ديدون اخت بجماليون ملك صور في القرن التاسع قبل الميلاد ، فكانت امبراطورية عظيمة ، عاصمتها قرطاجنة التي تقع بالقرب من تونس ، وبقيت حتى سنة ١٥٠ ق.م. حيث قامت بينهم وبين اليونان وأحلافهم الرومان حروب طاحنة في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد ، وعرفت بالحروب البونيكية انتهت بانهزامهم وبسقوط عاصمتهم قرطاجنة وبقية مراكزهم في حوض البحر الابيض المتوسط(١) وذلك في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد .

وأشار هيرودتس الى قضية حدثت في مدينة « أراعوس » باليونان التي هي أعظم مدن الاغريقيين ، ويظهر انها كانت السبب في تأزم الموقف بينهم وبين اليونان ، فقد ذكر بانهم جاؤوا ببعض البضائع المصرية فاقبل الناس على ابتياعها ومن جملتهم النساء وكان بينهن ابنة الملك ايناخوس، فما كان من الفينيقيين الا ان اختطفوها وأقلعوا بها الى ارض مصر ، وقد ثارت حمية الشعب اليوناني فذهبوا الى مدينة صور واختطفوا ابنة ملكهم(٢) .

وقد وصف بنبونيوس الفينيقيين : بانهم قوم محنكون يلقون الرعب في مواقف الحروب ويأتون السلم من أبوابها. ووصفهم لوسيانوس: بانهم قوم مغامرون لهم ولع بالاسفار أشد ولعاً من آلة البحار ، فهم الذين أرسلوا السفن في البحار ، وهم أول من حاربوا فيها ، وقد حكموا الشعوب عن خبرة ودراية ، وجمعوا بين الحزم في الاحكام والعزم في الحروب(٣) .

وقـــد أجمع المؤرخون او أكثرهم على ان الفينيقيين هم أول أمة اخترعت

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ٧ ص ٥٩٢ .

(٢) ج ١ ص ١٢ .

(٣) تاريخ لبنان ص ٥٦٠ .

صناعة السفن ، ومخرت بها في لجج البحار ، ووصلوا الى درجة عظيمة من الغنى والثروة لم تبلغها أمة من الامم التي كانت معاصرة لهم ،فكانوا يزينون مصنوعاتهم الخشبية بالمعادن الثمينة والعاج ، وينسجون الاقمشة المتنوعة وكانت لتلك المنسوجات شهرة عظيمة في ذلك الزمن(١) .

وقد داروا حول افريقيا واكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح قبل المكتشف البرتغالي فاسكو دي جاما *Vasco de Gama* (٢) ففي سنة ٦١٠ ق.م. كلف نيخو فرعون مصر جماعة من الفينيقيين بان يكتشفوا له حدود افريقيا فسافروا من النيل وعبروا البحر الاحمر وداروا حول شواطىء افريقيا مارين برأس الرجاء الصالح والبحر الاطلنطي ثم اجتازوا مضيق طارق ورجعوا عن طريق البحر الابيض المتوسط ، واستمرت رحلتهم ثلاث سنوات(٣) .

ويرجع اليهم كثير من المنصفين الى انهم كانوا السبب في بعث شعوب آسيا وافريقيا وأوروبا من رقدتها وايقاظها من سباتها الطويل ، وانهم كانوا السبب في تمدن هذه الشعوب وحضارتها بعد ان كانت في حالة يرثى لها من الهمجية والتأخر ، والخلاصة انهم كانوا الى جانب نشاطهم التجاري وتقدمهم الصناعي يسعون وراء الاعمال الخطيرة في تهذيب الامم وتثقيف الشعوب ، وقد ادخلوا في افريقيا عدة معارف كما يعترف هيرودتس – ومن جملتها الحروف التي كانت مجهولة في تلك البلاد .

فقد جاء في تاريخ هيرودتس: ان الفينيقيين الذين صحبوا قدموس ادخلوا في

---

(١) معارف وجدي ج ٧ ص ٥٩١ و٥٩٢ .

(٢) برتغالي من مشاهير النوتيين اكتشف طريق الهند عن رأس الرجاء سنة ١٤٩٨ م. وقد استعان بالعرب من سكان الخليج حين عبر مجاهل المحيط الهندي .

(٣) معارف وجدي ج ٧ ص ٩٥٢ .

اغريقيا (اليونان) عدة معارف ومن جملتها الحروف بعد ان كانت مجهولة في تلك البلاد ، وقد استعملوها على طريقة الفينيقيين ، ولكنها تغيرت بتغير اللغة على مرور الزمن ، فأضافوا اليهـا بعض التبديلات فصارت ذات صور جديدة ، ويضيف قائلاً « ان الاغريقيين أنفسهم يعترفون عن طيب خاطر بانهم هم الذين ادخلوها لذلك سموها بالحروف الفينيقية »[١] .

ومن الثابت عند المؤرخين ان الحروف الهجائية كانت جملة اختراعاتهم ، والمكتشفات الأثرية وعلم مقارنة اللغات اثبتا ان الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية ، وهم أول من نشر في العالم نظاماً خاصاً للكتابة بالحروف الابجدية يضم اثنتين وعشرين علامة ، وربما كانت أعظم اختراع توصل اليه البشر[٢] ، وقد نشروها في أنحاء البلاد التي وطأتها اقدامهم ، وهذا الاختراع نفسه يجعلهم أول رائد للتعليم في العالم ، فاليهم يرجع الفضل في ازدهار الحضارة وتقدم العلوم والفنون .

٥ ـ الجرهائيون

ويتحدث التاريخ اليوناني عن مهاجرين كلدانيين من أهل بابل نزحوا الى هذه المنطقة في الالف الاولى قبل الميلاد تقريباً ، حيث أسسوا مدينة بالقرب من العقير تسمى جرا او الجرهاء[٣] على بعد مايتين استاذه من الساحل أي نحو من ٤٠ كم على وجه التقريب ، وقد نسب الى اسمها هؤلاء القوم ، وقد بلغت هذه

---

(١) تاريخ هيروتس ج ١ ص ٣٥٨ و ٣٩٤ .

(٢) تاريخ العرب – فيليب حتي ج ١ ص ١٥ .

(٣) سبق ان تحدثنا عنها في الفصل الثاني .

المدينة شوطاً كبيراً من الحضارة والازدهار، فكان أهلها يتمتعون بالوان الرخاء والترف، فيكثرون من آنية الذهب والفضة، ويجملون سقوف أبنيتهم وأبواب غرفهم بالذهب والأحجار النفيسة الغالية.

ويذكر استرابون أن أهلها يعدون من أغنى العرب، وقد أطنب في الحديث عنها وفي وصفهم، ويضيف اغاثرسيدس فيذكر الأسباب التي أدت الى بلوغهم هذه المكانة وحصولهم على هذه الثروة فيقول: ان السبب هو نشاطهم في ميدان التجارة، ووجود مختلف وسائط النقل عندهم، فالبضائع التي يستوردونها من جنوب بلاد العرب وأفريقيا والهند يحملونها براً على القوافل الى الغرب عن طريق حائل الى موانىء البحر الابيض المتوسط ومنها الى مصر، أو بحراً الى بابل يصدرونها عن طريق ميناء جرهاء، وان لهم سفناً ضخمة تمخر الاقيانوس الهندي ومراكب تسير في الأنهر، فتصل الى مدينة بابل ثم يصعدون بها الى مدينة أوبيس، ومنها تنقل البضائع العربية والهندية فتنتشر في مدينة مادي واذربيجان والعراق العجمي وأرمينية ثم الى ما وراءها من البلاد.

ويستنتج مما رواه المؤرخون ان الجرهائيين كانوا قوماً مسالمين الى أبعد الحدود، همهم التجارة فحسب، فكانوا من كبار الرأسماليين في العربية الشرقية، وكانت ثروتهم العظيمة تتألف من كنوز الذهب والفضة والاحجار الكريمة، وقد طبقت شهرتهم الآفاق.. الشيء الذي حرك طمع الطامعين من الغزاة للاستيلاء على هذه الثروة.

---

(١) ملك من ملوك السلوقيين الذين امتد ملكهم في أنحاء الهلال الخصيب.

فيحدثنا التاريخ ان الملك انطيوخس الثالث[1] *Antiochus* قاد حملة كبرى وقطع بها دجلة وشط العرب وأبحر باسطوله عبر الخليج العربي قاصداً مدينة الجرهاء طمعاً في الاستيلاء على تلك الثروة الطائلة ، ولكي يخضع الجرهائيين والقبائل الموالية لهم ، ويتم له الحاق هذه المنطقة المهمة بمملكته ، ولكن الجرهائيين المسالمين آثروا ان لا يقعوا معه في حرب لا يعرفون فيها المصير ، فانتدبوا له بعثة تفاوضه ، وتحمل معها رجاء الجرهائيين بان لا يحرمهم من نعمتين أولتهم بهما الآلهة .. وهما نعمة السلام والحرية اللتين هما من أعظم نعم الآلهة على البشرية ، وتقول الرواية انه قنع منهم بجزية كبيرة وعاد ادراجه حيث أبحر الى جزيرة تيلوس *Tylos* ومنها الى سلوقيا عام ٢٠٤ – ٢٠٥ قبل الميلاد .

٦ - طسم وجديس

ويحدثنا المؤرخون العرب عن قبيلة من القبائل العربية البائدة استوطنت هذه المنطقة وسيطرت عليها .. يقال لها طسم ، وهي التي تتفرع من أصل واحد مع جديس التي قطنت اليامة[1] ، والعماليق الذين استوطنوا الحجاز وفلسطين ، ويذكرون ان طسم امتد سلطانها حتى شمل اليامة فبسطت نفوذها على جديس .

---

(١) كانت تسمى جوا فلما صلبت زرقاء اليمامة على بابها سميت باسمها .

ويصفون ملك طسم المسمى عملوق بانه كان ظلوماً غشوماً ، فلم يشكر آلاء نعمته اذ حباه الله أفضل البلاد وأكثرها خيراً ، ففيها الحدائق الملتفة والقصور المصطفة على حد تعبير الرواية ، وفيها صنوف الاشجار والاعناب ، ومع هذا فلم يشكر ربه على ما أسبغ عليه من النعم ، فارتكب أعمالاً شائنة إزاء أبناء عمومته وأذلهم طويلاً وانتهك حرماتهم ، ويردون في قصة هلاكهما اسطورة عجيبة ، ملخصها : ان امرأة من جديس وزوجها أتيا ملك طسم يحتكمان عنده في قضية ، فجانف الحق ، فهجته تلك المرأة ، فلما بلغه ذلك أصدر أمره بان لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى بعلها ، حتى تحمل اليه فيفترعها ، ولم تزل حالتهم هذه حتى تزوجت الشموس بنت غفار الطمسي ، فخرجت على قومها بدمائها تحرضهم :

لا أحد أذل من جديس　　　أهكذا يُفعل بالعروس

فما كان من جديس الا ان ثارت حميتهم ، فدبروا مكيدة ضد طسم فأفنوها عن بكرة أبيها ، ومضوا الى ديارها فانتهبوها ، ولم ينج من طسم الا رجل أفلت من قبضتهم ففر الى اليمن ، واستنجد بملكها حسان بن تبع الحميري واستثار نخوته فغزا جديساً في عقر دارهم على حين غفلة ، ولم يغن عنهم فتيلا بصر زرقاء اليمامة التي أنذرتهم قبل وقوع الحادث بثلاثة ايام ، فكان ان باغتهم بهجوم مسلح فابادهم عن آخرهم[١] .

هذا ملخص الاسطورة التي ذكرها المسعودي وغيره من المؤرخين العرب ، ونحن نقف منها موقف المتشكك في صحتها ، فالشعر الذي نسب الى أبطالها

---

(١) تجد هذه الاسطورة مفصلة في مروج الذهب ج ٢ ص ٥٣ .

مهلهل الاسلوب مبتذل التراكيب لا يمكن ان يكون شعراً جاهلياً[١] ومن جهة أخرى ان زمان الحادث كما يستفاد من تاريخ تلك الدولة اليمنية .. هو القرن الخامس قبل الميلاد ، وهذا يخالف الوقائع التاريخية ، اذ كانت هذه الفترة تعد من الحقبة التي سيطرت فيها قبائل ربيعة على هذه المنطقة حيث ظلت خاضعة في شؤونها لملوك الحيرة ، ومن جهة ثالثة المتناقضات التي حفلت بها الاقصوصة ، فالمتزوجة التي حرضت جديس من قبيلة طسم وهذا يخالف العصبية القبليـــة واخيراً المبالغات التي تتخلل وقائعها ، كالمبالغة في قوة بصر زرقاء اليمامـة .. لذلك فاننا نقف من هذه الاسطورة موقف المتحفظ في نقلها ، والمتشكك في صحتها ، وقد ذكرناها في هذا الفصل على سبيل الالمـام ، وأغفلنا ذكرها في الفصل الذي يتناول التاريخ السياسي لهذه المنطقة للاسباب نفسها .

٧ ـ القبائل العدنانية

وذكر الدكتور جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام اسم قبيلتين من القبائل التي قطنت هذه المنطقة ، وهما جلبوس *Gaulopes* و كتني *Chateni*[٢]

---

(١) من هـذا الشعر ما ينسب الى طسم حـين نزلت البحرين (اي منطقة الخليج) كما ذكره المسعودي .

اني أنا طسم وجدي سام — سام بن نوح وهو الامام
لـما رأيت الاخ والاعلاما — قلت لنفسي الحقي السواما
أخاك عملاق وذو الاقدام — يافث لا كان وليي حام

وما ينسب الى زرقاء اليمامة لما باغت ملك اليمن جديس :

اني أرى بشراً من خلفه شجر — فكيف تجتمع الاشجار والبشر
ثوروا باجمكم في وجه أولهم — فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

(٢) ج ١ ص ١٤٠ .

ولم نعرف من أمرهما شيئاً ، غير ان اسم القبيلة الثانية يوحي بوجود صلة وثيقة بينها وبين اسم الخط الذي يطلق على هذه المنطقة الساحلية .

أما من سكن هذه المنطقة من القبائل العربية في الفترة التي أعقبت ميلاد المسيح .. فأشهرها قضاعة ، وهي فرع كبير من القبائل العدنانية التي نزحت الى هذه المنطقة في أوائل القرن الاول للميلاد ، وكان على رأسها مالك بن فهم ، ويحدثنا التاريخ : انه كان في هذه المنطقة قوم من النبط يسيطرون عليها[1] ، فأجلتهم قضاعة عنها وحلت محلهم ، وفي أثناء ذلك لحق بها جماعات من القبائل العدنانية تتزعمها قبيلة الازد ، فانضموا اليها ، فاتفق الزعيمان .. زعيم قضاعة وزعيم الازد على تكوين حلف بينهم .. حلف دفاع وصداقة ، وتعاقدوا على التناصر والتعاضد فيما بينهم ، وتحالفوا على التنوخ (اي المقام) فتسموا تنوخاً ، وصاروا يعرفون بهذا الاسم .

وبعض النسابين العرب يرجع نسب قضاعة الى القحطانيين ويذكر انها خرجت من اليمن بعد سيل العرم مع من خرج في حادثة سد مأرب[2] وانها أتت الى هذه المنطقة فقطنتها ، وتحالفت مع الازد ثم انفصلت اخيراً عنها ،حيث

---

(١) يطلق اسم النبط على الكلدانيين والسريان من سكان العراق كما يقول المسعودي فلا يبعد ان يكون هؤلاء من بقايا الجرهائيين الذين تحدثنا عنهم فيما سبق اذ يرجع نسبهم الى الكلدانيين من أهل بابل .

(٢) مأرب اسم مدينة كانت حاضرة الدولة المعينية باليمن وكانت آهلة بالسكان وهي تقع في نهاية واد فسيح يتجه الى الجنوب ، وتضيق رقعته شيئاً فشيئاً حتى يلتقي بمجرى السيول المتحدرة من جبل السراة ، وقد أقاموا في جانبي سفح الجبل سداً قوياً رائع الهندسة وجعلوا على جانبه مصارف بطرق هندسية رائعة منتظمة ، فلما تصدع السد انطلقت المياه الحبيسة في شعاب الوادي وغرقت المدينة فهلك الزرع والضرع ، وفر السكان على أوجههم لا يلوون على شيء وتفرقوا في أنحاء البلاد .

نزحت الى العراق ، وأسست الدولة التنوخية . وهـذا القول يناقض الحقائق التاريخية ، فخراب سد مأرب على الرغم من الاختلاف في تاريخ حدوثه ، بين ٣٠٠ و ٥٧٠ ب.م. كان في عهد متأخر عن تأسيس الدولة التنوخية في العراق[١] التي امتدت من ١٣٨ – ٢٦٨ ب.م.

من هذه الادلة يتعين انتساب قضاعة الى العدنانيين كما ينص على ذلك كثير من النسابين والمؤرخين ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الاثير مفصلا ، وكما أشار اليه فريد وجدي في دائرة معارفه[٢] وما نص عليه الاستاذ برستد من ان هجرة قوم معد بن عدنان وتفرقهم في أنحـــاء البلاد كانت في أعقاب القرن الاول قبل الميلاد .

٨ ـ بنو عبـد القيس

وقد تثبتت اقدام العدنانيين في هذه الفترة بالذات فتقاطرت على هذه المنطقة اقوامهم من ربيعة وقضاعة واياد ، ووفدت اليها منهم قبائل كثيرة ، وكان لاياد بعد جلاء قضاعة نفوذ واسع امتد حتى شمل منطقة الخليج كلهـــا وتغلغل في

---

(١) سنأتي على ذكرها بشيء من التفصيل في الفصل القادم .

(٢) جاء فيها ما ملخصه : ان العدنانيين ينقسمون الى قسمين : بني عك وبني معد ، فبنو عك سكنو نواحي زبيدة وجنوبي تهامة وليس لهم شأن كبير في حوادث التاريخ ، وبنو معد انقسمو قسمين : بني نزار وبني قنص ، والاولى اكثر عدداً ، وهم عـدة فروع منها قضاعـة ومضر وربيعة واياد وانمار ، وكانت منازلهم في الحجاز ونجد وتهامة ، وكان اول من نزح بنو قضاعة فتفرقت بطونها في جزيرة العرب في نجد والبحرين ومشارف الشام فأنشأوا دولا في العراق وسوريا ، وكان نزوح هذه القبيلة حوالي القرن الاول للميلاد ، ملخص ص ٢٤٥ ٢٤٦ ج ٦ .

الاراضي الفارسية كما سنفصل ذلك في الفصل الآتي ، وبتقلص نفوذهم وفناء معظمهم على يد سابور ذي الاكتاف تربع بنو عبدالقيس فيهذه الرقعة وسيطروا عليها وأجلوا اياد منها واقتسموها بين قبائلهم ، فكان لبني عامر بن عبد القيس منطقة الظهران ، ولبني حفصة منطقة صفوى في الشمال وهكذا دواليك، وقطن معهم بنو عمومتهم بكر بن وائل .

وقد ازدهرت هذه المنطقة في عهدهم في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام وبعدها ، وتقدمت الحياة الفكرية فيها ، فانجبت شعراء وخطباء بارزين كانوا دعامة في الحركة الأدبية في العصر الجاهلي، وكان منهم أصحاب المعلقات الشهيرة في الأدب العربي[١] .

وكانت تقام فيها الأسواق التي هي بمثابة مؤتمرات أدبية موسمية ، فمنها سوق هجر التي تقام في الربيع الآخر من كل عام ، وسوق المشقر التي تقام في جمادي الثانية ، وسوق الزاره والجرعاء ودارين ، فكان يحضرها الشعراء والادباء واقطاب الفكر .

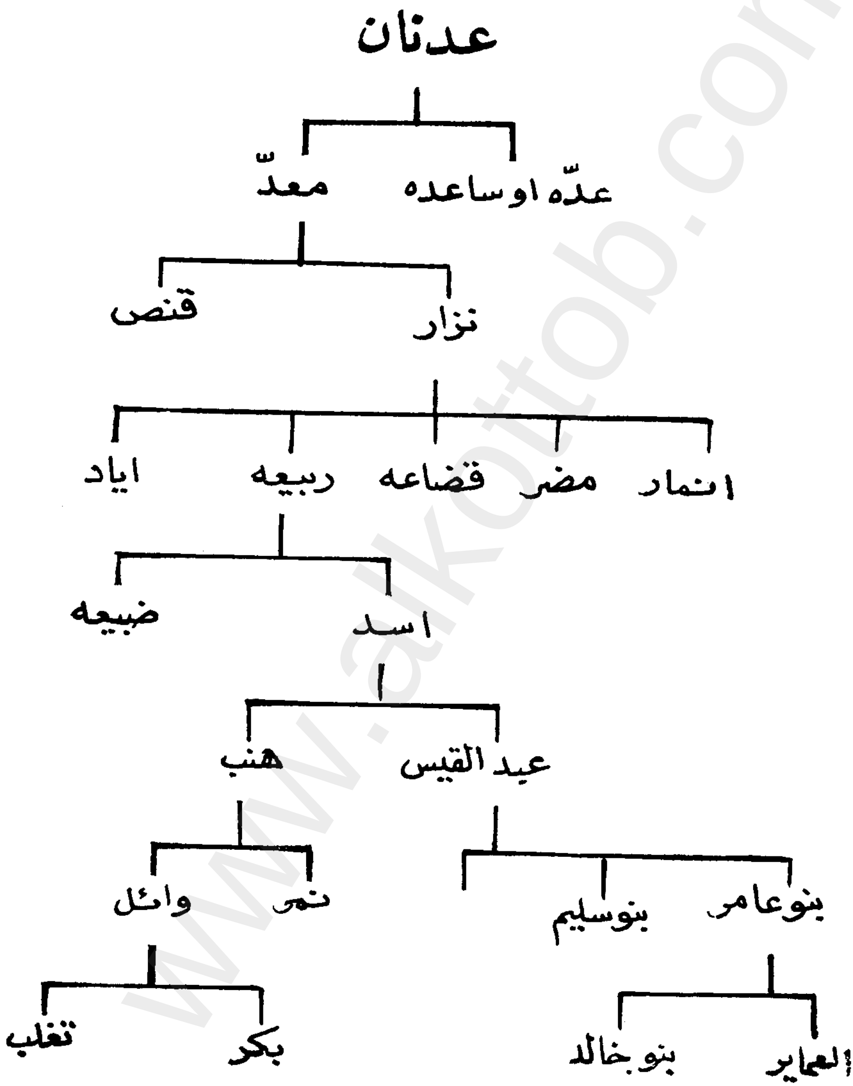
ويستفاد من حديث البلاذري ان أغلب تلك القبائل التي نزحت الى هذه المنطقة كانت تقيم في باديتها حتى ظهور الاسلام على الرغم من سيطرها عليها في بعض الاحيان ، بينما يسكن مدنها مختلف الطوائف والملل والاجناس من المجوس واليهود وهم الحضر الذين ترجع اليهم ملكية الارض .

---

(١) من شعرائها اصحاب المعلقات طرفة بن العبد صاحب المعلقة الشهيرة :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

شجرة لأنساب بعض القبائل العدنانية التي سكنت هذه المنطقة



ولا يبعد ان تكون سيطرة قبيلة طسم البائدة على هذا النحو ، كما هو الشأن في القبائل العربية التي سيطرت على هذه المنطقة حتى في عهد متأخر .

٩ - القرامطة

وممن اقترن تاريخهم بتاريخ هذه المنطقة فئة اطلق عليها المؤرخون اسم « القرامطة » نسبة الى حمدان قرمط[١] الذي ظهر بسواد الكوفة سنة ٢٧٨ للهجرة، وقد سيطرت هذه الفئة على هذه المنطقة نحو قرن من الزمن تحت زعامة اسرة ابي سعيد الجنابي ، وقد كونت دولة قوية ذات بأس شديد ، اتسمت بالقسوة والعنف ، وقد عظم خطرها حتى كادت تكتسح الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في مصر .

وقد بسط القرامطة سلطانهم على نواحي العراق والشام والحجاز ومصر ، وامتلأت نفوس الناس من هيبتهم وبأسهم ، وجبيت لهم الضرائب، ودفعت لهم الاتاوات في بغداد من قبل الخلفاء العباسيين ، وفي دمشق على أمرائها من بني طغج ، وفي مصر حيث كان كافور الاخشيدي يدفع لهم اتاوة قدرها ثلاثمائة دينار ، وكان لهم ممثل في بغداد نافذ الامر .

وعلى الرغم مما قيل فيهم فان دعوتهم ومبادئهم ما زال يكتنفها غموض شديد وحتى المسعودي المؤرخ الشهير الذي عاصر القرامطة لا يعرف من مذهبهم اكثر مما نعرفه ، فهو يذكر انه على الرغم من كثرة المؤلفين الذين عنوا بتاريخ

---

(١) لقب بقرمط لقرمطته في خطه او خطوه ، مشتق من قرمط في مشيه اي قارب بين قدميه ، او في خطه اذا كتبه دقيقاً وقارب بين سطوره .

الملل والديانات، واستعرضوا لذكر النحل والمذاهب، وعلى الرغم ايضاً من نشاط حركة المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والنابتـــه وغيرهم ، واشتغالهم في الجدل وتكريس جهودهم في الرد على مخالفيهم .. فانهم لم يتعرضوا لوصف مذهب هذه الطائفة ، وحتى الفئة القليلة التي تصدت لوصف مذهبهم مثل قدامة بن يزيـد النعماني ، وابن عبدك الجرجاني ، وابي الحسن بن زكريا الجرجاني ، وابي عبدالله محمد بن علي بن رازم الطائي الكوفي ، وابي جعفر الكلابي وغيرهم ، فان كل واحد منهم يصف من مذهبهم ما لا يحكيه الآخر ، وهم – اي القرامطه – ينكرون ما يقال عنهم ولا يعترفون بتلك الاشياء التي تحكى عنهم[١] .

ويذهب الباحثون الى انهم من اتبـــاع المذهب الاسماعيلي ، ذلك المذهب الذي انقسم اتباعه الى قرامطة وحشاشين ، فالقرامطـة هم الذين استولوا على هذه المنطقة وأسسوا فيها دولتهم التي امتدت من سنة ٢٨٣ هـ. الى سنة ٣٦٦هـ. والتي انتهت بموت الاعصم ، أمـــا الحشاشون ويسمون الباطنية ، فهم الذين ظهروا في افريقيا بالمغرب واستولوا على مصر ، وأسسوا فيها الخلافة الفاطمية (٢٩٦ – ٥٦٧ هـ) .

ويذهب صاحب كتاب الفرق بين الفرق الى ان القرامطة فرقة من الباطنية الاسماعيلية التي أسسها جماعـة كان منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، بالاشتراك مع محمد بن الحسين الملقب بذيذان في أوائل القرن الثاني للهجرة اللذين كانا معتقلين في سجن والي العراق ، وقد أسساها في السجن فلما اطلق سراحهما قاما بنشر الدعوة ، فلحق ميمون بالمغرب فبثها هناك، وتبناها في العراق حمدان قرمط الذي ظهر بسواد الكوفة ، واعتنقها ابو سعيد الجنابي الذي كان من اتباع

---

(١) التنبيه والاشراف ص ٣٤٣ .

حمدان قرمط، حيث غادر الكوفة هو واسرته الى بلاد البحرين وضمن مكوسها وعشورها من حكامها بني عبد القيس ، ولعله قدم لهذا الغرض نفسه ليقوم ببث الدعوة ، فتغلب اخيراً على ناحية البحرين .

والاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن الامام جعفر الصادق الذي توفي قبل وفاة ابيه ، فذهب الاسماعيليون الى القول بامامته وتسلسلها في ذريته ، فقالوا بامامة ابنه محمد المكتوم ثم بامامة حفيده جعفر المصدق ، ثم بامامة ابنه محمد الحبيب ، ثم بامامة عبيدالله بن محمد الملقب بالمهدي اول الخلفاء الفاطميين وقد احاطوا دعوتهم بالسرية التامة ، وذهبوا الى القول بان للشريعة ظاهراً وباطناً ، وفسروا القرآن على مقتضى هذا القول فعرفوا بالباطنية ، وقد لعبوا دوراً خطيراً في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ، ولعل من أعمق آثارهم التي وصلت الى ايدينا « رسائل اخوان الصفا » .

وقد اشتهر دعاة الاسماعيليين بمعرفتهم لخواص الاشياء وأسرارها ، فعرفوا طبائع الحيوانات وخصائصها ، وقد ذكر ابو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي الشيء الكثير في كتابه ، كما استطرد في ذكر ما ابتدعوه من الآراء ، ووصفهم بانهم دهرية وزنادقة ، ووصف دعاتهم بالوصولية ، وانهم استغلوا اهل السنة في تأويل الشريعة ، كما استغلوا الشعوبيين في حقدهم على العرب ، وأثاروا النزعة القبلية ، فاستغلوا ربيعة في حقدها على مضر لما بينهما من منافسة شديدة عميقة الجذور .

أما المسعودي معاصر القرامطة ، فيصف دعاتهم وصفاً مشرفاً ويذكر انه التقى ببعضهم وكلم غير واحد منهم ، فلم يجد اكثر دراية وتحصيلاً وتديناً بما

هو عليه وحسن اتقان السياسة التي تكون مع الدعاة[١] .

وتعتبر الحركة الاسماعيلية والقرمطيـــة اول حركة اشتراكية ظهرت في التاريخ الاسلامي ، فقد حاولت ان تقيم نوعـاً من المساواة ، ففرضت ما يشبه الضرائب التصاعديـــة ، فقللت التفاوت في الثروات ، واحتكرت مصادر الثروة الفردية ، واستولت على وسائل الانتاج كالمناجم والاحراج ، واحتكرت الحوانيت والمخازن والافران والطواحين والحمامات وغيرهـا ، كما عملت على الغاء ملكية الارض وتوزيعها على المحتاجين مجاناً ، وذهبت ايضـاً الى مساواة الرجـل والمرأة في الحقوق والواجبات : حتى دعت الى الاقتصار على الزواج من واحدة فقط[٢] .

لذلك وصف بعضهم دعوة القرامطة بانها ضرب من الاشتراكية والشيوعية التي لاقت قبولاً من العمال والفلاحين، فانتظموا في صفوفهم وقد انتشرت دعوتهم في اليمن وخراسان وسوريا وبلاد ما بين النهرين ، وكانت في ظاهرها حركة اصلاحية اجتماعية شاملة .

ولا ينسى المؤرخون الذين اطنبوا في وصف غزواتهم وما قاموا بـــه من ضروب الفتك .. أن يشيروا الى حقيقة واحدة ، وهي اهتمامهم بالصناعـة ، فكانوا في حروبهم – كما يذكرون – لا يبقون على احد عدا الفنيين من المهرة وأرباب الصناعـة ، فانهم يحتفظون بهم ، ويحملونهم الى بلادهم . وهي ظاهرة حميدة تدل على روح حضارية اسدل الستار على الكثير من مآثرها .

---

(١) التنبيه والاشراف ص ٣٣٣ .

(٢) نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ج ١ ص ٤٤ - ٥١ .

وقد وصفهم بعض المؤرخين العرب بانهم نوع من الملاحدة والزنادقة ونسب اليهم البعض الآخر[1] أشياء كثيرة يصعب تصديقها ، كاباحة الخمر والنساء ونكاح البنات والاخوات والتحلل من الواجبات الشرعية كغسل الجنابة وصوم شهر رمضان واستبداله بيوم النيروز والمهرجان ، وتحويل الحج والقبلة الى بيت المقدس واضافة ان محمداً بن الحنفية رسول الله في آذانهم[2] ووصفهم بعضهم بانهم ملحدون لا يؤمنون بشيء ، يشككون الناس في الكتب المنزلة ، ينكرون الرسل والشرائع ، ويقولون بان البعث مهزلة ، وان كل من اتبع الشرائع واحكامها على ظواهرها فليس الا كافراً او حماراً ، اباحيون يستحلون المحرمات ويرتكبون اكبر الجرائم يبيحون لاتباعهم نكاح البنات والاخوات وشرب الخمر وجميع الملذات[3] الى غير ذلك من الاشياء التي يستبعدها العقل ، ونحن لانقف منهم موقف المدافع بقدر ما يهمنا ان نتوخى الحقيقة ، ونستنطق الوقائع على ضوء البحث العلمي الحر ، وبقدر ما يتحتم علينا ان نحكم الحس التاريخي في تلك الفترة العصيبة التي لعبت فيها الحزبية والطائفية .

فمن المعروف عنهم انهم من اتباع المذهب الاسماعيلي ، وان دعوتهم اشتراكية النزعة ، وانهم شهروا السيف في وجوه من حولهم من الخلفاء والامراء والسلاطين ومن يختلف معهم في الرأي . وهذا يكفيهم بان تتألب جميع القوى ضدهم ، وان تجند الاقلام لتشويه حركتهم ، ونحن نعرف ان التاريخ لم يكتب بعد ، وان أغلب ما كتب منه هو تاريخ للملوك والسلاطين قبل ان يكون تاريخاً للحقيقة والواقع ، وان فيه الكثير من التلفيقات التي جاءت تبعاً للاغراض الطائفية والحزبية والأهواء السياسية ، وكثير من كتب التاريخ كتبت اما بايعاز

---

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٣٣٦ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤٤ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ — ٢٩٠ .

من الخلفاء واولي الامر او استرضاء لعواطف اصحاب النفوذ والسلطان ، ثم جاء المتأخرون من المؤرخين فنقلوا ما كتبه المتقدمون على علاته من دون تمحيص واعتبروه حقائق لا تقبل الشك واحاطوه بهالة قدسية .

والأمثلة على ذلك كثيرة ويكفينا ان نذكر قصة الخليفة العباسي القادر بالله حول الاسماعيليين أنفسهم كمثل على سيطرة الأهواء السياسية في ذلك العهد ، فقد حدثنا ابن ابي الحديد .. ان هذا الخليفة عقد مجلساً جمع فيه الاشراف وأعيان الطالبيين والقضاة والفقهاء، وحملهم على ان يكتبوا محضراً يتضمن القدح في أنساب الفاطميين لمجرد بواعث سياسية بحتة ، وكان ان وقع المحضر الكثير منهم تقية وخوفاً : الا الشريف الرضي الشاعر الذي تولى نقابة الطالبيين وامارة الحج غير مرة ، فقد رفض ان يوقع ، ولم يفكر فيما يخبئه له القدر من مغاضبة الخليفة العباسي وانتقامه منه ، أليس هو الذي تحدى القادر بالله ، فقال في الفاطميين :

ألبس الذل في ديار الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي ... اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا الناس ... جميعاً محمد وعلي ...
ان ذلي بذلك الجو عز ... وأوامي بذلك النقع ري

ومما يدل على التلفيقات التي نسبت اليهم ما ذكره السيوطي في تاريخه من انهم يضيفون في آذانهم « ان محمد بن الحنفية رسول الله » وهذا الشيء يتنافى مع الحقيقة ، فالطائفة التي تعظم محمد بن الحنفية وتقدسه وتؤمن به انما هي طائفة الكيسانية، وهي غير الاسماعيلية . أما ما ذكره المؤرخون عن ضروب الاباحية من نكاح البنات والاخوات ، والتحلل من الفرائض الدينية وانتهاك الحرمات

فاننا اذ حكمنا الحس التاريخي فهو يستبعد حدوث ذلك في دولة عمرت حقبة طويلة وهي حرب على المجتمع تمارس ضروب الاباحية وترتكب المحرمات وتستهتر بالاخلاق والدين .

ولعل ما يكشف الستار عن حقيقتهم ، ويدحض الامور التي نسبت اليهم . . تلك الرسالة التي كتبها ابو طاهر القرمطي الى المقتدر الخليفة العباسي . والتي جاء فيها ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، من ابي سعيد الجنابي الداعي الى تقوى الله ، القائم بامر الله الآخذ باثار رسول الله ﷺ الى قائد الارجاس المسمى بولد العباس . أما بعد – عرفك الله مراشد الامور وجنبك التمسك بحبل الغرور – فانه قد وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ، ونممت به عن فخامة اعظامك من التعلق بالاباطيل ، والاصغاء الى فحش الاقاويل من الذين يصدون عن السبيل فبشرهم بعذاب أليم ، على حين زوال دولتك ونفاذ منتهى طلبك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك وهجومهم على معاقل أوطانك صغراً ، وسبيهم حرمك قسراً ، وقتل جموعهم صبراً (أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) وجند الله هم البالغون ، هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر ، كالأسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلداً سيف الغضب مستغنياً عن نصر العرب ، لا تأخذه في الله لومة لائم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) قد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة من بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها ، والقت عليه قناع بوائقها ، وانقشعت طخياء الظلمة ودجنة الضلالة ، وعاشت بحار الجهالة (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) تا الله غرّتك نفسك ، واطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك ما لست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابتك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة وقذفتني بالمثالب السمجة ، (تا الله لتسألن عما كنتم تعملون) فأما ما ذكرت من قتل الحجيج وخراب الامصار ، واحراق المساجد ، فوالله ما فعلت تلك الا بعد وضوح الحجة كايضاح الشمس ، وادعى

طوائف منهم انهم أبرار ومعاينتي منهم اخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . خبرني فيها أيهـا المحتج لهم والمناظر عنهم ، في أي آية من كتاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الاموال من ظهور الايتام ، واحتووها من وجوه الحرام . وأما ما ذكرت من احراق مساجد الابرار فأي مسجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ باسانيد من مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة وأما تخويفك لي بالله وأمرك بمراقبته ، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك ، أترى أني أجهـــل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ، ومنعها عن مستحقيها ؟ يدعى على المنابر للصبيان (الله اذن لكم أم على الله تفترون) وأما مـا ذكرت من اني تسميت بسمة عدوان ، فليس باعظم من تسميتك « بالمقتدر بالله » امير المؤمنين ، أي جيش صدمك فاقتدرت عليه ؛ ام اي عدو ساقك فابتدرت اليـه ، لانت امير الفاسقين أولى بك من امير المؤمنين ، وانك لتقلد بعض خدمك شيئاً من امرك ، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الامرين اقرب للتقوى ، امـا علمت انه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بني عمه واسرته فقد سادهم وعلا فيهم ، وبعد فما لك وللوعيد والابراق والتهديد ؟ اعزم ما انت عليه عازم واقدم ما انت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

لقد تضمنت هذه الرسالة ثورة عنيفة على الاوضاع الاجتماعية السائدة في ذلك العصر ، فهو فيها يدعو الى تقوى الله والاخذ بسنن رسول الله ، ويعلن احتجاجه الصارخ على الفساد الذي احاق بالمجتمع الاسلامي من معاقرة الخمور وانتشار اسباب اللهو والطرب من ضرب الطنبور وعزف القيان وعمل الموبقات كاللواط وارتكاب ما حرم الله من أكل أموال اليتامى وغير ذلك وفيها ايضاً نقد جارح

للاوضاع السياسية .. فأمر المسلمين يوكل للصبيان والموالي والخـــدم يدعى لهم فوق المنابر ، ويتحكمون كيف يشاؤون بمقدرات الامة ويستعبدون الاشراف والسادة ، وفي الوقت نفسه تصرف أموال المسلمين على السماسرة من الصفاعنة والضراطين الذين يحيطون ببلاط الخليفة في حين انها تمنع عن مستحقيها ، وقد اكثر في الرسالة من الدعوة الى تقوى الله والتحذير من الاصفاء الى فحش القول والقذف بالمثالب ، وكأنه يشير الى الحملة المغرضة الموجهة التي قادهـــا ضد حركتهم رجال الدين وخطباء المنابر ، في حين انهم يغضون الطرف عما يحدث في المجتمع من مفاسد ، وما يرتكبون هم أنفسهم من جرائم ، ويشير في نفس الوقت الى حقيقة الوضع آنذاك اذ كانت تستخدم الجوامع لاغراض سياسيـــة وطائفية فكان رجال الدين والوعاظ مطية لاهواء الحكام والسلاطين .

واذا اعتبرنا ادب كل أمة مرآة صادقة لمشاعرها وأداة معبرة عن اخلاقهـا وعواطفها .. فاننا نجد في شعر احد زعمائهم وقادتهم الحسين بن احمد الملقب بالاعصم ما يدل على مثل عليا وقواعد اخلافية فاضله تتنافى مع ما ينسب اليهم من ضروب الاباحية والاستهتار ، ومـــا يعزي اليهم بعضهم من اسطورة الماشوش[1] فمن شعره :

---

(١) جاء في شرح ديوان ابن المقرب ص ٤٦٥ في شرح هذا البيت :

منا الذي ابطل الماشوش فانقطعت ... اثاره وانمحى في الناس وانطسما

« الماشوش بدعة ابتدعتها القرامطة في البحرين وجعلوها ديناً ، وهو ان يجتمع الرجال والنساء في ليلة معلومة عندهم في السنـة ، ويشعلون الشمع ويقومـون يرقصون ويختلطون ، وفيهم اخوات الرجل وامه وبناته وعماته وخالاته ، فاذا استكفوا من الرقص اطفئوا الشموع واختلطوا ، وقبض كل رجل منهم يد امرأة من الجمع وواقعها سواء كانت من محارمه ام اجنبية» وبعضهم عزا هذه الاسطورة الى قرامطة اليمن ، وهذا على العكس مما عرف عنهم ، فانهم نهوا عن شرب النبيذ والفقاع وسماع الغناء واقامة الملاهي ، وشددوا في التضييق على المرأة ، ومنعوا اختلاطها بالرجال على الرغم من اعطائهم حقوقها كاملة ومساواتها بالرجل .

اني امرء ليس من شأني ولا أدبي طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا أبيت عـلى خمر ومخمرة وذات ذل لها بالغنج تأويد
ولا أبيت بطين البطن من شبع وجار بيتي خميص البطن مجهود

بقي شيء واحد نحار في أمره ، وهو انتهاكهم حرمة البيت الحرام ونقلهم الحجر الاسود الى ديارهم ، وقد تواتر عنهم حكاية هذا الحديث في كتب التاريخ وان كان البعض يشك في حدوثه ويعتبرها مجرد اسطورة ملفقة[١] واذا صحت فمما لا شك فيه انها جريمة تستوجب ان يتألب العالم الاسلامي ضدهم ، ويقال انها كانت سبباً في سوء العلاقات بينهم وبين الخليفة الفاطمي ، واذا عللناها بانها تصرف فردي قام به شاب طائش من زعمائهم لا يتجاوز عمره العشرين .. فلا يمكننا ان نغفل مداهنة الخليفة العباسي له الذي خطب وده على أثر هذا الحادث نكاية بالفاطميين ، ولا يمكننا ايضاً ان ننسى نتائج الغارات والفتن التي قاموا بها ، والتي جرّت الويلات والنكبات على المجتمع الاسلامي ، فاضعفت من كيانه ويشاركهم في هذا الوزر كثير من الولاة الذين سيطرت عليهم النزعة الانفصالية فاستأثروا بالحكم ، واستبدوا بالسلطان ، واطلقوا العنان للانانية والحزبيــة والطائفية ، وقد كانت نتيجة ذلك تجزئة الدول الاسلامية وتفتيت وحدتها ، وضعضعة قواها ، حتى اجترأت الدولة البيزنطية على غزو حدودها وشن حروب صليبية عليها خلال تلك الفوضى الاجتماعية والسياسية .

(١) منهم الزميل الاستاذ احمد الراشد المبارك ، ويظهر ان هذا الرأي من جملة أرائه التي سيفاجىء بها قراءه في كتابه « المذاهب الفكرية في الاسلام » .

١٠ ــ الشيعة والتشيع

وهنا يجرنا الحديث الى قضية الشيعة والتشيع في بلاد البحرين[١] فمن المعروف أن سكانها الاصليين أو الاغلبية الساحقة فيها كانوا وما زالوا من المنتسبين الى المذهب الجعفري ، وهم الطائفة الامامية ، التي تقول بامامة اثني عشر إماماً ، آخرهم المهدي المنتظر ، والشيء الذى يدفعنا الى الاشارة الى هذه النقطة بالذات .. تلك الاسئلة التي تدور حول بدء التشيع في هذه المنطقة ، فمتى تكوّن حتى صار على شكله الحاضر ثم متى اعتنقه أهاليها .؟؟

تذهب الظنون الى ان البذرة الاولى تكونت منذ عهد القرامطة الذين ينتسبون الى المذهب الاسماعيلي ، ثم تطور بعدهم بحكم رد الفعل الذي نشأ من سوء تصرفاتهم وأعمالهم حتى صار على شكله الحاضر أي بعبارة أوضح .. انهم نبذوا المذهب الاسماعيلي واعتنقوا أخيراً المذهب الجعفري .

والواقع أن هذه المزاعم مجرد فرضيات ، لا تستند على أسس صحيحة نابعة من مصادر تاريخية ، واذا تتبعنا الاحداث التاريخية وملابساتها .. نجد الادلة تسعفنا بنتائج صحيحة على العكس من هذه الظنون ، انها تقودنا الى الاعتقاد بان التشيع على شكله الحالي .. كان أقدم من عهد القرامطة بزمن طويل .

أن الرواية التاريخية التي تسرد قصة القرامطة بالبحرين باجماع المؤرخين

---

(١) هي البلاد المعروفة الآن باسم القطيف والاحساء وجزيرة البحرين ، والنسبة اليها بحراني ، وما زالت هذه النسبة تطلق على السكان الاصليين ، ويراد بها الشيعي أيضاً ، فكأن كلمة بحراني أصبحت مرادفة لكلمة شيعي عند اخوانهم أهل السنة .

تقول : أن يحيى بن المهدي قدم الى البحرين عام ٢٧٨ هـ وهي الفترة التي تغيب فيها الامام المهدي المنتظر آخر أئمة الشيعة الامامية ، أي في العقد السابع من القرن الثالث ، والتي ما برح فيها الشيعة يتطلعون الى خروجه ، حيث اختفى عن أعين الاعداء ، وتقول الرواية ان يحيى هذا نزل على رجل يسمى علي بن المعلى يغالي في التشيع لاهل البيت ، فأظهر له يحيى بانه رسول المهدي انتدبه ليدعو شيعته الى أمره ، ويبشرهم بخروجه ، فصدقه ابن المعلى ودعا الشيعة من أهل القطيف وتلا عليهم الكتاب الذي سلمه اليه يحيى فأجابوه بأنهم على استعداد لمناصرته اذا ظهر أمره ، وفي نفس الوقت ارسل مبعوثيه الى القرى والارياف يخبرهم بهذا الامر ، فأجابوه بمثل ذلك ، وتستطرد الرواية فتقول .. ثم أن يحيى غاب وأتى بكتاب آخر يشكرهم فيه ، ويأمرهم بدفع مبلغ من المال ، ثم غاب وأتى بكتاب ثالث أيضاً يأمرهم بدفع خمس أموالهم ، وهذا الوضع بالذات يشاكل ما كان عليه السفراء الاربعة المعترف بهم بعد غيبة الامام المهدي ، وهذه القرائن تسوقنا الى الدليل على ان سكان هذه المنطقة كانوا من الشيعة الامامية ، وانهم انخدعوا بأضاليله في أول الامر ، ثم انكشف اخيراً ، وثمة دليل آخر .. ذلك اننا لم نجد في بلاد البحرين قاطبة أي منتسب للمذهب الاسماعيلي ، على العكس من بعض الاقطار التي اعتنقت هذا المذهب ، فاننا نجد فيها بقاياهم حتى الآن .

ثم ان أبا الحسن الجنابي رأس القرامطة ومؤسس دولتهم والذي كان ضامناً لمكوس القطيف وفرضتها لم يكن مع اهل البحرين على وفاق ولم يساندوه في حركته منذ البداية ، وقد لجأ الكثير منهم الى البصرة ، كما انتظموا في الجيش لمحاربته في الحملة التي قادها الغنوي ضده ، وكل ما هناك انه قام باستمالة الأعراب والقبائل ، وبذل لهم الأموال التي جمعها من عمله في المكوس ، ولم يستول على القطيف حتى حارب أهاليها ، وأحرق عاصمتها الزاره ، وقتل الكثير من عبد القيس وزعمائها حتى استتب له الأمر ، وكانت تسانده في جميع غزواته بمجموعة

من القبائل من بني ثعلب وبني سليم وبني عقيل وغيرهم من الأعراب المرتزقة ، وكذلك كان الحال في اعقابه الذين استولوا على الحكم من بعده .

لذلك لما ضعف أمرهم بموت الأعصم تنفس الصعداء أهـل البحرين ، فأعلنوا الثورة عليهم ، ووجهوا اليهم كثيراً من النقد والتجريح ، واجمعوا على اخراج الأمر من اسرة ابي سعيد الجنابي ، ثم نفوهم باجمعهم الى جزيرة اوال (البحرين حالياً) التي كانت منفىً للسياسيين في ذلك الوقت ، وبانتهاء دولة بني الجنابي انتهى عهد القرامطة الاسماعيليين بالبحرين وانطوت آخر صفحة من تاريخهم بحيث ورث ملكهم بنو ثعلب وبنو عقيل .

أما ما جاء في شعر ابن المقرب العيوني الاحسائي بان اسرته هي التي قضت على حكم القرامطة في البحرين في قوله :

سل القرامط من شظّى جماجمهم   فلقاً وغادرهم بعد العلى خدمـا

فانه لا يعدو عن كونه ترويجاً لدعوى باطلة استغلها جده عبدالله بن عـــلي مؤسس دولة العيونيين للتوصل الى الملك ، باثارة الحماسة والنخوة في السلجوقيين مناصري أهل السنة على الشيعة وأعداء المذهب الاسماعيلي الذين حاربوه دون هوادة ، ليساعدوه على تحقيق غاياته في الاستيلاء على بلاد البحرين .

ويذهب بعض المؤرخين للشيعة بأن التشيع في بلاد البحرين كان اقدم ممـا يظن انه يرجع الى عهد الرسول ﷺ ايام كان ابان بن سعيد بن العاص الأموي والياً على البحرين وكان من الموالين لعلي بن أبي طالب ، فهو أول غارس لبذرة التشيع فيها [١] .

---

(١) تاريخ الشيعة ص ٢٦١ .

ويحدثنا الشيخ يوسف البحراني في كشكوله بان التشيع انتشر في البحرين في خلافة الإمام علي (ع) ، فكان بمثابة قوة فعالة بحيث لم يستطع معاوية لما آل اليه الأمر ان يعزل ولاة الإمام علي (ع) ، وقد صمدت بلاد البحرين في وجه عبد الملك بن مروان حتى قام بقتل مشاهير الشيعة وخيار البلد ،واجبر الباقين على مفارقة التشيع ، فلما خاف بأسهم صالحهم على نزع السلاح مقابل رفع الخراج عنهم ، وقد عمد الى دفن عين السجور [1] التي هي أقوى عين بالبحرين ، ودفن عيوناً كثيرة نكاية بهم لكسر شوكتهم ولاضعافهم من الناحية الاقتصادية .

وقد كان التشيع معروفاً في عهد الرسول ، فقد أورد ابن حجر في اصابته والزمخشري في كتابه ربيع الأبرار والسيوطي في كتابه الدر المنثور وابن الاثير في نهايته والامام احمد بن حنبل في مسنده وابو نعيم في حليته والرازي في تفسيره وغيرهم الأحاديث الكثيرة في هذا الشأن وفي تفسير بعض الآيات واسباب نزولها مما لا يتسع المقام لذكرها ، وقد ذكر البحاثة المرحوم محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي السابق بدمشق في كتابه خطط الشام : ان جماعة من كبار الصحابة عرفوا بموالاة علي في عصر الرسول كأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت وابي أيوب الانصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن أبي عبادة وسلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاة له ، وكذلك ابي سعيد الخدري الذي يقول: أمر الناس بخمس ، فعملوا باربع وتركوا واحدة ولما سئل عن الأربع ، قال : الصلوة والزكوة وصوم شهر رمضان والحج ، قيل فما الواحدة التي تركوها .. قال : ولاية علي بن أبي طالب ، قيل له وانها

---

(١) أو سيجور كما يذكر صاحب التحفة النبهانية ص ٢٦ ج ٦ فقد وصفها بانها تقع في الجهة الغربية من جزيرة البحرين ، وذكر بانها مدفونة بالصخور العظيمة ، وقد أشار أيضاً الى هذه القصة .

لمفروضة معهن ، قال : نعم هي مفروضة معهن ، ثم أردف قائلاً : « واما مـا ذهب اليه بعض الكتاب من ان التشيع كان من بدعة عبدالله بن سبا، فهو وهم بحقيقة مذهب الشيعة وقلة معرفة ، ومن عرف منزلة هذا الرجل عند الشيعـة وبراءتهم منه ومن أقواله واعماله وكلامهم في الطعن فيه علم مبلغ هـذا القول من الصواب [١] » .

هذا ما قاله العلامة محمد كرد علي بالنص ، ويغنينا عن الرد على من طعنوا في مذهب الشيعة ، ومن كالوا القول جزافاً جهلا بحقيقة منشئه .

وقد اكتسب التشيع مظهراً كمبدأ وحزب معارض منذ بدايـة الحكم الأموي ، حينما استحالت الخلافة عند الأمويين الى ملك عضود ملطخ بدمـاء أهل البيت ، واصطبغت سياستهم بالصبغـة المكيافيلية الوصولية ، وتمثلت أعمالهم الشنيعة في حادثة كربلاء وواقعـة الحره ونسف الكعبة بالمنجنيق ، بالاضافة الى سلوكهم وما يجري في حياتهم الخاصة، وقد اسرفوا في عدائهم لأهل البيت حتى فرضوا سب علي بن أبي طالب على المنابر ، وكل هذا أدى الى أن ينظر الناس بعين العطف الى بني هاشم والى العلويين بصفة خاصة ، وقد تجلى هذا الشعور على نحو من التحدي في شعر الفرزدق مخاطباً هشام بن عبد الملك مادحاً الامام الرابع علي بن الحسين :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفـه والحل والحرم

هذا ابن خير عبـاد الله كلهم ... وابن التقي النقي الطاهر العلم

الى أن يقول :

---

(١) ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦ .

ليس قولك من هـذا بضائره | العرب تعرف من انكرت والعجم
من معشر حبهم دين وبغضهم | كفـر وقربهم منجى ومعتصم
ان عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم | أو قيل من خير أهل الارض قيل هم

ثم أن الثورة التي أطاحت بعرش بني أميـــة لم تكن في أساسها الا انتصاراً لأهل البيت وانتقاماً لهم من اعدائهم ، وما كان شعار السّواد الذي اتخـــذه العباسيون شعاراً لدولتهم الا حداداً على أهـــل البيت ضحايا الحكم الأموي ، ولكن تلك الثورة ما لبثت أن تحولت الى انقلاب بعد ان استولى على الحـكم بنو العباس ، فاستغلوها لمصالحهم الشخصية ، وتنكروا لاصحاب الحق الذين من أجلهم قامت الثورة ، ولم يكتفوا بذلك بل طاردوا منافسيهم العلويين فتتبعوهم بين كل حجر ومدر ، وساموهم قتلا وتشريـداً ، ومني المسلمون بخيبة أمل .. الأمر الذي عمق هذه العقيدة فاتخذت لهـــا شعاراتها وتقاليدها فيما بعد ، وانعكست هذه الخيبة في قيام الثورات ضد الحكم القـائم ونشوء الاحزاب السرية .

والشيعة تعتقد بأن الامامية الروحية منحصرة في آل الرسول وان كانت الخلافة الزمنية انتقلت منهم الى غيرهم ، وقد توالت الامامة الروحية بعد الامام علي بن أبي طالب في بنيـــه الحسن والحسين سبطي رسول الله ، ثم في اعقاب أبي الشهداء الحسين بن علي وآخرهم الامام الثاني عشر المهدي المنتظر ، والشيعة الجعفريـة لا يختلفون عن اخوانهم السنة في شيء عدا هذه النقطـــة ، فليس هناك اختلاف جوهري ، فكلا الفريقين يعتبران الكتاب والسنة همـــا المصدران للتشريـع الاسلامي ، وان أي اختلاف في بعض المسائـل الفقهية لا يعدو الاختلاف الذي يحصل بـين مذاهب السنة أنفسهم أما تلك الشعارات كاقامة المآتم وغيرها فانها طارئة تولدت مع الزمن ، وهي لا تعدو كونهـــا

عادات وتقاليد توارثوها خلفاً عن سلف ، ويرجع نشوؤها الى ايام البويهيين في بغداد سنة ٣٥٢ هـ .

هذه أشياء ذكرناهـــا للحقيقة والتاريـخ لعلاقتها بالسكان ، ورداً على التساؤلات حول حقيقة مذهب التشيـع ونشأته في هذه المنطقة ، فليس غرضنا ان نثير جدلا طائفياً في وقت نحن احوج ما نكون فيـــه الى وحدة الصف ، والاهتمام بما يمس واقـع حياتنا ، اذ اننا نؤمن ايماناً عميقاً بان الدين لله والوطن للجميع .

١١ ـــ الهجرات الحديثة

ومن الملاحظ ان هذه المنطقة تعرضت في فترات من تأريخها لهزات عنيفة ، نتيجة لاضطراب الاحوال الاجتماعية والسياسية فيها ، فكان السكان يتعرضون لتلك الهزات المختلفة فتتقاذفهم الهجرات البعيدة المدى احياناً ، وكثير منهم من نزح الى العراق والى منطقة عربستان « المحمرة » حتى في عهد متأخر ، وما زال في العراق حي كبير يؤلف كتـــلة عظيمة من مهاجري سكان القطيف في لواء المنتفق يسمى حي القطافة يتكون سكانه من أكثر من عشرين الف نفس .

وكانت جزيرة البحرين في الايام الماضية تتناوب هجرات السكان بينها وبين القطيف ، فاذا ارتبك الوضع السياسي فيها قذفت ببعض سكانها الى القطيف ، وبالعكس تحصل النتيجة اذا اضطربت الأوضاع هنا ، ولذلك نجد كثيراً من الأسر المعروفـــة التي تتمتع بمكانتها الاجتماعية كانت من اصل بحراني ، وحتى

ان بعض تلك الامر ما زالت تتقاسمها كل من البحرين والقطيف حتى في وقتنا الحاضر .

وقد توقف زحف المهاجرين الجماعي الى هذه المنطقة منذ ظهور الاسلام اذا استثنينا بعض القبائل الرحّل، اما بعد ان اتخذت هذه المنطقة مركزاً اقتصادياً مهماً منذ اكتشاف الزيت ، فقد توافد عليها الكثير من انحاء المملكة العربية السعودية والبلاد العربية الاخرى ، ففيها عدد كبير من الامر النجدية والحجازية وغيرها ، وفيها من انحاء الجزيرة العربية جاليات كثيرة العدد كاليمن وعُمان وحضرموت وقطر والبحرين وواحة البريمي التي نزح منها بعد سيطرة الانجليز عليها جماعات غفيرة الى هذه المنطقة ، ويوجد كذلك جاليات متنوعة من الاقطار العربية الشقيقة ، اما الجاليات الاجنبية في هذه المنطقة فهي قليلة العدد نسبياً

ومن الملاحظ ان هذه الجاليات التي استوطنت هذه المنطقة قد جلبت معها عاداتها وتقاليدها واصبحت المدن الحديثة كالدمام والخبر والظهران تعيش في حياة جماعية لا اجتماعية لاختلاف عادات وتقاليد سكانها الذين جمعتهم اسباب الرزق فقط ، فهم يختلفون في أساليب العيش وأوضاع المأكل والمشرب وتأثيث المنزل واللباس وغير ذلك ، اما المدن القديمة كالقطيف وضواحيها فلها عاداتها وتقاليدها الموروثة العريقة ، وفيها كذلك روابط قائمة بين مختلف مظاهر الحياة تنظم الافراد والجماعات حيث تكون مجتمعاً قائماً بذاته ، وان استرفدت ألواناً من العادات والتقاليد في بعض الأحيان تبعاً للتطور ، ونتيجة لتفتحها على العالم الحديث .

وبازدهار الحياة الاقتصادية واستتباب الامن واستقرار الوضع السياسي ، تقدمت هذه المنطقة في الوقت الحاضر تقدماً ملحوظاً ، فانتشر فيها العمران ،

وأخذت باسباب الحضارة الحديثة ، وتوفرت فيها الاشياء الضرورية والكمالية ، وقامت فيها بعض الصناعات البسيطة كمعامل البلاط والموزاييك والاسمنت ومصانع أكياس الورق والنايلون والغازات الصناعية وهي في طريقها الى التقدم المضطرد ، والامل كبير في مستقبلها الزاهر بفضل يقظة الشعب ، ورعايـــة حكومتنا الفتية .

٤

تاريخها السياسي

ديلمون . فترات الركود . الجرهائيون . سيطرة القبائل العربية . نفوذ الفرس . دخولها في الاسلام . حادثة الردّة . ايام الخلفاء الراشدين . ظهور الخوارج . ايام الخلفاء العباسيين. ظهور صاحب الزنج . القرامطة. استيلاء بني ثعلب وبني عقيل . الحركات الانفصالية . العيونيون . استيلاء بني عصفور وبني جبر . البرتغاليون . تفوق الاتراك . بنو خالد . الوهابيون والاتراك . المملكة العربية السعودية .

١ ـ ديلمون

تتحدث النصوص الأثرية عن مملكة قديمة نشأت في منطقة الخليج العربي في أوائل الالف الثالث قبل الميلاد ، وقد عرفت باسم ديلمون *Dilmun*[١] وكانت

(١) اسم اطلق على البحرين والسواحل المقابلة لها كما ذهب اليه اكثر الباحثين .

مملكة عظيمة لها جلالها وخطرها ، وقد اضفت عليها الاساطير السومرية صبغة دينية مقدسة ، فذهبت الى انها موطن الإلهين السومريين «انكي» و«نيوخرساك» وان الاله انكي فرض عليهم بان يحملوها داراً للندوة للتداول في شؤونهم والبت في قضاياهم .

وهذه الاسطورة التي انبثقت من الوثائق الاثرية ان دلت على شيء ، فانما تدل على ما لهذه المنطقة من قدسية بالغة ومكانة محترمة حتى بلغ من امرها ان لا تنحت تماثيل الآلهة الا من احجارها ، وفي نفس الوقت تلقي على مخيلتنا هالة رائعة لما تمتعت به من عظمة السلطان واتساع النفوذ .

على ان الباحث في تاريخ هذه الحقبة لا يلقي الا ظلالاً باهتة من المعلومات ، تستند اكثرها على التكهنات او على مكتشفات الآثار لأن التاريخ لم يدوّن بعد ، واقرب الظن ان هذه الدولة فينيقية المنشأ أسسها الفينيقيون أحفاد الكنعانيين قبل نزوحهم الى شواطىء البحر الابيض المتوسط ، لأن هذه الفترة بالذات توافق الحقبة التي توسعوا فيها في جولاتهم ، وانتشروا في أنحاء الهلال الخصيب قبل ان يؤسسوا المدن في سوريا ولبنان .

وقد عرف الفينيقيون بانهم قوم مغامرون اشتغلوا بالملاحة والتجارة ، واشتهروا بنشاطهم في هذا الميدان ، فقد جابوا الآفاق واختلطوا بالأمم وغزوا الشعوب وبسطوا نفوذهم عليها ، ونشروا فيها حضارتهم وثقافتهم ، كما سيطروا على اقتصادياتها حيناً من الزمن .

واذا علمنا ان اول ركيزة للاستعمار الغربي في الشرق - والحاضر مرآة للماضي - كانت بفضل الملاحين والمكتشفين المغامرين ثم شركات التجارة .. اميط الستار عن أشياء كثيرة من تاريخ هؤلاء القوم ، فقد كانوا ملاحين من الطراز

الاول .. فهم اول أمة اخترعت السفن ومخرت بها في لجج البحار ، وقد مارسوا التجارة حتى برعوا فيهـــا فسيطروا على اقتصاديات العالم القديم ، وكانوا أسبق الامم في ميدان الحضارة والمدنية ، وطبيعي ان تكون لهم مكانة مرموقة بين الشعوب ، فـــلا يستبعد ان تدين لهم بالولاء ، وتسبغ على عرشهم هالات من الجلالة والتقديس .

وقد اشتهرت منطقة ديلمون بتمرها واخشابها ومعادنها مثل النحاس والبرنز وكانت مملكة يحكمها ملوك، وهي أقدم حكومة عرفت في هذه المنطقة، وظلت معروفة بهذا الاسم حتى في عهد متأخر كما ورد في النصوص الاكدية والاشورية التي تعود الى القرن السادس قبل الميلاد ، وقد ورد ايضاً في النصوص الاكدية والسومرية اسم موضع آخر يقال له مجان *Magan* اقترن باسم ديلمون واشتهر بوجود الاحجار التي تصنع منها التماثيل ، واسم موضع آخر يقال له ملوخـــا وقد إشتهر بوجود الذهب والخشب الثمين ، وقد ذهب بعض الباحثين الى ان هذين الموضعين يقعان في الاقسام الشرقيـــة من جزيرة العرب على ساحل الخليج ، وقد ورد ايضاً في اخبار الملك نرام سين *Naram sin* [1] انه اخضع مجان وتغلب على ملكها مانو دانو *Mannu Dannu* وأخـــذه اسيراً حوالي سنة ٢٧٣٠ قبل الميلاد .

٢ ـ فترات الركود

ويحدثنا المؤرخون بان الاكديين[2] بعد انتصارهم على السومريين بقيـــادة

(١) سليل سرجون الاول وخليفته ومن عظماء الساميين في التأريخ .

(٢) قوم من البدو كانوا يسكنون غربي الفرات ، فهبطوا الى اقليم اكاد الى الشمال من سومر فقام بين الاكديين والسومريين صراع انتهى بانتصار الاكديين .

ملكهم سرجون الاول بسطوا نفوذهم على وادي دجلة والفرات والخليج ، فكونوا مملكة واسعة الارجاء وذلك في حدود القرن السابع والعشرين قبل الميلاد ، وهي نفس الفترة التي منيت فيها هذه المنطقة بالغزو الخارجي ، وهي توافق الحقبة التي نزح فيها الفينيقيون الى شواطىء لبنان ، وأسسو فيها المدن هناك ، فمن المحتمل ان هذا الغزو الذي منوا به من جيرانهم وتغلبهم عليهم أدّى الى فقدانهم حياة الاستقرار ، ففكروا في الهجرة الى ديار عرفوا فيها الرخاء والطمأنينة ، فهاجروا الى شواطىء البحر الابيض المتوسط لاشباع هوايتهم في الملاحة والتجارة .

وبقيت هذه المنطقة تعاني الأمرين ، فما ان تخلصت من احتلال هذا الفاتح الاكدي حتى وقعت تحت سيطرة فاتح آخر من الملوك الاكديين[١] ولما أفل نجم امبراطورية هذه الاسرة التي تعاقبت على الحكم خمسة قرون وانهتت في سنة ٢٢٠٠ ق.م. بسيطرة العيلاميين[٢] عليها ، قام ملك آخر يدعى حمورابي[٣] فهزم اهل عيلام سنة ٢١٠٠ ق.م. وأعاد لبابل مجدها ، ولكن امبراطورية

---

(١) هو نرام سين الذي اخضع مجان وتغلب على ملكها مانون اومونودانو .

(٢) عيلام او عليمت *Alamit* اسم منطقة تقع جنوبي بلاد مابين النهرين عند رأس الخليج العربي في الموقع الذي يسمى الآن بالمحمرة او عربستان وكانت عاصمتها شوشن *Susiane* ويقول غوستاف لوبون ان سكانها يسمون اعجام بيروز انحدروا من شرق دجلة سنة ٢٣٠٠ ق.م. او سنة ٢٢٠٠ ق.م حسب رواية « الاطلس ، ص ٧٥ » وقد اغاروا على بابل ونقلوا تماثيل الآلهة الى عاصمتهم شوشن ، وظلت عندهم حتى استردها الفاتح اشوربانيبال بعد ستة عشر قرناً حين استولى على عاصمتهم .

(٣) سادس ملوك السلالة الاولى في بابل ومؤسس امبراطوريتها اشتهر برعايته للعلم والتجارة وبوضعه مجموعة من الشرائع عرفت بشريعة حمورابي وهي اقدم شريعة عرفت في تاريخ البشر ، وهي مكتوبة على مسلة ضخمة هربت منها النسخة الاصلية الى لندن وتوجد منها نسخة بالمتحف العراقي ، وتعتبر من اقدم نماذج التشريع في العالم .

جديدة قامت على انقاض تلك الدولة هي السلالة الثالثة في أور التي تقع بالقرب من بابل ، فكانت منطقة الخليج احدى مقاطعاتها حتى سنة ١٩٨٧ ق.م.

وبعد طرد الهكسوس[1] من مصر سنة ١٣٨٠ ق.م. وقيام الاسرة الثانية عشرة بقيادة الملك أحمس ، قام هو وخلفاؤه من بعده بتوسعة الامبراطورية المصرية ، فسيطروا على الهلال الخصيب، وفي عهد الملك امنوفيس (امنحوتب) الثالث بلغت هذه الامبراطورية اقصى ذروتها في السعة والعظمة حتى بسطت نفوذها على اشور وبابل واشرفت على الخليج العربي، وكذلك كان الحال في عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين[2] اذ احتفظت بمناطق نفوذها الى نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وكانت منطقة الخليج خلال تلك الفترة في حالة عزلة شبيهة بالاستقلال اذ لم يتغلغل فيها نفوذ الامبراطوريات التي سيطرت على وادي الرافدين .

---

(١) الهكسوس هم العرب الرعاة الذين حكموا مصر خمسة قرون (٢١٦٠ - ١٥٨٠ ق.م.) وفي عهدهم كان قدوم بني اسرائيل الى مصر، وقد عد المؤرخون سبع اسرات تعاقبت منهم على حكم مصر ، وهم الاسرة الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة .

(٢) احصى المؤرخون ثلاثين سلالة تعاقبت على حكم مصر قبل الميلاد هي وفق الترتيب التالي : السلالة ١و٢ ٣٢٠٠ - ٢٩٨٠ ق.م. السلالة ٣ ٢٩٨٠ - ٢٩٠٠ق.م. السلالة ٤ ٢٩٠٠ - ٢٧٥٠ ق.م. السلالة ٥ ٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ ق.م. السلالة ٦ ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ السلالة ٧ الى ١٠ ٢٤٧٥ ٢١٦٠ ق.م. السلالة ١١ ٢١٦٠ - ٢٠٠٠ ق.م. السلالة ١٢ ٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق.م. السلالة ١٣ الى ١٧ ١٧٨٨ - ١٥٨٠ ق.م. السلالة ١٨ ١٥٨٠-١٣٥٠ ق.م السلالة ١٩ ١٣٥٠-١٢٠٥ ق.م السلالة ٢٠ ١٢٠٥-١٠٩٠ق.م السلالة ٢١ ١٠٩٠ - ٩٤٥ ق.م. السلالة ٢٢ ٩٤٥ - ٧٤٥ ق.م. السلالة ٢٣ الى ٢٥ ٧٤٥ - ٦٦٣ ق.م. السلالة ٢٦ ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م. السلالة ٢٧ ٥٢٥ - ٤٠٤ق.م. السلالة ٢٨ ٤٠٤ - ٣٩٩ ق.م. السلالة ٢٩ ٣٩٩ - ٣٧٩ ق.م. السلالة ٣٠ ٣٧٩-٣٢٤ ق.م.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد قامت في اليمن دولة المعينيين (٩٠٠ ٤٠٠ق م) وازدهرت، فسيطرت على شبه الجزيرة العربية كلها بما فيها منطقة الخليج العربي، حتى امتد نفوذها الى شواطىء البحر الابيض المتوسط، ولكنها تقلصت عندما اشور فقد قام عدة ملوك منها[1] بغزو جزيرة العرب، واخضعوها لنفوذهم، فكانت قبائلهم تؤدي لهم الجزية، وقد عزا سرجيون الاكدي الثاني ديلمون واضاف الارضين المتاخمة لها الى مملكته، كما قام خلفه سنحاريب بمحاولة حملة انتقامية، فأرسل وفداً الى ملكها يخيره بين أمرين أما الخضوع لاشور وأما الخراب والدمار، فوافق ملكها على الاعتراف بسيادة سنحاريب وأرسل له جزية ثمينة، وقد عرف الاشوريون بالقسوة والعنف في حروبهم، واتسمت سياستهم بالفضاضة والوحشية، فقد كانوا يسلخون جلود اسرائهم وهم على قيد الحياة.

وفي عهد الملك اشور بانيبال بلغت امبراطوريتهم اقصى ذروتها في الاتساع، فسيطروا على هذه المنطقة حتى حدود قطر في الجنوب، وبسطوا نفوذهم على الهلال الخصيب ومصر، وتوغلوا في آسيا الصغرى وأرمينيا، كما امتدت دولتهم شرقاً الى بحر قزوين، وقد بلغ الظلم أقصاه في عهد اخلاف اشور بانيبال مما أدى الى نشوب الثورات في أنحاء الامبراطورية، فاتحد البابليون والميديون والفرس ضد اشور، وتمكنوا من اسقاطها عام ٦٠٥ قبل الميلاد.

---

(١) اشور مملكة قامت في منطقة دجلة الوسطى، وتسمت باسم احد آلهتها وباسم عاصمتها الاولى وقد امتد سلطانها من ٩٠٠ – ٦٠٦ ق.م. ومن ملوكها الذين غزوا بلاد العرب: ١ – تغلات فلاسر الثاني في القرن التاسع قبل الميلاد ٢ – سرجون الثاني ٧٧٢ – ٧٠٥ ق.م. فاوغل في جزيرة العرب ودمر مملكة اسرائيل وغزا مصر وارمينيا ٣ – سنحاريب ٧٠٥ – ٦٨١ ق.م. هدم بابل وأسس مدينة نينوى وجعلها عاصمة لمملكته. ٤ – سرحدون ٦٨١ – ٦٦٨ ق.م. وقد اتجه هو وسلفه الى فتح فينيقيا ومصر. ٥ – اشور بانيبال ٦٦٨ – ٦٤٧ ق.م. وقد بلغت في عهده امبراطوريتهم اقصى اتساعها وعظمتها.

ولما قامت وريثتها الامبراطورية الكلدانية الثانية (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م.) بزعامة نبوخذ نصر الذي أعاد لبابل مجدها بعد ان خربها الاشوريون .. بسط نفوذه على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها ، كما احتل مملكة يهوذا [١] ودمر عاصمتها أورشليم ، وغزا مصر والحجاز وتوغل في بلاد العرب وحارب العدنانيين ، ولما لم يستطع التغلب عليهم رجع ادراجه الى اشور ، ووجه اهتمامه للانشاء والتعمير ، فاعتنى باعمال الري ، ونشط الملاحة في الخليج العربي .

ولكن هذه الدولة لم تعمر طويلاً ، ففي عهد خلفه بيلشاصّر تداركها الضعف ، ثم لفظت أنفاسها بسقوط عاصمتها بابل على يد قورش مؤسس الدولة الكيانية الفارسية سنة ٥٦٢ ق.م.

أما في عهد قورش[٢] نفسه فقد وقعت هذه المنطقة تحت سيطرة الفرس ، وقد شمل نفوذهم جزيرة العرب ، فكانت تؤدي لهم الجزية من بخورها ولبانها الف وزنة ، وفي عهد ابنه قمبيز ٥٢٩ - ٥٢١ ق.م. بدأت تحرر ، فاستقل بادارة شؤونها رؤساء وطنيون ، الا ان سياستها ظلت مرتبطة اشد الارتباط بسياسة الفرس.. ذلك انها كانت تشترك معهم في الحروب ، وتقف بجانبهم ، وقد قدمت لهم المساعدات في الحملة التي وجهها قمبيز الى مصر ، ففتحت أبوابها لجيوشهم للعبور في أراضيها ، كما اشتركت مرة أخرى في حروبهم ايضاً مع اليونان .

---

(١) لما مات سليمان بن داود انقسمت امبراطوريته الى دولتين : دولة اسرائيل في الشمال وعاصمتها سامريا ، ودولة يهوذا في الجنوب وعاصمتها اورشليم ، وقد استولت اشور على مملكة اسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م. ، وظلت مملكة يهوذا قائمة حتى استولى عليها نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م. وبقي اليهود أسرى بابل الى ان احتلها الفرس سنة ٥٣٩ ق.م. فاذنوا لهم بالرجوع الى فلسطين .

(٢) مؤسس الدولة الكيانية الفارسية ٥٦٢ - ٥٢٩ ق.م. استولى على اسيا الصغرى وبابل واذن الى اليهود بالرجوع الى فلسطين .

وفي الوقت الذي نودي باسم دارا « داريوس » ٥٢١ - ٤٨٥ ق.م ملكاً على فارس وعلى جميع الممالك الخاضعة لنفوذهم كانت هذه المنطقة مستقلة تمام الاستقلال في سياستها الداخلية والخارجية ، وقد ساعد على استقلالها الاضطراب الذي ساد المملكة الفارسية آنذاك ، فبعد رجوع قمبيز من مصر انتقضت عليه بعض الولايات ، وعلى رأسها مقاطعة مادي[١] التي اغتنمت فرصة غيابه ، فاجلست على عرشها برديا، فاضطربت شؤون الدولة الفارسية، وكثرت فيها الفتن الداخلية حتى طمع فيها امراؤها، وما ان استقر الامر لدارا بعد هلاك قمبيز الا والممالك المحتلة قد اغتنمت الفرصة ، فشقت عصا الطاعة ، وقد اعلن البابليون في العراق استقلالهم ، وثاروا في وجه ولاة الفرس ، فقتلوهم ، وملّكوا عليهم « نيوكد » احد اعقاب ملوكهم ، غير ان استقلالهم لم يدم غير عامين فسقطت بابل تحت ضغط جيوش دارا سنة ٤٨٥ ق م.

وقد مهدت هذه الظروف لمنطقة الخليج ان تبقى مستقلة ، ولكنها ظلت محتفظة في نفس الوقت بروابط الجوار والصداقة لهذه الدولة الفارسية حتى آخر نفس من أنفاسها .

ولما سقطت الدولة الكيانية على يد الاسكندر المقدوني[٢] سنة ٣٣١ق م[٣]

---

(١) او مادي Madaie أو ميديا امبراطورية قديمة كانت تشمل البلاد التي بين الجزيرة غرباً وفارس شرقاً وبحر قزوين شمالا ، وكانت عاصمتها اقبطان بلغت أوج مجدها أيام سياكسار في القرن ٧ ق.م اجتاحها قورش وضمها الى فارس سنة ٥٥٦ ق.م.

(٢) ويلقب بالاسكندر الكبير وذي القرنين « ٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م » توفي في بابل . تعلم على أرسطو واضع علم المنطق . تبوأ الحكم بعد أبيه فيلبس ، ويعد أعظم الغزاة الفاتحين اكتسح الشرق الأوسط فاحتل مصر حيث أسس مدينة الاسكندرية واحتل فينيقيا الا مدينة صور فعجز عنها بعد ان حاصرها سبعة شهور ، واحتل العراق وفارس ، وواصل زحفه شرقاً حتى وصل نهر الهندوس . فأسس اعظم امبراطورية في العالم القديم .

(٣) التقت جيوش دارا بجيوش الاسكندر في اربيل فهزمها الاسكندر وواصل زحفه في ايران فسقطت هذه الدولة باحتلاله اياها .

اجبرتها الظروف هي الأخرى ان تفتح أبوابها في وجه ذلك الغازي المظفر وجحافله الجرارة في زحفه على آسيا ، ولكنها سرعان ما استعادت استقلالها عندما أفل نجم الامبراطورية المقدونية ، وقد عمل هذا الفاتح نكايته الشهيرة في فارس إذ قسمها إلى دويلات لاضعافها ، ومن ثم خسر الفرس جميع مستعمراتهم .

٣ ـ الجرهائيون

وفي هذه الفترة استعادت هذه المنطقة استقلالها ، فنشط فيها الجرهائيون وسيطروا عليها ، وازدهرت أحوالها الاقتصادية وحفلت باسباب الترف والرخاء، ـ كما سبق أن بينا في الفصل السابق ـ وقد اتسع نشاطهم التجاري حتى كونوا ثروة عظيمة وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا قوماً مسالمين الى ابعد الحدود وهمهم التجارة فحسب ، فانهم لم يسلموا من جشع الدول الكبرى ، فقد وجه انطيوخس الثالث[١] حملة كبرى قطع بها نهر دجلة وشط العرب، وابحر باسطوله عبر الخليج العربي قاصداً مدينة الجرهاء . غير ان الجرهائيين المسالمين عندوصوله انتدبوا له بعثة تفاوضه ، فقنع منهم بجزية كبيرة ، ورجع ادراجه حيث ابحر الى تيلوس [٢] ومنها الى سلوقيا[٣] عام ٢٠٥ ق.م.

ولما ضعفت الامبراطورية السلوقية[٤] اليونانية التي قامت على انقاض دولة

---

(١) احد ملوك الدولة السلوقية التي قامت بعد الاسكندر .

(٢) هي جزيرة تاروت او البحرين او هي جزيرة تقع بالقرب من عمان كما جاء في خريطة بطليموس .

(٣) عاصمة الدولة السلوقية على شاطىء دجلة .

(٤) نسبة الى سلوقوس أحد قواد الاسكندر المقدوني الذي والاه على البلاد التي قاد فيها الجيوش وافتتحها ، وهي التي تقع شرقي الفرات حتى نهر الهندوس، ولما مات الاسكندر ←

الاسكندر اغتنم البرثيون فرصة ضعفها فثاروا سنة ٢٥٠ ق.م. بقيادة زعيمهم ارشك الذي خرج على السلوقيين ، فاجتاح بلاد ايران ، وأسس الدولة البرثية ، أو الارشكانية [١] ، وقد بقيت هذه الدولة في اعقابـــه يتوارثون عرشها ، ويوسعونها على حساب الدولة السلوقية باقتطاع اجزائها ، وفي سنة ١٢٦ ق.م. استولوا على العراق ، واجـــلوا السلوقيين منهـا ، وسقطت في ايديهم عاصمتهم سلوقيا .

وقد نقل السلوقيون عاصمتهم بعد ذلك الى انطاكيا ، وانكمشت دولتهم ، وتقلصت شيئاً فشيئاً ، واقتصر نفوذها على سوريا فقط ، وفي سنة ٦٤ ق.م. اجتاحها الرومان واستولوا على الأراضي السورية كلها ، ومن ثم امتدت اطماعهم في الاستيلاء على العراق ليستحوذوا على تركة تلك الدولة المنافسة لهم ، فجرت من جراء ذلك حروب ظلت سجالا بين الفريقين ، ففي سنة ١١٤ بعد الميـلاد انتصر الرومان ، فاكتسحوا وادي الرافدين من جبال ارمينيا الى الخليـج ، ثم توغلوا في ايران ، وقد ساعدهم انتشار الفوضى والفتن الداخلية فيها ، مما أدى الى انقسامها على نفسها وقيام ملوك الطوائف ثانية فيها .

← انقسمت امبراطوريته فاستقل كل قائد من قواده بجزء منها ، فانفصلت منها دولة مقدونيا باليونان ودولة البطالسة في مصر ٣٠٩ - ٣٠ ق.م ودولة السلوقيين ٣١٢ - ٦٤ ق.م . وقد استولى سلوقوس على سوريا وآسيا الصغرى ، وأسس مدينة سلوقيـا على شاطىء دجلـة سنة ٣٠٧ ق.م وجعلها عاصمة لمملكته ، كما أسس مدينة انطاكية ثم سمى نفسه ملكاً سنة ٣١٦ ق.م وتوارث عرشه احفاده .

(١) نسبة الى ارشك *Arsace* وهو ارمني الأصـــل أسس الدولة البرثية *Parthes* التي امتدت من ٢٥٦ ق.م الى ٢٢٦ ب.م .

٤ ـــ سيطرة القبائل العربية

وعلى أثر تضعضع الدولة البرثية في ايران وقيـــام ملوك الطوائف فيها ... تنفست الصعداء هذه المنطقة ، فتحررت من نفـــوذ الاجنبي حيث سيطرت عليها العناصر العربية ، وفي ذلك الوقت بالذات نزح اليها بعض القبائل العدنانية ، فقد حدثنـــا التاريخ ان مالك بن فهم قدم مع قبيلته الى هذه المنطقة ، وأقام فيها ، وكان بهـــا قوم من النبط فاجلوهم عنها وحلوا محلهم ، وفي أثناء ذلك قدمت قبيلة الأزد ، وأقامت بجوارهم ، واتفق الزعيمان زعيم قضاعه وزعيم الأزد على التعاضد والتناصر وتحالفوا على التنوخ (أي المقام) فتسموا تنوخاً ، وصاروا يعرفون بهذا الاسم .

وبينما كانت ملوك الطوائف تتناحر فيما بينها اغتنم مالك بن فهم هذه الفرصة الذهبية فنزح مع قبيلته قضاعة الى العراق فسيطروا عليهـــا حيث انفصلوا عن الازد ، ويظهر ان السبب في نزوحهم .. هو ظهور قبائل عبـــد القيس عليهم حينما هاجرت الى هذه المنطقة ، فقد حدثنا المؤرخون ان قبائل عبدالقيس حينما قدمت من تهامة يتزعمها رئيسها عمرو بن الجعيد تصدى لهم جمع من قضاعة واياد لصدّهم ، فحملت اياد على قبيـــلة شن من عبد القيس التي يرأسها سعد السعود الشني ، فظهرت عليها حتى كادت ان تفنيها ، ولكن بقيـــة من قبائل عبـــد القيس حملت على قضاعـــة فهزمتها شر هزيمة ، ثم مالت على اياد وجموعها فوضعت السيف في رقابهم ، واصلتهم قتلاً ذريعاً ، ومن ثم انهزمت فلولهم ليلا حيث لحقوا بالعراق .

وقد قطنوا الحيرة والانبـــار ، فكانوا يقيمون في بادىء الأمر في الاخبية

(أي الخيم) كعادة البدو الرحل ، ويقول ابن الاثير ان أول من تطلع الى ريف العراق .. هو الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه ، وكان الاهالي يقاتلون الفرس من ملوك الطوائف ، وحين نزح مالك بن فهم الى الحيرة والانبار تسمى ملكاً على قومه ، فأسس الدولة التنوخية[1] المعادية للفرس التي امتد ملكها من سنة ١٣٨ ب.م. الى سنة ٢٦٨ ب.م.

ولما قامت الدولةالساسانية علىيد مؤسسها اردشير بن بابك[2] سنة٢٢٦ب.م واستولت على العراق سنة ٢٥٢ ب.م اقرت جذيمة الابرش على الحيرة ومـــا يليها ، وتحولت دولة اللخميين الى اشبه بمقاطعة خاضعة لنفوذ الفرس ، ولمـــا قتل جذيمة الابرش في مؤامرة الزباء الشهيرة[3] وتولى من بعده ابن اخته عمرو بن

---

(١) تولى على عرشها ملوك ثلاثة ، كان أولهم مالك بن فهم ثم أخوه عمرو بن فهم ثم ابنـه جذيمة الأبرش الملقب بالوضاح ، وكان التنوخيون يكرهون الفرس ، فلما دان لهم جذيمة الأبرش نزح منهم الكثير الى الشام ، فكانت لهم في مشارفها دول ، ثم هاجر الغساسنة من اليمن بعـــد خراب سد مأرب فنزلوا مشارف الشام وحاربوا من بها من قضاعه وأخذوا ما بأيديهم ،وأسسوا دولة تحت حماية الرومان في الجهة التي تعرف باسم البلقاء وحوران .

(٢) هو احد ملوك الطوائف واول ملوك الدولة الساسانيـة الذي وحـد ايران واخضعها لنفوذه ، امتد حكمه من ٢٢٦ - ٢٤١ م، ثم تولى من بعده ابنه شابور الأول ٢٤١ - ٢٧٢م الذي اخضع قسماً من جزيرة العرب وأسس في العراق مدينة تكريت ، وفي عهده ظهر ماني الذي ينسب اليه مذهب المانوية ، وهو مذهب يرى الخير في النور والشر في الظلام ، والى ذلك يشير أبو الطيب المتنبي في قوله :

وكم لظلام الليل عندي من يد   تخبر أن المانويـــة تكذب

ويذكر المسعودي انه تولى على عرشها ٣٠ ملكاً آخرهم يزدجر الثالث الذي قتل في الفتح الاسلامي بمرو من بلاد خراسان سنة ٣٢ هـ .

(٣) هي ملكة الشام وتدمر ، ويطلق عليها الافرنج زنوبيا ، خطبها جذيمة فمنته بالزواج، فلما استقدمته لمملكتها غدرت به فقتلته في قصة يطول ذكرها ، وقد تناولها المسعودي في كتابه مروج الذهب بصورة مفصلة ص ١٩ ج ٢ .

عدي اللخمي أول ملوك دولة اللخميين[1] .. كانت هذه الدولة أشد ما تكون ولاء للفرس ، ويكفي أن نشير الى قصة آخر ملوكها النعمان بن المنــذر حين غضب عليه كسرى، فعزّ مخافة منه لم يجد بداً من أن يمتثل امام سيده كسرى ليفعل به ما يشاء [2] .

وعندما أفلت دولة اللخميين على أثر مقتل النعمان سنة ٦١٠ م على الارجح تملك على الحيرة اياس بن قبيصة[3] الطائي ثم بعده خضعت الحيرة للحكم الايراني المباشر فتولاها امراء من الفرس حتى الفتح الاسلامي .

---

(١) تولى على الحيرة من سلالته ١٨ ملكاً كان أولهم عمر بن عدي ٢٦٨ – ٢٨٨ م ، امرىء القيس ٢٨٨ – ٣٢٨ م ، عمرو الثاني ٣٢٨ – ٣٧٧ م ، أوس بن قلام ٣٧٧ – ٣٨٢ م ، امرىء القيس الثاني ٣٨٢ – ٤٠٣ م ، النعمان الاول ٤٠٣ – ٤٣١ م ، المنذر الاول ٤٣١ – ٣٧٣ م ، الاسود ٤٧٣ – ٤٩٣ م ، المنذر الثاني ٤٩٣ – ٥٠٠ م ،النعمان الثاني بن الاسود ٥٠٠ – ٥٠٤ م ، ابا يعفر علقمه ٥٠٤ – ٥٠٧ م ، امريء القيس الثالث ٥٠٧ – ٥١٤ م المنذر الثالث ٥١٤ – ٥٥٤ م ، عمر الثالث بن هند ٥٥٤ – ٥٧٠ م ، قابوس بن المنذر ٥٧٠ – ٥٧٣ م ، المنذر الرابع ٥٧٣ – ٥٨٠ م،سهراب ٥٨٠ – ٥٨٢م النعمان الثالث أبا قابوس ٥٨٢ – ٦٠٢ م ، ولما قتل النعمان الثالث ولى كسرى ابرويز على الحيرة اياس بن قبيصة الطائي ٦٠٢ – ٦٠٧ م ، ثم زاديه ٦٠٧ – ٦٢٨ م ، ثم المنــذر الخامس ٦٢٨ – ٦٣٢ .

(٢) يقال ان كسرى رغب في الزواج من اخت النعمان فرفض ، فوجد عليه فخافه النعمان ففر والتجأ الى بعض القبائل العربية ، فأبدت استعدادها لحمايتـه ومناصرته ، ولكنـه استسلم أخيراً لكسرى بعد ان اودع سلاحه وعياله لبني شيبان ، فقتله كسرى وطلب وديعته من بني شيبان ، فرفضوا تسليمها ، وكانت السبب في حرب ذي قار الشهيرة التي انتصر فيهـا العرب على الفرس .

(٣) ذكر المسعودي : ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت بعد تملك أياس بن قبيصة الطائي بثمانية شهور .

٥ ــ الفرس

لقد استطردنا في ذكر الحيرة وملوكها من التنوخيين واللخميين لارتباط هذه المنطقة معها في تاريخ سياسي واحـــد ، سيما في الفترة التي قامت فيها الدولة الساسانية ، فبعد سقوط الدولة البرثية سيطرت عليها العناصر العربية ، وبقيت مستقلة في عهد ملوك الطوائف ، ولما قامت الدولة الساسانية اكتسحتها شأنهـا شأن المناطق الاخرى التي كانت فيما سبق خاضعة لنفوذ الفرس .

ويحدثنا ابن الأثير ان اردشير بن بابك زحف في فتوحاتـــه على سواحل فارس فاجتاحها ، وقتل ملكاً عليهـا يدعى « اسيون » وصادر جميع أمواله وممتلكاته ، كما زحف على هذه المنطقـة فحاصرها ، حتى اضطر ملكها ان يلقي بنفسه من حصنه فهلك ، وانه بعد ان سيطر عليها بنى فيها ثماني مدن ، منها مدينة الخط بالبحرين .

وفي عهد سابور الثاني الذي ورث العرش سنة ٣٠٩ م وعمره لم يتجاوز عشر سنوات ، اضطربت شؤون المملكة ، واختل فيها النظام لصغر سنه ، وفقدت هيبتها ، فانتهز عرب هذه المنطقة هذه الفرصة العصيبة ، فانقضوا على أطرافها يقتطعون اجزاءها ، وقد سار جمع غفير من اياد وعبد القيس ، فعبروا الخليج واستولوا على سواحل فارس ، وغلبوا اهلها على مواشيهم ومعايشهم حيناً من الزمن ، ولكن سابور الثاني حين بلغ رشده ، وتسلم مقاليد الامور قـام بحملته الانتقامية الشهيرة على بلاد العرب ، ففتك بهم وأفنى الكثير منهم ، وعـــبر الخليج العربي الى هذه المنطقة ، واستولى على القطيف والاحساء واليمامة ، وقتل من اياد عدداً كبيراً ، وسفك دماء لا تحصى ، ومثل بهم ، فكان ينزع اكتاف العرب ، وكان لهذه المثلة اثر سيء في نفوسهم ، فمن ثم لقبوه بذي الاكتاف .

وتعد هذه الفترة العصيبة من أفظع الادوار التي مرت على هذه المنطقة في تأريخها السياسي ، اذ انتهى أمرها نهائياً للخضوع للدولة الفارسية حيث تحولت الى ولاية تابعة للحيرة تحت نفوذ الملوك اللخميين، وكتب الادب تزخر بالطرائف من أخبار أدبائها وشعرائها ، فتحدثنا ان المتلمس وطرفة بن العبد[١] وهما من شعراء هذه المنطقة ، وفدا على ملك الحيرة عمرو بن هند يستعطيان ، فكتب لكل منهما كتاباً وسيرهما الى عامله بالبحرين[٢] نكاية بهما ، الا ان المتلمس شك في أمر الكتاب ، فأقرأ الصحيفة على رجل من أهل الحيرة ، فلما عرف ما فيها ألقى بها في ثبج النهر ، أما طرفة فقد اندفع بشرّة الشباب ، ولم يستمع الى نصيحة خاله المتلمس ، فسعى الى حتفه بظلفه ، فوفد على امير البحرين المعكبر الفارسي فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً ، تنفيذاً لأوامر ملك الحيرة ، وفي ذلك يقول المتلمس :

عصاني فما لاقى الرشاد وانما ... تبين من أمر الغوي عواقبه

فأصبح مملوكاً على آلة الردى ... يمج نجيع الموت فيها ترائبه

ولقد ابتليت هذه المنطقة ببعض العتاة من عمال الفرس الذين أذاقوها ألواناً من العسف والجور، ونذكر على سبيل المثال آزاد فيروز بن جشيش الملقب بالمعكبر الفارسي الذي كان يقطع أيدي العرب وأرجلهم من خلاف ، وقد فعل نكايته النكراء في بني تميم ، حتى كاد يفنيهم في حادثة المشقر عن بكرة أبيهم .

وملخص القصة – كما رواها ابن الاثير – ان تميماً أغارت على أموال بعث

---

(١) صاحب المعلقة الشهيرة احدى المعلقات السبع .

(٢) الاسم الذي اشتهرت به هذه المنطقة قبيل الاسلام وبعده .

بها عامل كسرى على اليمن ، فسعى بهم عامله على اليمامة هوذة الحنفي حيث أشار على كسرى بان يكلف عامله بالبحرين المعكبر ليحتال في قتلهم ، وكان آنذاك وقت جذاذ التمر فنادى مناديه فيهم ، ليحضر من كان من بني تميم فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام ، فحضروا جميعهم في حصن المشقر ، وجعل يدعوهم عشرة عشرة ويضرب رقابهم ، وأخيراً أحسوا بالمؤامرة فضرب الباب رجل منهم بسيفه ، فاندفعوا كلهم ، وفروا من بين يديه .

٦ ــ دخولها في الاسلام

ولم ينقذ هذه المنطقة من براثن الاستعمار الفارسي الا الانتفاضة الكبرى التي انبثقت بقيادة نبي الاسلام ، فتحررت نهائياً من السيطرة الأجنبية بعد أن كانت تعاني الأمرين من عنت الاعداء وطمع الفاتحين .

والمتتبع للحياة الفكرية والاجتماعية فيها قبيل الاسلام يدرك انها قد بلغت درجة كبيرة من النضج العقلي ، فقد كانت ملتقى لكثير من الديانات التي رفدت اليها من جميع الاجناس بحكم مركزها الاقتصادي وموقعها الاستراتيجي بما فيها النصرانية واليهودية والمجوسية وغيرها ، فعرفت ألواناً من النشاط الفكري ، وكل هذه كوّنت شبه استعداد نفسي لاستقبال أمر جديد، وهيأت فيها الشعور لتقبل دين التوحيد ، فقد حدثنا المسعودي بان رباب السبتي وبحيرا الراهب وهما من بني عبد القيس كانا ممن عرف التوحيد وأقرّ بالخالق وصدق بالبعث والنشور، ودعا الى الله ونبه أقوامه على آياته قبل مبعث الرسول ﷺ ، وذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في اصابته ان المنذر بن عائد الملقب بالأشج كان

صديقاً لراهب ينزل بدارين[١] وكان يلقاه كل عام ، فلقيه ذات عام بالزاره[٢] فأخبره بان نبياً يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه علامـة يظهر على الأديان ، ثم مات الراهب فلما سمع الأشج بمبعث الرسول ﷺ بعث ابن اخته وزوج ابنته عمرو بن عبد القيس ، وبعث معه تمراً وملاحف ، وضم اليه دليلا يقال له الاريقط ، فأتى مكة عام الهجرة ، فلقي النبي ﷺ ورأى العلامات فأسلم ، ثم رجـع وأخبر خاله ، فأسلم هو الآخر ، وكتما اسلامهما حيناً من الزمن .

ويحدثنا المؤرخون ان هذه المنطقة قبل دخولها في الاسلام كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم مقيمين في باديتها ، وكان عليهـا المنذر بن ساوى العبدي والياً من قبل الفرس ، فلما كان العام السادس للهجرة وجّـه النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس ومعه كتاب الى المنذر بن ساوى هذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى فاني احمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان من صلى صلاتنا ونسك نسكنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاك المسلم له ما لنا وعليه ما علينا ، له ذمة الله ورسوله من أحب ذلك من المجوس فهو آمن ، ومن أبى فعليه الجزية » .

فلما قدم العلاء دفع بالكتاب الى المنذر ، فلـما قرأه ابتدره العلاء قائلاً : « يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا يصغرن بك في الآخرة ، ان المجوسية شرّ دين ليس فيها تكرم للعرب ، ولا علم اهل الكتاب ، ينكحون من يستحيى نكاحه ، ويأكلون ما يتكره من أكله ، ويعبدون في الدنيـا ناراً تأكلهم يوم

---

(١) بلدة تقع في الطرف الجنوبي من جزيرة تاروت .

(٢) كانت عاصمة لهذه المنطقة في ذلك الوقت ، وهي تقع بالقرب من قرية العوامية .

القيامة ، ولست بعديم الرأي ، فانظر لمن لا يكذب ان ألا تصدقـه ، ولمن لا يخون ألا تأتمنه ، ولمن لا يخلف ألا تثق به ، فان كان أحد هكذا فهو هذا النبي الأمي ، الذي لا يستطيع ذو عقل ان يقول ليت ما أمر به نهي عنه ، او ليت ما نهي عنه أمر به ، او زاد في عفوه او نقص من عقوبته ، ان كان ذلك منه إلا على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصيرة » .

فعقب المنذر على كلامه بقوله « قد نظرت في هـــذا الذي بيدي من الملك فوجدته للدنيا ، ونظرت في دينكم فوجدته للدنيا والآخرة ، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت » .

ويستنتج من حديث البلاذري ان هـــذه المنطقة كان بها في ذلك الوقت شخصيتان جديرتين بالاهمية ، احداهما شخصية المنذر بن ساوى الذي كان والياً على العرب من قبل الفرس ، والأخرى شخصيــة سيجمنت مرزبان هجر سيد البلاد الذي يرجع اليه أمر الاقليات الأخرى من أهل المدر ، وقد وجــه الرسول ﷺ لكل منهما كتاباً فأسلما وأسلم معهما جميع العرب وبعض العجم ، وقد كتب المنذر بن ساوى رسالة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها « أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الاسلام ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فاحدث لي يا رسول الله في ذلك أمرك » فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب هذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فاني احمد الله الذي لا إله إلا هو ، وانه من ينصح فلنفسه ، ومن يطع رسلي فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وان رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، واني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على مجوسيته او يهوديته فعليه الجزية » .

ويجمع المؤرخون بان هذه المنطقة لم يكن بها قتال ، وانما بعضهم أسلم ، والبعض الآخر صالح على انصاف الحب والتمر ، وقد اتفق العلاء بن الحضرمي مع أهل الأرض من المجوس والنصارى واليهود ، فكتب بينه وبينهم صلحاً هذا نصه : هذا ما صالح العلاء بن الحضرمي أهل البحرين .. صالحهم على ان يكفونا العمل ويقاسمونا التمر ، فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » هذا عدا جزية الرؤوس اذ فرض على كل حالم ديناراً ، وقد بلغ ما جمعه العلاء من هذه الجزية ماية وخمسين الف دينار ، فأرسلها الى المدينة بمعية أبي عبيدة الجراح فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم مالاً أكثر منه لا قبله ولا بعده ، ويمكننا ان نستدل من ذلك على كثافة سكان هذه المنطقة في ذلك الوقت ، اذ ما كانت تؤخذ هذه الجزية إلا على الرجل الحالم من تلك الأقليات التي لم تعتنق دين الاسلام .

وقد بقي العلاء بن الحضرمي جابياً للخراج حتى السنة التاسعة للهجرة ثم عزله الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعل مكانه ابان بن سعيد بن العاص بن أمية ، وقيل ان العلاء كان والياً على ناحية من نواحي البحرين منها القطيف ، وابان على ناحية أخرى منها الخط كما يذهب اليه البلاذري .

وقد وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة للهجرة جماعة من عبد القيس[1] يرأسهم المنذر بن عائذ الذي تحدثنا عنه آنفاً ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بقدومهم في صباح الليلة التي قدموا فيها اذ قال :

---

(١) في رواية ان الوفد مؤلف من ستة عشر رجلا وفي رواية اخرى من خمسة وعشرين ، وهم كما يلي : ١ - عمرو بن مرجوم ٢ - شهاب بن عبدالله ٣ - حارثة بن جابر ٤ - همام بن ربيعة ٥ - خزيمة بن عبد عمرو ٦ - عقبة بن جروه ٧ - مطر العنبري ٨ - منقذ بن حيان العبدي ٩ - مرشد بن مالك ١٠ - عبيده بن همام ١١ - الحارث بن جندب ١٢ - صحار ←

« ليأتين ركب من قبل أهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام » وفي رواية أخرى « سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق » ولما قدموا رحب بهم ، وقال : « مرحباً بالقوم لا خزايا ولا ندامى » . ودعا لهم : « اللهم أغفر لعبد القيس » ، وأوصى بهم الأنصار خيراً ، اذ قال : « يا معشر الأنصار اكرموا اخوانكم فانهم أشبه الناس بكم في الإسلام .. أسلموا طائعين غير مكرهين ولا موتورين » .

ووفد ايضاً على الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة الجارود المعلى ابن عمرو بن حنش العبدي في جماعة من قومه ، وكان نصرانياً فعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عليه الدخول في الاسلام ، ورغبه فيه فقال : « يا محمد انني على دين ، واني تارك ديني لدينك افتضمن لي ..؟ » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « نعم . أنا ضامن لك ان قد هداك الى دين هو خير منه » فأسلم وحسن اسلامه ، وأسلم من كان معه .

٧ ـ حادثة الردة

وبقي المنذر بن ساوى اميراً على البحرين حتى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد مات بعده بفترة وجيزة ، وقيل ان موته حدث اثناء مرض الرسول صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه ، وقد كان لموته ولوفاة الرسول صلى

←ابن العباس العبدي ١٣ – عامر بن الحارث ١٤– عبدالله بن عوف الاشج ١٥– الجارود بن بشر بن المعلى ١٦ – سفيان بن خولي ١٧ – محارب بن مزيده ١٨ – الزارع بن الوازع ١٩ – ابان العبدي ٢٠ – جابر بن عبدالله العبدي ٢١ – شهاب المتروك ٢٢ – عمرو بن عبد القيس ٢٣ طريف بن ابان ٢٤ – جابر بن همام ٢٥ – سفيان بن همام .

الله عليه وسلم أبلغ الأثر في النفوس ، فوفاتهما في وقت متقارب كانت بمثابة هزة عنيفة لا تقل عن الهزة التي حدثت في المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اغتنم هذه الفرصة أولئك الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم ، فانطلقت أيديهم العابثة تستغوي الفئات التي تأثرت بهذا الحادث المروع .

وقد أطلق المؤرخون على هذا الحدث صفة « الردة » على نحو من الشمول ، فقد ذكروا ان أهل البحرين ارتدوا عن دين الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذكروا ان الجارور العبدي قام واعظاً في بني عبد القيس يذكرهم بمصير من سبق محمداً من الأنبياء ، فقال « يا قوم ألستم تعلمون ما أنا عليه من النصرانية ، واني لم آتكم قط الا بخير ، وان الله بعث نبيه محمداً ونعى اليه نفسه فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفأن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ، ثم أردف قائلا ما شهادتكم أيها الناس على موسى ؟ قالوا نشهد انه رسول الله ، قال ما شهادتكم على عيسى ؟ قالوا نشهد انه رسول الله ، قال وأنا أشهد ان محمداً رسول الله عاش كما عاشوا ، ومات كما ماتوا ، واتحمل شهادة من لم يشهد ، فكان ان ثبت بنو عبد القيس على اسلامهم ، أما بنو بكر بن وائل فبقوا على ردتهم ، وقد تزعم الحطم بن ضبيعة حركة الردة ، وانضم اليه كثير من القبائل ، فاستغوى الخط ومن بها من الزط والسيابجة ، وأرسل الى الغرور بن سويد أخ النعمان بن المنذر ملك الحيرة سابقاً ، فمناه بتنصيبه ملكاً على عرش البحرين .

ثم زحف الحطم بجيوشه ونزل بين هجر والقطيف ، وبعث فرقة من قواته الى دارين فاحتلتها ، وفرقة أخرى الى جواثا فطوقتها ، وشدد عليها الحصار حتى

كاد ان يهلك من بها من الجوع، فكتب المسلمون رسالة الى الخليفة ابي بكر (ر.ض) يستنجدونه وضمنوها أبياتاً حماسية لعبدالله بن حذف :

الا ابلغ ابا بكر رسولا	وفتيان المدينة اجمعينا
فهل لكم الى قوم كرام	قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج	شعاع الشمس يغشي الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا	وجدنا النصر للمتوكلينا

وحينما تلقى رسالتهم بعث اليهم بنجدة من المدينة بقيادة العلاء بن الحضرمي وقد انضم اليهم اثناء مروره على اليمامة ثمامه بن أثال في من تبعه من بني حنيفه بعد مقتل مسيلمة الكذاب ورجوعهم الى حظيرة الاسلام ، ولحق بهم كذلك قيس بن عاصم المنقري التميمي في من تبعه من بني تميم الرباب ، فلما وصل العلاء ابن الحضرمي الى هجر ، بعث الى الجارود العبدي ، وأمره بان يتولى قيادة بني عبد القيس ، ويرابط في المناطق الساحلية ، وان ينازل جيوش الحطم في الجبهة الشرقية .

أما العلاء فقد سار بمن معه حتى نزل بالقرب من هجر فنازل جيوش الحطم في الجبهة الغربية ، وقد خندق الجانبان المتحاربان وظلت بينهما الحرب سجالا قرابة شهر يشتبكان في القتال نهاراً ، ويرجعان الى خنادقهما ليلا ، ففي ذات ليلة انبعثت ضوضاء من معسكر الحطم .. أحس بها المسلمون ، فتطوع عبدالله ابن حذف الشاعر المعروف بان يقوم بمهمة الاستطلاع عنها ، فنفذ الى معسكر الحطم ، واكتشف نقطة الضعف فيهم فعلم بان قافلة تحمل خمراً نزلت عندهم تلك الليلة فشربوا حتى سكروا ، فاغتنم المسلمون هذه الفرصة الذهبية فباغتوهم

بهجوم عنيف ، وانقضوا على معسكرهم ومزقوهم شرق ممزق، وقتلوا قائدهم الحطم ، واستولوا على أسلحتهم وذخيرتهم .

ثم زحف العلاء بقواته على مدينة هجر ، فطوقها وشدد عليها الحصار حتى اضطر أهلها الى التسليم ، فصالحوه على ثلث أموال المدينة ، وكان ذلك سنة ١٢ للهجرة .

وتوجه أخيراً الى القطيف وعبر البحر الى جزيرة تاروت لاحتلال دارين ، وهناك حدثت معركة عنيفة انهزم فيها المشركون ووضع المسلمون السيف في رقابهم حتى كادوا يفنوهم عن بكرة أبيهم، وغنموا أموالهم وأسلحتهم وعتادهم، ثم والى العلاء زحفه على مدينة السابون ، ففتحها عنوة ، ثم مدينة الغابة فاحتلها وقتل من بها من العجم .

أما مدينة الزاره فقد تحصن بها المعكبر الفارسي الذي كان يحلم على أثر حادثة الردة باستعادة مجده الداثر ، وقد أعلن التمرد والعصيان ، وانضم اليه مجوس هجر والقطيف الذين امتنعوا عن اداء الجزية ، وقد حاصر العلاء هذه المدينة ، فلم يتمكن من فتحها الا في خلافة عمر وبعد مصرع المعكبر نفسه على يد البراء بن مالك الانصاري ، وقد كانت هذه المدينة حصينة للغاية ، فلم تخضع للتسليم الا بعد ان قطع عنها الماء ، ويقال ان رجلا من الزاره نفسها دلهم على نقطة الضعف ، فأرشدهم الى مجرى الماء ، فأعلنت استسلامها ، واضطر أهلها الى الصلح على ثلث أموال المدينة من ذهب وفضة ونصف ما كان خارجها .

٨ ـ ايام الخلفاء الراشدين

وقد كان لتلك الامجاد البطولية التي قام بها العلاء بن الحضرمي أثر كبير في نفوس أبناء هذه المنطقة ، فاكتسب شعبية ممتازة ، فقد ذكر المؤرخون ان ابان ابن سعيد بن العاص حينما رجع الى المدينة طلب أهل البحرين من الخليفة ابي بكر (رض) ان يولي عليهم العلاء بن الحضرمي ، فاستجـاب لطلبهم ، وبقي والياً على البحرين حتى خلافة عمر (رض) الى حين قيامه بغزوته الشهيرة الى بلاد فارس دون ان يستأذن الخليفة في هذا الشأن .

فقد ذكر المؤرخون انه حشد جموعاً من عبد القيس تحت قيـادة ثلاثة من زعماء هذه القبيلة ، وهم الجارود بن عمرو وهمام بن سوار وخليـد بن المنذر ، ووجههم الى اصطخر في الضفة الشرقية من الخليج ، وقد كان من جراء تصرفه هـذا ان ورط الجيش العربي في مأزق حرج ، بالنظر لعدم تكافؤ القوى من جهة ، وعدم وضع خطط مدروسة للاقدام على مثل هـذا الأمر من جهة أخرى .

وقد نتج عن ذلك ان قام الجيش الفارسي المرابط على الحدود بقيادة الهربذ بتطويق الجيش العربي ، فحال بينه وبين سفنه ، وشدد الحصار عليه ، وهناك جرت بينهما معركة عنيفة في موضع يسمى « عقبة الطاؤوس » استمات فيهـا الجيش العربي في الدفاع عن نفسه ؛ وأسفرت المعركة عن مصرع همام بن سوار والجارود بشر بن عمرو ، وقد عمد الفرس الى اغراق السفن العربيـة ليقطعوا

على الجيش العربي خط الرجعة، وحالوا بينه وبين الخروج من الاراضي الفارسية بعد ان حاول الانسحاب عن طريق البصرة

وهناك تم الاتصال بحاضرة الخلافة الاسلامية فكتب الخليفة عمر (ر ض) الى امير البصرة عتبة بن غزوان وأمره بان يندب الناس لفك الحصار عن الجيش العربي، فاجتمعت قوة كبيرة مؤلفة من اثني عشر الفاً بقيادة ابي رهم، وكان من بينهم الاحنف بن قيس، وصعصعة بن معاوية فاتخذوا طريقهم عبر الساحل حتى التقوا بخليد بن المنذر وجماعته، وهناك اشتبكوا مع الفرس في معركة أسفرت عن انتصار القوات العربية، وبعدها عاد ابو رهم ادراجه الى البصرة بمن معه، ورجع بنو عبد القيس الى بلادهم.

وكانت هذه الحادثة هي السبب في عزل العلاء بن الحضرمي عن ولايته للبحرين فعلى أثرها أبعده الخليفة عمر وأمره بالتوجه الى البصرة حيث مات في طريقه، ودفن في موضع يسمى «العدان» وذلك في السنة الرابعة عشرة للهجرة.

ويحدثنا المؤرخون ان الخليفة عمر ولى مكانه عثمان بن ابي العاص الثقفي؛ ثم عزله وولى قدامة بن مظعون وجعل ابا هريره على الخراج والصلاة، ولكن هذا الأخير قدم الى المدينة ومعه ثروة طائلة، ولما كان قانون «من أين لك هذا» مطبقاً في خلافة عمر بصرامة، فقد حاسبه حساباً عسيراً واتهمه في أمانته.

ثم عزل الخليفة عمر قدامة بن مظعون وأعاد عثمان بن ابي العاص مرة ثانية الى منصبه، وضم اليه مقاطعة عمان، وقد قام عثمان هذا بغزو فارس ففتح اصطخر وأرسل جيشاً من عبد القيس الى مدينة «تانه» بالقرب من بمبي في الهند فقام بعدة غارات على موانئها وفتح جزيرة سيلان.

وفي بداية خلافة عثمان (رض) انتفضت ولاية اصطخر بزعامة ملكها شهرك الذي شجع الفرس على نقض الصلح ، فأوعز الخليفة الى عثمان بن ابي سعيد بن العاص بمقاتلته ، وأمده بقوات من البصرة بقيادة عبدالله بن معمر ، فالتقوا بالاراضي الفارسية ، وهناك حدثت معركة فاصلة ، أسفرت عن مقتل « شهرك » ملك اصطخر وابنه وفناء عدد كبير من جيشه ، ثم واصلوا زحفهم على مدينة نيسابور ، فاضطر ملكها ارزبنان الى الصلح ، كما فتحوا مدينة شيراز والكازرون وجنابه ، ومني الفرس اثناء زحفهم بهزائم متتالية .

ولما ولي الخلافة الامام علي عليه السلام جعل على ولاية البحرين عمرو بن ابي سلمة ربيب رسول الله ﷺ ، ثم عزله وولى النعمان بن العجلان الزرقي الانصاري وفي سنة ٣٩ هـ. استأذن الحارث بن مرة العبدي الامام علي عليه السلام في غزو الهند متطوعاً . فاذن له فظفر واصاب مغنماً .

٩ - ظهور الخوارج

ويحدثنا المؤرخون بان الخوارج بعد هزيمتهم في معركة النهروان ، وفناء معظمهم انهزمت فلولهم الى الصحراء المتاخمة لبلاد اليمامة والبحرين وعُمان وهناك قويت شوكتهم و كثر اتباعهم ، حتى أصبحوا بعد حين شوكة تقلق مضاجع الامبراطورية الأموية من جراء الغارات المتتالية التي كانوا يشنونها عليها .

وقد تزعم حركتهم هذه في بادىء الامر نجدة بن عامر الحنفي اذ سار بمن معه الى اليمامة ، فقام بعدة غارات على المدن الآمنة ، فنهبها وأخذ يعترض القوافل التي تمر عبر الصحراء ويسلب ما تحمله من أموال ، وقد كثر أتباعه من لاعراب المرتزقة حتى أصبح قوي الشوكة مرهوب الجانب ، ففي سنة ٦٧ هـ.

سار بجموعه الى بلاد البحرين ، فرحبت به قبيلة الازد بدافع من العصبية القبلية الا بنو عبد القيس فانهم رفضوا مهادنته وقالوا لا ندع نجدة يتولى أمرنا وهو حروري[1] مارق ، وأجمعوا أمرهم على قتاله ، فهاجم مدينة القطيف ، ودارت الدائرة على بني عبد القيس فمنيت جموعهم بهزائم متتالية ووضع السيف في رقابهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل مدينة القطيف فاستباحها ونهب أموالها ، وفي هذه المناسبة يقول حمل بن المعنى العبدي :

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها وما خير نصح بعد لم يتقبل

فقد كان في أهل القطيف فوارس حماة اذا ما الحرب شدت بيذبل

وبعد احتلال مدينة القطيف أقام نجدة فيها ، ثم أرسل ابنه المطرح ليتعقب فلول المنهزمين من عبد القيس فالتقى بهم في موضع يسمى « الثوير » فقاتلهم ، فدارت الدائرة عليه فلاقى مصرعه هناك ، وقتل معه جماعة من أصحابه .

وفي سنة ٦٩ هـ. استولى مصعب بن الزبير على البصرة فجهز قوة كبيرة تتألف من اربعة عشر الفاً ، وسيرها لقتال نجدة تحت قيادة عبدالله بن عمير الليثي ، فهاجم مدينة القطيف على حين غرة وكان بها نجدة ، فصده بهجوم معاكس وأوقع بجيشه وقتل منهم عدداً كبيراً وهزمهم هزيمة منكرة ، فولوا الأدبار ، وغنم نجدة ما في معسكرهم من أسلحة وعتاد .

وبعد هزيمة بن عمير جهز نجدة جيشاً لاحتلال عمان ، بقيادة عطية بن الاسود الحنفي ، فهاجمها وقتل حاكمها عباد بن عبدالله واستولى عليها ، وبقي فيها فترة

---

(١) نسبة الى حروراء وهي قرية تقع بالقرب من الكوفة اجتمع فيها الخوارج الاولون عندما جهروا بالخروج على الامام علي (ع) .

من الزمن ، ثم غادرها واستعمل عليها رجلاً يكنى أبا القاسم ، ولكن عمان ما لبثت ان انتقضت فثارت بزعامة سعيد وسليمان ابني حاكمها السابق، فاستعادت استقلالها وأُعدم الوالي .

وفي هذه الفترة قام نجدة بجولة في البوادي لجباية الصدقات ، فامتنع عليه بنو تميم بكاظمة وقاتلوه ، ثم تركهم وسار الى اليمين فخافه أهل صنعاء فاستسلموا له وجبى منهم الصدقات ، ثم بعث أبا فديك الى حضرموت فجبى الزكوات من أهاليها .

وفي سنة ٦٩ هـ. قصد مكة المكرمة في موسم الحج ، فهادنه ابن الزبير ، واتفق معه على ان يكف كل منهما عن الآخر وان يؤم كل منهما أصحابه في الصلاة وعند اقامة مراسم الحج ، ثم توجه بعد ذلك الى المدينة المنورة ، فاستعد أهلها لقتاله وحملوا السلاح ، وكان من بينهم عبدالله بن عمر ، فلما علم نجدة بأمرهم رجع ادراجه ويمم الطائف ، فخرج للقائه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي وصالحه ، فولى رجلاً يسمى الحاروق من قبله على الطائف وتباله والسراة ، وولى سعد الطلائع على نجران ثم قفل عائداً الى بلاد البحرين .

ويحدثنا ابن الأثير بان نجدة بعد رجوعه الى البحرين عمد الى مقاطعة الحجاز اقتصادياً ، فقام بقطع الميرة عن أهل الحرمين نكاية بهم ، فكتب اليه عبدالله ابن عباس يستعطفه ويناظره ، ويذكره بقصة ثمامة بن اثال حين قطع الميرة عن المشركين من أهل مكة لمناوأتهم الرسول ﷺ ، فما كان من النبي ﷺ الا ان كتب الى ثمامة « ان أهل مكة أهل الله وأهل حرمه فلا تمنعهم الميرة » فجعلها لهم ، ثم عقب قائلاً : وانت قطعت عنا الميرة ونحن مسلمون ، فارتدع نجدة عن عمله وعدل عن رأيه حيث عادت الأمور الى مجراها الطبيعي .

وكان للتشدد في الرأي الذي اتسم بـه مذهب الخوارج أثر بيـّن في بروز جبهات المعارضة ، فقد نجمت بعض الخلافات بين نجدة وكبار قومه ، فمنها ان أبا سنان بن حيان بن وائل طلب من نجدة اعدام من أجابه تقيّـه ، فرفض ، ولما شتمه هم ابو سنان بالفتك به ، كما خرج عليه عطية بن الاسود لأشياء نقمهـا عليه ، فسار الى عمان في من تبعه في رأيه ، وأسلموا قيادتهم لأبي فديك عبدالله ابن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة ، وقد قوي أمر أبي فديك فتتبع نجدة وألح في طلبه حيث اختفى في قرية من قرى هجر ، وفي سنة ٧٢ هـ. عثروا عليه فقتلوه وعلى الرغم من ان قتله اسخط بعضاً منهم الا انه خلـّص أبا فديك من أخطر منافس له في زعامة الخوارج .

ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٧٣ هـ. ان عبد الملك بن مروان اهتم بامر الخوارج وسيطرتهم على بلاد البحرين ، فندب الناس الى قتال أبي فديك ، فجهز جيشاً يضم عشرة الاف مقاتل، وسيره الى البحرين ، وهناك اشتبكوا مع قوات أبي فديك في معركة عنيفة ، كانت فيها بوادر النصر للخوارج ، الا ان تفـاني الجيش الأموي واستماتتـه في القتال أدى الى انتصاره آخر الأمر ، فهجم على معسكر الخوارج ومزقـه شر ممزق ، وأسفرت المعركة عن مصرع أبي فديك وهزيمة اصحابه حيث لجؤوا الى حصن المشقر ، وهناك طوقهم الجيش الأموي وشدد عليهم الحصار حتى أذعنوا للتسليم ، فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة ، وبهذا تم للأمويين أمر الاستيلاء على البحرين حيث ولى عليها عبدالملك بن مروان الاشعث بن عبدالله الجارود العبدي .

وقد تتبع عقد الملك بن مروان رجالات الشيعة بعد ان سيطر على بـــلاد البحرين فقتل خيار البلد ، وحمل الباقي على مفارقة التشيـع ، ولما فشلت خططه عمد الى محاربتهم اقتصادياً ، فدفن عيوناً كثيرة حيث ردمها بالصخور الضخمة ليقضي على زراعتهم ويضر بموارد رزقهم .

وفي سنة ٨٩ هـ. ثار الخوارج ايضاً بقيادة مسعود بن ابي زينب العبدي ، واستعادوا نفوذهم على بلاد البحرين ، حتى سنة ١٠٥ هـ. ففي هذه السنة قام مسعود نفسه بغزو اليمامة وكان والياً عليها سفيان بن عمر العقيلي من قبل الامويين، فالتقوا بقرية تسمى « الخضرمة » فاقتتلوا هناك ولكن الدائرة دارت على الخوارج ، فقتل الكثير منهم ،ومن بينهم قائدهم مسعود العبدي، وبذلك عادت البحرين الى الحكم الاموي ، وضمت الى سفيان العقيلي والي اليمامة .

وفي أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك قام يوسف بن عمر الثقفي والي العراق من قبل الامويين بعزل سفيان العقيلي عن اليمامة والبحرين ، وولى عليهما علي بن المهاجر ، وذكر ابن خلدون انه لما قتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ. ثار المهير بن هلال وهاجم علي بن المهاجر في قصره بقاع هجر ففر منه حيث هرب الى المدينة المنورة واستولى المهير على اليمامة ، ثم بعده تولى عبدالله بن النعمان ولم يزل بها حتى قدم المثنى بن يزيد بن هبيرة الفزاري والياً على اليمامة في عهد مروان الحمار آخر ملوك بني امية .

١٠ ـ ايام الخلفاء العباسيين

ولما دال الحكم لبني العباس سنة ١٣٢ هـ. وتم الأمر للسفاح أول الخلفاء العباسيين جعل عمه داود بن علي والياً على شبه الجزيرة العربية كلها بما فيها الحجاز واليمن ونجد والبحرين ، ثم عزله وولى خاله زياد بن عبدالله بن المدان ، ثم الحقت منطقة البحرين بالبصرة سنة ١٣٣ هـ. حيث كان والياً عليها عمه سليمان .

وبعد موت السفاح سنة ١٣٦هـ. تولى بعده المنصور فجعل على اليمامة والبحرين السري بن عبدالله الهاشمي ، ثم عزله سنة ١٣٩ هـ. وولى عليهما سفيان بن معاوية

ابن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، ثم ولى على البحرين قثم بن العباس وضم اليه اليمامة سنة ١٤٤ هـ.

وفي سنة ١٥١ هـ. خرج على المنصور سليمان بن حكيم العبدي ، وأعلن التمرد والعصيان ، فأوعز الخليفة العباسي الى والي البصرة عقبة بن مسلم بان يتوجه الى البحرين ليقضي على حركة التمرد ، فسار وقضى على تلك الحركة في مهدها وقتل قائدها سليمان وسبى أهل البحرين ، وبعث بالسبي والأسرى الى المنصور ، فقتل بعضهم ، ووهب البعض الآخر للمهدي الذي أكرم مثواهم ثم أطلق سراحهم .

وممن ولي على البحرين في عهد المنصور تميم بن سعيد بن دعلج سنة ١٥٧ هـ. ثم حمزة الكاتب الذي عزله المهدي حين تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ. وولى مكانه عبدالله بن مصعب، ثم تعاقب في عهده على ولاية البحرين سويد القائد الخراساني، ثم صالح بن داؤد سنة ١٦٤ هـ. ثم مولاه المعلى سنة ١٦٥ هـ. الذي عزله الهادي وولى مكانه محمد بن سليمان سنة ١٦٩ هـ.

وبقيت ولاية البحرين خاضعة للخلافة العباسية وأخلدت للسكينة حيناً من الزمن ، فلم تكن فيها ثورات ولا فتن ، ما عدا ثورة واحدة حدثت في خلافة الرشيد تزعمها سيف بن بكير أحد بني القيس ، ما لبثت ان خمدت اذ وجه الرشيد اليه محمد بن يزيد بن مزيد فقضى عليها ، وقتل زعيمها بمين النوره .

وممن ولي على البحرين اسحاق بن ابي حميصة في خلافة المعتصم ، ومحمد بن اسحق بن ابراهيم في خلافة المتوكل .

١١ ــ ظهور صاحب الزنج

ويذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٢٤٩هـ. أن رجلاً قدم من سامرا الى هجر أدعى انه من آل ابي طالب ، وزعم بان اسمه علي بن عبدالله بن محمد بن الفضل ابن الحسين بن عبدالله بن العباس بن علي بن ابي طالب ، وقد ذهب بعضهم الى انه من عبد القيس، ويكنى أبا جعفر ، وقيل انه من اصل ايراني، ان اسمه الحقيقي بهبوذ . وقد تبعه في بادىء الأمر خلق كثير ، واكتسب مكانة شعبية بين أهالي البحرين لعطفهم على العلويين ، فجبوا له الخراج ، وقاتلوا صاحب السلطان دونه ولكنه ما لبث ان انكشفت حقيقته وظهر زيفه ، فتنكروا له وانشقوا عليه ، فغادرهم الى البادية متنقلاً بين القبائل يدعو لنفسه ، فنزل في بني سعد بن تميم وكلاب ونمير ومعه جماعة من أتباعـــه من أهل البحرين ، منهم يحيى بن محمد الازرق البحراني وسليمان بن جامع قائد جيشه، فانخدعوا به ايضاً ، وتبعه منهم جماعة كثيرة ، فأغار بهم على بعض القبائل المعادية له بموضـع يسمى « الروم » وقـــد تصدى له العريان في بني عبد القيس ومحارب بن حفصة وبني عامر ، فأخرجه من بلاد البحرين ونواحيها ، ومُني هو وأتباعه بهزائم متتالية ، وقتل الكثير من أفراد عصابته وفر الباقون .

أما هو فقد افلت من أيديهم ، وفر منهزماً عبر الصحراء ، فلما كان بالصمان وقع بصره على الطائر المعروف بالمكاء ، فقال قصيدته التي أولها :

أيا طائر الصمان مالك مفرداً   تأسيت بي أم عاق ألفك عائق

وفيها يثني على بني تميم ونمير وكلاب ، ويهدد بني عامر ومحارب ويهجو العريان .

وفي سنة ٢٥٤ هـ. قدم الى البصرة ، فنزل في بني ضبيعة حيث عاود نشاطه ، ولكن عامل البصره محمد بن رجاء الحضاري أحس به ، فأحبط خططه ، فهرب وقبض على جماعة من أتباعه ، غير انه في السنة التالية عاد الى البصرة كرة ثانية باسلوب آخر ، فأخذ يدعو الزنج الى التمرد على أسيادهم والتحرر من ربقة الرق فكان اول داعية لتحرير العبيد قبل ان يوجد ابراهام لنكولن بعشرة قرون ، فاستهوت دعوته الزنوج « فانتظموا في طاعته ، وعظم خطره ، ففي سنة ٢٥٧هـ. احتل البصرة واستباحها ، واصبح مصدر قلق ومتاعب للدولة العباسية ، ولكن حركته لم تدم طويلاً ، اذ قضى عليها نهائياً ابو احمد الموفق في خلافة اخيه المعتمد سنة ٢٧٠ هـ.

وقد أطلق المؤرخون عليه لقب « صاحب الزنج » لتعاونه مع العبيد ، حتى ساوى بينهم وبين السادة في الحقوق ، فزوجهم ببنات الاشراف . وقد اطنبوا في ذكر الاحداث الفظيعة التي جرت في عهده ، والتي ترافق كل ثورة تطيح بالنظام القائم ، وما يدريك لو ان النصر حالفه - كما يقول الدكتور طه حسين[١] - لعد من ابطال التاريخ .

ويشير المسعودي الى عقيدته ، فيذكر انه يرى رأي الازارقة من الخوارج فيعتبر الذنوب كلها شركاً ، ويصفه ابن الطقطقي : بانه كان فصيحاً لبيباً ،

---

(١) كتب الدكتور طه حسين عن حركته فصلا ضافياً تحت عنوان « ثورتان » قارن بين ثورته وثورة سبارتاكوس في ايطاليا الذي تزعم ثورة العبيد فيها في القرن الاول قبل الميلاد ، وقد نشر هذا الفصل في مجلة الكاتب المصري في العدد الثامن ١٩٤٦ م.

ويذكر السيوطي ان اسمه « بهبوذ » وقد ادعى بانه ارسل الى الخلق فرد الرساله « وانه مطلع على المغيبات ، وكان له منبر في مدينته يخطب فوقه ، ويسب عثمان وعلي ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة . وهذا يتفق مع عقيدة الخوارج لما أشار اليه المسعودي .

١٢ — القرامطة

وبعد مضي عشر سنوات من القضاء على حركة صاحب الزنج ، انبعثت في البحرين حركة أخرى أعنف منها يتزعمها القرامطة ، وقد استغل هؤلاء عواطف الشيعة في بادىء الأمر ، فتوصلوا الى تحقيق مطامحهم واغراضهم .

والقرامطة فرقة انبثقت من الاسماعيلية التي ذهبت الى القول بامامة اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق الذي توفي قبل أبيه ، وقد كانت المبادىء الاسماعيلية في اول أمرها فكرة انطلقت في القرن الثاني للهجرة ببث الدعاة وتنظيم الخلايا، ثم استفحل خطرها في أواخر القرن الثالث ، فظهرت على المسرح السياسي بقيام الثورات وتكوين الدول وتأسيس الحكومات .

فقد نشط الاسماعيليون ، فبثوا دعاتهم في جميع الاقطار الاسلامية ، فذهب الى ايران محمد بن احمد الملقب بالشيعي ، فقضى على حركته بن نصر الساماني سنة ٣٣١ هـ ، وذهب الى المغرب ابو عبدالله الشيعي سنة ٢٨٨ هـ ، فأسس الدولة الفاطمية ، واعتنقها علي بن فضل فبثها في اليمن وسيطر عليها سنة ٢٩٩ هـ وتبناها حمدان ابن الأشعث الملقب بقرمط الذي ظهر بسواد الكوفة سنة ٢٧٨ هـ فعرفت حركته بالقرمطية ، وقد كثر اتباع هذا الرجل ، فطاردهم العباسيون وشتتوا شملهم ، فهرب منهم جماعة الى الشام فقاد حركتهم أبو القاسم المنتمي

الى ابي طالب ، فسار الى الرقة سنة ٢٨٩ هـ وانضم اليه كثيرون ، فجرت بينه وبين آل طولون حروب طاحنة أدت الى تضعضع ملكهم وانحلال دولتهم ، ولكن المكتفي بالله الخليفة العباسي أوقع بهؤلاء فقبض على زعيمهم وقتله سنة ٢٨٩ هـ ثم قاد حركتهم قرمطي آخر يكنى بابي غـانم سنة ٢٩٣ هـ فاحتل طبرية ، فقضى المكتفي بالله ايضاً على حركته في مهدها ، كما قاد حركتهم أيضاً ذكرويه بن مهرويه في بلاد الشام سنة ٢٩٣ هـ وتوغل في الأراضي العراقيـة ، ولكن حركته انتهت بصرعه بين البصرة والكوفة سنة ٢٩٤ .

أما حركة القرامطة في بـلاد البحرين وابتداء أمرها وهي ما يهمنا ان نتناولها بالتفصيل لعلاقتها بتاريخ هذه المنطقة .. فيحدثنا ابن خلدون انـه في سنة ٢٨١ هـ قدم الى القطيف رجل يدعى يحيى بن المهدي فنزل على رجـل يسمى علي بن المعلى ، فأظهر له يحيى بانه رسول المهدي انتدبه ليدعو شيعته الى أمره ، ويبشرهم بقرب ظهوره [١] ، فاستجاب له علي بن المعلى ، فدعا الشيعة من أهل القطيف وتلا عليهم الكتاب الذي تسلمه من يحيى ، فانخدعوا بـه وأجابوه بانهم على استعداد لمناصرتـه اذا ظهر أمره ، وفي نفس الوقت أرسل مبعوثيه الى القرى والارياف يخبرهم بالامر فابـدوا استعدادهم كذلك ، وأجابوه بالاجماع ، وكان ممن أجابه الحسن بن بهرام المكنى بابي سعيد الجنابي

(١) في سنة ٢٧٠ هـ توفي الامام الحادي عشر الحسن العسكري ، وقد انتقلت الامامة بوفاته الى ابنه محمد الملقب بالمهدي آخر أئمة الشيعة الاثني عشريـة ، وقد اختفى عن الاعين بسبب الارهاب الذي لحقه من العباسيين وظل الاتصال به بصفة سرية بواسطة سفراء حتى سنة ٣٢٩ هـ ثم تغيب نهائياً فلقب بالمنتظر ، وبقي الشيعة ينتظرون خروجه ليملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد عرف القرامطة منهم هـذا الشعور في تلك الفترة القريبة من غيبـة الامام فاستغلوه لتحقيق مطامعهم في المجد والسلطان .

الذي ينتمي نسبه الى ملوك الفرس ، وهو أحد الاثرياء والزعماء الذي تبنى أخيراً هذه الحركة .

وتقول الرواية أن يحيى بن المهدي غاب فترة قصيرة ثم عاد بكتاب من المهدي - كما زعم - يشكرهم فيه ويأمرهم بان يدفعوا له ستة دنانير وربع عن كل رجل ، وفي رواية أخرى ستة دنانير وثلثي الدينار ، فدفعوها عن طيب خاطر ثم غاب مرة ثانية وعاد بكتاب آخر يأمرهم فيه بدفع خمس أموالهم فانصاعوا لأمره ، وكان خلال تلك الفترة يتردد على منزل أبي سعيد الجنابي أحد الشخصيات البارزة الثرية الذي بدأ حياته تاجراً في المواد الغذائية ثم أصبح ضامناً لمكوس القطيف وفرضتها من قبل ولاتها علي أبي الحسن بن مسمار واخوته من عبد القيس ، وقد جمع ثروة طائلة من عمله هذا ، استعان بها أخيراً على القيام بحركته .

ثم ما لبثت هذه الحركة ان انكشف أمرها عند الشيعة في بلاد البحرين ، ولكن حب الزعامة دفع أبا سعيد الجنابي الى تبني هذه الحركة والعمل على نشر هذه الدعوة ، فكرس نشاطه من أجلها وبذل الأموال في سبيل نشرها ، فأخذ يدعو لها وينظم الخلايا السرية طيلة عامين حتى انتهى أمره الى الوالي سنة ٢٨٣ هـ فطلبه ، غير انه هرب الى مسقط رأسه جنابه (١) ، أما صاحبه يحيى فالقى القبض عليه واعتقله (٢) ، ولما أطلق سراحه لحق ببادية بني كلاب وعقيل

(١) قرية فارسية تقع على الضفة الشرقية من الخليج العربي .

(٢) ذكر ابن الاثير حكاية رواها عن رجل يقال له ابراهيم الصائغ بان السبب في قبض الوالي عليه قضية اخلاقية لان أبا سعيد الجنابي أمر زوجته بأن لا تمتنع منه اذا أراد ، وليس ببعيد أن تكون هذه الاكذوبة ملفقة من جملة الاكاذيب التي لفقت لتشويه سمعتهم .

وعامر والحريش ، فعاد يبث دعوته بينهم ، وفي اثناء ذلك علم ابو سعيد الجنابي بامر يحيى فلحق به ، فاستمال الاعراب المرتزقة ورؤساء القبائل وجماعة من أهل عمان ، وبذل لهم الاموال فاستجابوا لنصرته ، ثم قام بشن غارات ارهابية متتالية على القرى والارياف من نواحي القطيف .

ولما استفحل أمره ازمع على احتلال القطيف فسار اليها بجموعه ، فلم تستطع قوات علي أبي الحسن بن مسمار واخوته ان تقف أمام زحفه فاعتصموا بالزارة التي يرأسها الحسن بن العوام من الازد ، وقد ضيق عليهم الخناق حتى اذعنوا للتسليم ، فما كان منه إلا أن أعدم من كان بها ، وأحرق هذه المدينة ، ودمرها تدميراً كاملاً فلم تقم لها قائمة منذ ذلك الحين [١] .

ولما استتب له الامر في القطيف ونواحيها قبض على أبي زكريا البحراني واعدمه وتخلص منه ، ثم عزم على احتلال هجر ، ولكنه بدأ عمله كعادته بغارات تمهيدية على نواحيها ليزرع الارهاب في قلب أهلها وولاتها ، وكانت الرئاسة فيها للعباس بن سعيد من بني محارب ، والعريان بن ابراهيم بن سعيد الزحاف من بني عبد القيس .

وقد خشي العباسيون خطر أبي سعيد الجنابي في الاستيلاء على بلاد البحرين فانتدب المعتمد الخليفة العباسي لمحاربته العباس بن عمرو الغنوي الذي كان عاملا على فارس ، فاقطعه اليمامة والبحرين ، وأمده بالفي فارس فسار من بغداد عن طريق البصرة سنة ٢٨٧ هـ ، وقد التحق بجيشه فوج من

---

(١) على أثر تدميرها قامت الى جانبها قرية العوامية التي بناها العوام بن محمد بن يوسف الزجاج في أوائل القرن الخامس الهجري ، فنسبت اليه ، او ربما كانت منسوبة في الأصل للحسن بن العوام زعيم الازد ورئيس الزاره .

البحرانيين الساخطين الذين لجأوا الى البصرة وعدد كبير من المتطوعين في الخدمة العسكرية من بني ضبّه وأهل البصرة ، ثم ارتحل منها قاصداً بهم الى هجر ، وقبل أن يصل التقى في الطريق بابي سعيد الجنابي ، فالتحم الفريقان واقتتلا ، فلما جن الليل تفرق من كان مع العباس الغنوي من المتطوعين ، وفي الصباح باكروا القتال وحمل كل فريق على الآخر ، غير ان المعركة انتهت أخيراً بانتصار ساحق لابي سعيد الجنابي ، فاسر من بقي منهم ومن بينهم قائدهم الغنوي ، واستولى على ما في معسكرهم من أسلحة وعتاد ، وفي اليوم التالي عمد الى اعدام الاسرى فقتلهم وأحرقهم ، أما قائدهم الغنوي فمنّ عليه وأطلق سراحه ، وكلفه بأن يقوم باخبار الخليفه بما شاهد ليزرع الارهاب في قلب الخلافة العباسية ، وحين عادت فلولهم بالخيبة والفشل اضطربت البصرة فرقاً حتى ازمع سكانها على الارتحال منها لولا ان منعهم واليها الواثقي .

وفي آخر رجب سنة ٢٨٧ هـ زحف على هجر فاحتلها وقتل جمعاً كبيراً من عبد القيس ، ويقال انه دبر مكيدة للتخلص من زعمائها وأولي الامر فيها الذين يخشى خطرهم ، فجمع الرؤساء والاعيان واضرم حولهم النار فمن خرج مزقته السيوف ومن لم يخرج أكلته النار ، وبذلك قضى على منافسيه من عبد القيس وغيرهم .

ويحدثنا ابن الاثير .. ان ابن بانو أمير البحرين قام سنة ٢٩٠ هـ بكبس حصن للقرامطة فظفر بمن فيه ، وزحف على القطيف فافتتحها ، ولكن أبا سعيد سرعان ما استعاد نفوذه على بلاد البحرين قاطبة ، وبعث بسرية الى صحار قصبة عمان ، فافتتحها عنوة ، وما مات حتى بسط نفوذه في أنحاء الجزيرة العربية ، وامتد سلطانه الى الطائف .

وفي سنة ٣٠١ هـ اغتيل ابو سعيد الجنابي في حادث[١] غريب ، وكانت مدة حكمه سبعاً وعشرين سنة ، وقد تشكلت على أثر اغتياله هيئة من القادة العسكريين سميت بالعقدانية[٢] تولت مباشرة الحكم من بعده تسع سنوات ، وهي كانت بمثابة مجلس وصاية على عرش الدولة حتى يتمكن ولي عهده من القيام باعباء الحكم ، وقد عهد بالامر من بعده الى ابنه الاكبر سعيد الذي قيل انه عجز عن القيام به ، فتغلب ابنه الاصغر سليمان المكنى بابي طاهر على اخيه سنة ٣١٠ هـ. وابتز منه الحكم ، وكان عمره لا يتجاوز العام السادس عشر ، وقيل انه ثار عليه فقتله ، وكان شاباً جريئاً متهوراً الى أبعد الحدود .

وقد بايعه العقدانية بعد ان تغلب على أخيه ، ويذكر ابن خلدون ان عبيدالله

---

(١) يشير المسعودي معاصر القرامطة الى سبب اغتياله ، فيذكر .. ان بدر الحلي جاء من عمان عن طريق البحر لقتاله فلم يقدر له النصر فغنم ابو سعيد ما لديه ومن جملته خادمان صقلبيان ، فاختصهما لخدمته ، ولكنهما اغتالاه في الحمام في ذي القعدة سنة ٣٠٠ هـ. وقتلا عدة من خواصه منهم حمدان وعلي ابنا سنبر وبشر وابو جعفر ابنا نصير وهما خالا ولد ابي سعيد ، أما ما ذكره بعض المورخين من انه هم ان يفجر بخادم له صقلبي في الحمام فقتله فاعتقد انه بعيد عن الصحة ، ويرجح ان اغتياله كان بسبب عقائدي او سياسي او انتقاماً لسيدهما بدر .

(٢) العقدانية كما يستنتج من تاريخ القرامطة ليست مذهباً او طريقة من طرقهم وانما هي عبارة عن مجلس اعلى يشرف على سياسة الدولة مكون من القادة العسكريين ، وقد تأسس هذا المجلس على أثر اغتيال ابي سعيد الجنابي كما يستفاد من رواية المسعودي معاصر القرامطة ، فقد ذكر في كتابه التنبيه والاشراف بالنص ص ٣٣٨ بان ابا سعيد توفي في سنة ٣٠٠ هـ. ولابي طاهر من العمر ست سنوات وبقي العسكر تسع سنوات الى ان تسلمه ابو طاهر في زمضان سنة ٣١٠ هـ. وفحوى كلامه ان سياسة الدولة كان يشرف عليها خلال تسع سنوات مجلس مكون من القادة العسكريين ، وهو المراد بالعقدانية اي من بيدهم الحل والعقد ، وهو الذي بايع ابا طاهر اخيراً كما يذكر ابن خلدون .

المهدي أول الخلفاء الفاطميين[1] بعث اليـــه كتاباً بالولاية ، وبذلك أصبحت سلطته تستمد شرعيتها من الخلافة الفاطمية في المغرب المناوئة للخلافة العباسية في بغداد .

وقد قام ابو طاهر بمناورات ارهابية ضد الخلافة العباسية،فهاجم بعض المدن العراقية ، ففي سنة ٣١١ هـ. قام بهجوم مسلح على البصرة فتسلم أسوارها، وبعد مقاومة صامدة من الاهلين استمرت عشرة أيام افتتحها واستباحها ففتك بسكانها وصادر أموالهم وسبى نساءهم ، وأقام فيها سبعة عشر يوماً ، ثم ارتحل عنها ، وفي سنة ٣١٢ هـ. سار الى الهبير مما يلي الثعلبية وهو محل يقع شمالي نجد لاعتراض الحجاج العراقيين ، فصادف قافلة منهم قادمة من بغداد فاعترض سبيلها ونهبهـا وأسر بعض رجالها ، وكان بينهم أميرهم ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان واحمد بن بدر عم والدة الخليفة المقتدر وعاد بهم الى هجر .

فانتدب اليه الخليفة المقتدر العباسي وفداً يفاوضه من أجل اطلاق سراح الاسرى ، وبعث معه كتاباً يناظره في مذهبه ويوبخه على عمله ، فلمـــا قدموا أكرم مثواهم وأطلق سراح الاسرى وأنفذهم الى بغداد ، وبعث مع الوفـــد

(١) يمكننا ان نقول بان ابا عبدالله الحسيني المعروف بالشيعي هو مؤسس الدولة الفاطمية، فكان من أخاص الدعاة وأكثرهم حماساً تولى حسبة البصرة، وفي سنة ٢٨٨ هـ. توجه الى افريقيا فبث دعوته بين البربر وأيدته قبيلة كتامه ، وانتصر على حاكم افريقيا ، وقوض حكم الاغالبة فيها فكتب لعبيد الله المهدي يستقدمه وكان مقيماً في سوريا في بلدة السلمية التي تقع شرقي نهر العاصي ، فتسلل سراً حتى وصل الى هناك سنة ٢٩٦ هـ. فكان اول الخلفاء الفاطميين الذي أسس له عاصمة سماها المهدية بالقرب من تونس ، وقد لقي ابو عبدالله الحسيني مصير ابي مسلم الخرساني مؤسس الدولة العباسية اذ قتله عبيد الله المهدي وقتل أخاه ابا العباس سنة ٢٩٨هـ. وفي خلافة المعز لدين الله افتتحت مصر فانتقلت اليها الخلافة الفاطمية (٢٩٧ – ٥٦٧ هـ.) وحكم منهم ١٤ خليفة .

رسالة[1] جواباً على كتابه يبرر فيها عمله ويهدده ويوجه له مآخذ من النقد والتجريح ، ويقال انه أرسل اليه يناوره فيما اذا كان في قدرته الاستيلاء على البصرة والاهواز .

وفي سنة ٣١٢ هـ. خرج لمعارضة الحجاج فتصدى له جعفر بن ورقاء الشيباني والي الكوفة ومعه الف رجل ، فلم يتمكن جعفر من الصمود أمامهم فلاذ بالفرار ، فلقي قافلة الحجاج الاولى يرافقها ثمال امير البحر وجني الصفواني وطريف البكري وغيرهم في ستة آلاف رجل فردهم الى الكوفة ، ولكن أبا طاهر تتبعهم حتى وصلوا باب الكوفة ، فقاتلهم حتى شتت جمعهم وأسر منهم عدداً كبيراً ، ووقع جني الصفواني في الأسر ودخل ابو طاهر الكوفة ، ولبث فيها ستة أيام، يقيم نهاراً في الجامع ويبيت ليلاً في معسكره، ثم حمل ما استطاع نقله وعاد ادراجه الى هجر .

وفي سنة ٣١٤ هـ. حدث خلاف بين العقدانية وأهل البحرين، وشكل أزمة حادة ، اضطر بسببها ابو طاهر ان ينقل مركز ثقله الى هجر (الاحساء) فذهب الى هناك وأسس مدينته « المؤمنية » .

وفي سنة ٣١٥ هـ. استولى على عمان وهرب واليها الى فارس عن طريق البحر ، وفي نفس هذه السنة ايضاً زحف على العراق، وتوغل في سواد الكوفة، واستولى على ما فيها من مؤن وذخيرة ، فبعث المقتدر العباسي جيشاً بقيادة يوسف ابي الساج لطرده فمني بفشل ذريع ، والانكى من ذلك ان أبا الساج بعث الى الخليفة يبشره بالنصر والظفر قبل وقوعها استصغاراً بشأن القرامطة لقلة عددهم غير انه هزم شر هزيمة حين التحم الفريقان ووقع في الأسر فأوكل به

(١) ذكرنا نص هذه الرسالة في الفصل السابق .

ابو طاهر طبيباً يعالجه ، أما جموعه فلاذت بالفرار على كثرتها ، وعادت فلولها الى بغداد ، وقد ولىّ ابو طاهر من قبله على ولاية الكوفة الاخيضر من بني الحسن صاحب اليمامة .

وقد وقع نبأ هزيمة ابي الساج موقع الصاعقة حينما وصل الخبر الى حاضرة الخلافة العباسية ، فخاف الناس من القرامطة خوفاً شديداً ، حتى هم سكانها بالارتحال عنها ومغادرتها الى حلوان وهمدان ، ومما زاد في هلعهم ان فلول المنهزمين دخلوا الى بغداد وهم حفاة عراة ، وظل هذا الخوف يلاحق قادة الخليفة العباسي وجيوشه كلما التحموا في معركة مع القرامطة على الرغم من ضآلة عددهم حتى قال الخليفة ذات مرة : لعن الله نيفاً وثمانين الفاً يعجزون عن الفين وسبعمائة .

وعلى أثر هزيمة ابي الساج جهز الخليفة المقتدر العباسي اسطولاً يتألف من خمسمائة قطعة بقيادة مؤنس المظفر لصد القرامطة من عبور الفرار ، وذلك على أثر نبأ يفيد بانهم توجهوا الى عين التمر ، وقد بعث مؤنس فرقة من قواته لحماية الانبار ومنعهم من العبور ، غير ان القرامطة زحفوا على الانبار فسقطت في أيديهم بعد ان شتتوا حاميتها .

وحينما استولوا على الانبار عزّ هذا الامر على الخليفة العباسي ، فجهز نصر الحاجب في عسكر جرار لتعزيز قوات مؤنس فسار وكان برفقته ابو الهيجاء عبدالله ابن حمدان ، فلما وصلوا نهر الزباره على بعد ستة عشر كيلو متراً من بغداد أشار ابو الهيجاء على القائد نصر بقطع القنطرة ، وبمجرد ان رأى جموع الخليفة جيش القرامطة استولى عليهم الفرق فهرب معظمهم متسللاً الى بغداد وهنا ظهرت الحكمة في رأي ابي الهيجاء في قطع القنطرة اذ لو لم يفعل ذلك لانهزموا كلهم بدون قتال ، واستولى القرامطة على بغداد بسهولة .

ويحدثنا المسعودي الذي كان عن كثب .. بان مؤنس المظفر بعث غلامه يلبق في ثلاثة او سبعة آلاف فعبر جسر الفرات المعروف بجسر «سورا» لكبس جيش القرامطة من الخلف ، في نفس الوقت الذي كان ابو طاهر ومقدمة جيشه قد عبروا الفرات الى الضفة الشرقية ، ولكن الجسر انقطع فجأة ، وبقي في جانب ومعظم جنوده في الجانب الآخر ، وقد أوشكت هذه الخطة ان تنجح للقضاء عليهم قضاء مبرماً لولا انه احبطها ، فسارع هو واصحابه في اللحاق بمعسكره ، فعبروا النهر في زورق ولحق بمعسكره الذي استعاد معنوياته بوجوده فحملوا على يلبق واصحابه حملة عنيفة قضوا فيها على أكثريتهم ، ولاذ قائدهم يلبق بالفرار ، اما ابن الساج فقد قام باعدامه كل من العباس ابي الفضل وابي يعقوب يوسف اخوي ابي طاهر ، وكذلك أعدما بقية الأسرى في تلك الساعة الحرجة التي فاجأهم يلبق بمن معه .

ثم بعدما زحف ابو طاهر على هيت فحاصرها ، وكان المسعودي المؤرخ المعروف يومئذ فيها قادماً من الشام في طريقه الى بغداد ، ولكنه ما لبث أن فك الحصار عنها ، ويقول المسعودي ان ناراً انبعثت من معسكره في تلك الليلة عند السحر ، فظننا انه يريد معاودة الحرب ، فتبين انه ضاق باثقال الاسلاب والغنائم فعمد الى احراقها ، ثم ارتحل وزحف على الرحبة فافتتحها عنوة وكذلك قرقيسيا ، وهناك بث سراياه في تلك الانحاء فبعث سرية الى كفرتوثا ، وقد أزمع على احتلال دمشق ، والرملة من فلسطين ، ولكنه عدل عن رأيه فسارع الى العودة الى بلاده ، فغادر الرحبة في أول شعبان سنة ٣١٦ هـ. فمر في طريقه بهيت واشتبك مع أهلها في معركة دامية ، ثم اجتازها الى الكوفة والقادسية ، ومر بظاهر البصرة ، فوصل بلاد البحرين في اول صفر سنة ٣١٧ هـ.

ويحدثنا المسعودي .. ان غلاماً يسمى « الذكرى » من أبناء ملوك العجم

اصبهان قدم الى البحرين سنة ٣١٦ هـ في الوقت الذي كان ابو طاهر متغيباً عنها ومقيماً في الرحبة ، فتنفذ في الجيش ، فانصاعوا لامره ، واجمعوا عليه ، فسن لهم مراسيم ، وأحدث لهم بدعاً وعادات ، وقد قام بتصفية من خالفه من وجوه العسكر ، فقضى على بني سليمان واعدم أبا حفص ابن زرقان زوج اخت أبي طاهر وابتدع مذاهب وعادات شنيعة في الجيش لم يعهدها الناس منذ ان استولى القرامطة على هذه البلاد ، ويظهر أن مسارعة أبي طاهر في العودة الى بلاد البحرين وعدوله عن فتح دمشق والرملة كانت من أجل هذا السبب ،وقد عمد ابو طاهر الى مسايرته في بادىء الامر حتى تمكن منه فقتله ، وقضى على تلك العادات والمذاهب التي ابتدعها ، واستعاد نفوذه وسلطته، وفي سنة ٣١٧ هـ بنى مدينة سماها الاحساء في موضع يقع بالقرب من مدينة هجر .

وفي هذه السنة سار الى الحجاز فدخل مكة في السابع من شهر ذي الحجة، وكان أميرها محمد بن اسماعيل المعروف بابن مخلب ، وقد هادنه أهل مكة والحجاج في بادىء الأمر ، ولكنهم انقلبوا ضده حينما اغتيل نطيف غلام ابن حاج وكان من البوليس المكلف بحماية الأمن وحفظه ، وهناك اشتبكوا — كما يقول المسعودي — مع الأهالي والحجاج وامتشقوا السلاح وكانت ضحية هذه الفتنة ثلاثين ألفاً من الحجاج والاهالي ،وقيل أكثر من ذلك ، وقد فر كثير منهم الى بطون الأودية والشعاب ورؤس الجبال ، وهلك معظمهم جوعاً وعطشاً ، وقد ارتكب أبو طاهر في غمرة طيشه حماقة كبرى اذ عمد الى باب البيت فاقتلعه ، وكان مصفحاً بالذهب ، وأخذ جميع ما كان في البيت من المحاريب وغيرها ، واقتلع الحجر الاسود ومقدار موضعه ما تدخل فيه اليد الى أقل من المرفق ، وجرد الكعبة من كسوتها وحمل ما أصابه على خمسين جملاً وغادرها في اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة ، وكان خلال اقامته التي استمرت ثمانية أيام يدخلها هو وأصحابه غدوة ويخرجون منها عشية ، ولما ارتحل ميمماً شطر بلاده اعترضته هذيل في المضايق والشعاب والجبال ، واشتبكت

معه فاستطاعت ان تخلص كثيراً من الاسرى والوفاً من القوافل التي قيل انها كانت حوالي ماية الف بعير ، وقد كاد ابو طاهر ان يضل الطريق لولا ان دله عليها عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد ، ومن ثم عاد بمن معه الى بلاد البحرين .

وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير في سوء العلاقات بين أبي طاهر وبين الفاطميين ، فكتب اليه عبيد الله المهدي يوبخه على هذه التصرفات ويلعنه ، قائلا : لقد حقت على شيعتنا ودولتنا كلمة الكفر والالحاد مما فعلت . وأمره برد الحجر الاسود الى مكانه واعادة ما أخذه من الحجاج ، ويقال انه أرجع ما أمكنه من الاموال الى ذويها من أهل البلد ، واعتذر عن رد الباقي لتفرق أصحابها من الحجاج الى انحاء البلاد ، أما الحجر الاسود فبقي لديه حيث أقامه في موضع ـ كما يقال ـ يسمى الآن « بالجمبة » يقع بين الجش وسيهات جنوبي مدينة القطيف .

وقد استغل الخليفة العباسي الراضي بالله فرصة سوء العلاقات بين القرامطة والفاطميين من جراء تلك التصرفات الشاذة ، فأوفد اليه سنة ٣٢٢ هـ محمد بن ياقوت فقدم الى هجر يدعوه الى الاعتراف بالخلافة العباسية ، ليقره الخليفة على ما بيده من البلاد ، ويقلده ما شاء من الاعمال ، ويمنحه ما أراد من الحسبة ، والتمس منه ان يرد الحجر الاسود الى موضعه وان يكف عن معارضة الحجاج، فأجابه الى الثانية ولم يستجب الى الاولى ، وطلب منه أن يطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة العباسي في أعمال هجر ، وفعلا فقد ذهب الحجاج في تلك السنة ولم يعترض لهم أحد

ومنذ ذلك الحين تحسنت العلاقات بين القرامطة وبين العباسيين ، فكان لهم في بغداد ممثل نافذ الأمر ، وقد برهنت الأحداث التالية على

مدى التعاون الوثيق فيما بينهم ، الذي تطور الى ما يشبه حلف صداقة ودفاع ضد الفاطميين .

وفي رمضان من سنة ٣٣٣ هـ مات أبو طاهر بعد ان اتسع نفوذه ، فضربت له الأتاوة في بغداد من قبل الخلفاء العباسيين وفي دمشق على أمرائها من بني طغج [١] ، وفي مصر حيث كان كافور الاخشيدي ملك مصر يدفع لهم أتاوة في كل سنة قدرها ثلاثمائة الف دينار .

وقد كانت مدة ملكه ٢٣ سنة وقد ترك عشرة أولاد أكبرهم سناً أبو المنصور احمد بن الحسن الذي تولى الأمر من بعده ،غير ان العقدانية اختلفوا عليه ومالوا الى ولاية اخيه سابور ، وكاتبوا القائم بالله الخليفة الفاطمي في ذلك ، فجاء جوابه تعزيزاً لولاية احمد على ان يكون سابور ولي عهده ، فاستقر له الامر ، وهو الذي قام برد الحجر الاسود الى موضعه بالكعبة المشرفة سنة ٣٣٩ هـ . بعد ان لبث لديهم قرابة ٢٢ عاماً .

ويحدثنا ابن خلدون ان سابور قام بمؤامرة على أخيه أبي المنصور أحمد بالاشتراك مع بعض اخوته فاعتقله سنة ٣٣٨ هـ غير أن أحد اخوانه قام بانقلاب ضدهم فأخرج أخاه أبا المنصور من المعتقل واعدم سابور ونفى اخوته واشياعهم الى جزيرة أوال . ولكن أبا المنصور لم يعمر طويلا فاغتيل سنة ٣٥٩ هـ مسموماً على يد اشياع سابور حيث تولى بعده ابنه الحسين بن احمد

---

(١) كان طغج عميد هذه الاسرة عاملا لآل طولون في دمشق وحمص والاردن الذين امتدت دولتهم في الشام ومصر حوالي ٤٧ سنة وانقرضت سنة ٢٩٢ هـ وقد استولى هذا على مناطق أسياده وظلت في أعقابه يتوارثونها ، فكان آخرهم أبو الحسن علي بن أخشيد الذي مات عن طفل صغير ما لبث كافور الاخشيدي خادمه المقرب ان قتله فاستولى على الملك .

الملقب بالاعصم الذي طالت مدة حكمه وعظم شأنه وكان شاعراً مطبوعاً وشجاعاً مقداماً وقد عمد الى نفي اسرة ابي سعيد الجنابي الى جزيرة أوال وفرض عليهم اقامة اجبارية ، ليصفو له الجو وليكون بعيداً عن محيط الدسائس والمؤامرات .

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات بين القرامطة والفاطميين قد ساءت مرة ثانية في بداية حكم الاعصم ، على أثر قطع الاتاوة التي كان يدفعها لهم كافور الاخشيدي حين تم استيلاء المعز لدين الله على مصر سنة ٣٥٨ هـ (١) وقد اساءهم ذلك فأعلنوا الحرب ضده ، وتحالفوا مع أعدائه الخلفاء العباسيين ، ويذكر ابن الاثير ان الاعصم حج هذه السنة أي سنة ٣٥٩ فلم يتعرض للحجاج ولم ينكر الخطبة للمطيع العباسي ، بل كانت الخطبة بمكة له وللمطيع على السواء .

وفي سنة ٣٦٠ ذهب الاعصم الى بغداد للتفاوض مع الخليفة العباسي المطيع لله بشأن اعلان الحرب ضد الفاطميين ، فطلب منه أن يساعده ، فيمده بالمال والرجال غير أن الخليفة العباسي أوجس خيفة منه ، لاعتقاده ان كلا الطرفين قرامطة وعلى دين واحد ـ كما قال ـ ولكن بختيار وزير المطيع أقنعه ، فأمده بالمال والسلاح ، فزحف على الشام ترفرف على قواته الاعلام السود شعار الدولة العباسية ، وقد كتب عليها اسم المطيع ، فهاجم دمشق ، وهناك انضم اليه جمع من انصار الاخشيدية وأعراب البادية ، وقد استهان بأمرهم القائد

---

(١) يذكر المؤرخون انه لما مات كافور الاخشيدي عصفت بمصر ريح الفتن والاضطرابات فكتب أشرافها الى الخليفة المعز الفاطمي سنة ٣٥٦ هـ يدعونه الى فتح مصر لتوطيد الامن واقامة العدل فبعث قائده جوهر الصقلي في جيش كبير فدخلها دون مقاومة سنة ٣٥٨ هـ وقرئت الخطبة باسم المعز على منابر المساجد كما بعث قائده جعفر بن فلاح لفتح الشام فاستولى على دمشق وقد قام المعز لدين الله بقطع الأتاوة التي كان يدفعها كافور الاخشيدي للقرامطة وقدرها ثلاثماية الف دينار مما أدى الى تردي العلاقات بينه وبينهم .

الفاطمي جعفر بن فلاح ، فكبسوه بظاهر دمشق وقتلوه واستولوا على دمشق وأمنوا أهلها . فولى الاعصم عليها ظالم بن موهوب العقيلي ، ثم زحف على الرملة فاحتلها وهو في طريقه الى مصر .

ولما وصل الى المعز نبـــأ احتلالهم لديار الشام وتوجههم الى مصر .. عظم عليه الامر ، فكتب الى الاعصم كتاباً يذكر فيـــه فضل نفسه وأهل بيته ، ويقنعه بأن الدعوة واحدة ، لان دعوة القرامطة له ولآبائه من قبله ، ثم وعظه وبالغ في تهديده . فلما وصل كتاب المعز أجابه الاعصم بايجاز .. بانه قد وصل كتابك الذي قـلّ تحصيله وكثر تفصيله ، ونحن سائرون اليك والسلام ، وفي هذه المناسبة قال :

زعمت رجال الغرب اني هبتها فدمي اذاً ما بينهـــا مطلولُ
يا مصر ان لم اسق ارضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيلُ

ثم زحف على مصر ، ونزل بعين شمس ، وانضم اليه جمع كثير من الاعراب المرتزقة ، فشن عدة غارات على مدنها ، وقد هال المعز كثرة جيوشه ؛ وتحير في أمره فعمد الى مشورة أصحابه ، فأشاروا عليه بان يسعى الى تفريق كلمتهم ، والقاء الخلف فيما بينهم ، وهناك كاتب بن الجراح [1] أحد قواد الاعصم واستماله ، فبذل له ماية الف دينار ، واتفق معه على ان يتظاهر بالهزيمة حين نشوب القتال ، وفعلا فقد نفذ الخطة في الوقت المحدد ، فانهزم وانهزم معه جمع كثير ، وقـــد

---

(١) هو حسان بن الجراح أمير العرب بالشام مـال الى القرامطة في بادىء الامر واشترك معهم في حملتهم على مصر ، وهناك استماله المعز ثم كان من اخلص اشياعه حيث ولاه دمشق بعد اخراج الاعصم منها سنة ٣٦٢ هـ الى ان تغلب عليه افتكين مولى آلى بويـه الذي قدم من بغداد الى دمشق هارباً فبايعه أهلها ، ولكنه هو الآخر قدم يمين الولاء للمعز فأقره عليها ، ثم انتقض على الفاطميين بعد وفاة المعز .

ثبت الاعصم في بادىء الامر ، فارهقوه حتى لم يعد له أمل في النصر ، وهناك ولى الادبار عائداً الى بلاد الشام ، وقد جهز المعز جيشاً من عشرة آلاف رجل بقيادة أبي محمد بن ابراهيم بن جعفر ، وأمره بأن يتوجه الى الاحساء لمطاردتهم وغزوهم في عقر دارهم ، ولكنه عدل أخيراً خوفاً من أن يستجمعوا قواهم ، فتؤدي القضية الى نتائج عكسية .

ويحدثنا ابن خلدون : ان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله كتب للاعصم وهو في الرملة سنة ٣٦١ هـ على أثر هزيمته من مصر كتاباً يوبخه فيه ويتضمن عزله من عمل القرامطة في البحرين ، كما اسند امر ولايتها لبني طاهر ابناء عمه اذ كتب لهم كتاباً في هـــذا الشأن ، فخرجوا من منفاهم من جزيرة اوال وساروا الى الاحساء فنهبوها في حين كان الاعصم غائبا في ديار الشام ، ولكن الطائـــع الخليفة العباسي كتب لهم بأن يلتزموا الطاعة ويعودوا الى اوال ، وانتدب اليهم من أصلح فيما بينهم ، ووطد الامر للاعصم .

وفي سنة ٣٦٢ هـ جهز المعزّ جيشا بقيـــادة جوهر الصقلي لفك الحصار عن يافـا التي طوقها القرامطة بقيادة الاعصم ، وبعث اليها اسطولا يتألف من خمس عشرة سفينة محملة بالزاد والمـيرة لاهلها ، غير ان القرامطة استولوا عليها فصادروها ، فلم ينج منهـا إلا سفينتان افلتتا من قبضتهم ، فاستولى عليهما الروم ، ثم اشتبك القرامطة مع جيوش المعز في عدة معارك اسفرت عن انتصارهم وانهزام القـــائد جوهر فاستولوا على معسكره ، وغنموا ما فيه من أسلحة وعتاد .

ولما استتب لهم الامر في الشام أعادوا الحملة كرة ثانية على مصر ، فوجه

لهم المعز قوة كبيرة بقيادة ابنه عبدالله ، فوافاهم ببلبيس وهزمهم شر هزيمة ، وامعن فيهم اسراً وقتلا ، وانهزم الاعصم عائداً ادراجه الى الاحساء .

وفي سنة ٣٦٥ هـ توفي المعز الخليفة الفاطمي ، فطمع الاعصم في بلاد الشام ، وشجعه على المسير اليها افتكين التركي مولى آل بويه الذي كان واليا عليها في قبل المعز والذي انتقض على الفاطميين ، وأعلن العصيان ، فقد كتب الى الاعصم حين حاصره جوهر الصقلي بأن يسارع اليه ، فسار الاعصم الى الرملة فاحتلها دون مقاومة تذكر ، وتوجه الى دمشق سنة ٣٦٦ هـ ، وهناك اشتبكوا مع قوات العزيز بالله بن المعز الفاطمي فألحقت بهم هزائم متتالية ، والقت القبض على المتمرد افتكين ، أما الاعصم فهرب الى طبرية ومنها الى الرملة حيث وافته منيته هناك سنة ٣٦٦ هـ .

وعلى اثر موت الاعصم ثار أهل البحرين ضد اسرة أبي سعيد الجنابي ، ووجهوا اليهم كثيراً من النقد والتجريح ، وانكروا عليهم خطبتهم وولاءهم لبني العباس ، واتفقت كلمتهم على اخراج الامر منهم ، فنفوهم باجمعهم الى جزيرة أوال ، واسندوا مهام سياسة الدولة لرجلين منهم ، هما اسحق وجعفر ، يعاونهما ستة اشخاص .. اطلقوا عليهم اسم « السادة » ثم أعلنوا ولاءهم للفاطميين في مصر ، واستبدلوا شعارات الدولة العباسية بشعارات الدولة الفاطمية .

وقد أساء المعنيين في بغداد هذا الاتجاه المعادي ، فالقوا القبض على ممثلهم في بغداد ابي بكر بن شاهويه ، الذي كان له نفوذ واسع ، حتى قيل انه يتحكم تحكم الوزراء ، فأساء القرامطة هذا الاجراء الذي اتخذه ضدهم صمصام الدولة ، كما أساء الجمهور ، وتوقعوا شراً لما في نفوسهم من خوف وهيبة للقرامطة ، فعلى أثر هذا الاجراء جهز اسحق وجعفر الزعيمان الهجريان حملة كبيرة سنة ٣٧٥ هـ . واتجها نحو الكوفة واستوليا عليها ، وخطبا لشرف الدولة البويهي نكاية باخيه

صمصام الدولة[1] ، فكتب لهما هذا الأخير يستلطفهما ، ويستفسر عن الاسباب التي دعتهما للقيام بهذه الحركة ، فأجاباه باحتجاج صارخ اللهجة على الاجراء الذي اتخذه ضدهم في القبض على نائبهم ، فتوترت العلاقات فيما بينهم ، فسير صمصام الدولة جيشاً لمقاتلتهم ، فاشتبكوا في معركة عنيفة أسفرت عن انهزام القرامطة وأسر عدد من قادتهم فاعدموا ، ولكن القرامطة عادوا كرة ثانية ، وجهزوا جيشاً آخر كثيف العدد ، فكان نصيبه مثل سابقه اذ مني بهزيمة منكرة ، واجلي عن الاراضي العراقية ، حيث عادت فلوله الى بلاد الاحساء .

وكانت هذه المعركة الاخيرة هي الحد الفاصل في تاريخهم المليء بالاحداث والمغامرات ، فمنذ ذلك الحين لم يغز لهم جيش خارج حدود دولتهم ، فانكسرت شوكتهم حتى اجترأ عليهم أعداؤهم فغزوهم في عقر دارهم ، وساعد على ذلك تأزم الخلاف بين رئيسيهما اسحق وجعفر اذ طمع كل منهما في الانفراد بالحكم ، فتفرقت كلمتهم في الفترة التي أشرفت فيها دولتهم على الاحتضار .

فيحدثنا التاريخ ان آل بويه البوا عليهم رجلاً قوي الشكيمة من قبيلة

---

(١) كان جد العائلة بويه رئيس عشيرة جبلية محاربة تقيم في الديلم، واستطاع ابناؤه الثلاثة علي « عماد الدولة » وحسن « ركن الدولة » واحمد « معز الدولة » ان يمدوا سلطانهم على الاراضي التي حولهم ، وفي سنة ٣٣٤ هـ دخلوا بغداد فاعترف الخليفة المستكفي بدولتهم ومنحهم الالقاب ، وكانت الرئاسة لمعز الدولة فلما مات خلفه ابنه عز الدولة بختيار ، غير ان عضد الدولة قام بخلع اخيه فاقره الخليفة مكانه وتوفي سنة ٣٧٢ هـ وكان هذا واخوه من قبله قد اقطعا القرامطة الشيء الكثير ، وقد خلفه ابنه صمصام الدولة ، ولكن أخاه شرف الدولة عزله اخيراً وتولى محله وتوفي سنة ٣٧٩ حيث خلفه ابنه بهاء الدولة ، وقد طالت مدة ملكهم ١٣٣ سنة ، وانتهى امرهم باستيلاء البساسيري على بغداد .

المنتفق[1] يسمى الاحيفر ، فحشد معه جمعاً كثيراً وسار بهم سنة ٣٧٨ هـ الى بلاد البحرين ، فخرج القرامطة للقائه والتحموا معه في معركة طاحنة أسفرت عن قتل رئيسهم وفناء معظمهم ، وأسر عدد كبير منهم وفرار فلولهم حيث اعتصموا بالاحساء ، فحاصرها الأحيفر مدة ، ولما يئس من فتحها[2] زحف على القطيف ، فصادر جميع ما كان فيها للقرامطة من الأموال والمواشي والعبيد ثم عاد ادراجه الى البصرة .

١٣ ـــ استيلاء بني ثعلب وبني عقيل

وحين ضعف أمر القرامطة بالبحرين طمع في ملكهم بعض القبائل التي كانت موالية لهم ، والتي كانوا يستخدمونها في حروبهم ، ويستنجدونها ضد أعدائهم ، وأشهرها بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم ، الا ان بني ثعلب كانوا أقوى شكيمة وأكثر عدداً فتحالفوا مع بني مكرم رؤساء عمان ضد القرامطة ، ففي سنة ٣٩٨ زحف الاصغر بن ابي الحسن الثعلبي زعيم بني ثعلب على الاحساء ، فاستولى عليها وخطب للخليفة العباسي ، ويحدثنا ابن خلدون ان بني ثعلب ضاقوا ذرعاً ببني سليم اخيراً ، فاستعانوا عليهم ببني عقيل ، فاجلوهم عن أراضي البحرين ، حيث نزحوا الى مصر ومنها الى المغرب ثم مالبث بنو ثعلب ان اختلفوا ايضاً مع قبيلة بني عقيل ، فاجلوها .. هي الاخرى الى العراق ، وصفا الجو لبني ثعلب حيث أسسوا دولة على انقاض دولة القرامطة ظلت متوارثة في اعقاب الاصفر الثعلبي .

---

(١) المنتفق فرع من قبيلة بني عقيل المتفرعة من عامر بن صعصعة موطنهم الاصلي غربي اليمامه في جزيرة العرب ، ثم أقاموا في الفتح الاسلامي بين الكوفة والبصرة .

(٢) يحدثنا ناصر خسرو في رحلته بان الاحساء كانت حصينة جداً ، وكان لها اربعة اسوار تحيط أسوارها وقراها وبين كل سورين فرسخ .

أما بنو عقيل فحين نزحوا الى العراق استولوا على الكوفة ، واخضعوا لنفوذهم عدداً من البلدان العراقية ، الا ان الاصفر التغلبي طمع في ملك بني عقيل بالعراق فسار اليهم وحاربهم برأس عين التمر ، واستولى على مناطق نفوذهم ، واخضع الجزيرة والموصل ، ولكنه اصطدم اخيراً بنصير الدولة ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ، فألب عليه الولاة من كل حدب وصوب ، فهزم جموعه واعتقله ثم اطلقه حيث عاد ادراجه الى بلاد البحرين ، وقنع بالسيطرة عليها .

ولبث بنو عقيل فترة من الزمن يسيطرون على الجزيرة بالعراق حتى قامت الدولة السلجوقية القوية[1] في منتصف القرن الخامس ، فسيطرت على الاراضي العراقية ، فتلاشى نفوذهم ، فمن ثم غادروا العراق ، وتحولوا عنها الى بلاد البحرين مواطنهم الاولى ، فوجدوا دولة بني ثعلب قد ادركها الهرم ، فاستولوا عليها حتى غلبهم عليها العيونيون .

ويظهر ان دولة بني الاصفر ومن أتوا بعدهم كانت ذات طابع اقطاعي ، وهو نظام عرفته هذه المنطقة في أغلب أدوار تاريخها ، بمعنى ان رأس الدولة يكتفي من الولاة بالسيادة العليا على البلاد ، ويقنع بالجرايات السنوية والعوائد المالية ، ويترك سياسة البلاد وتصريف أمورها في الحقل الداخلي لرؤسائها المحليين ، لذلك حين تم لعبدالله العيوني الاستيلاء على هذه المنطقة قام مباشرة بقطع تلك العوائد والجرايات التي كانت تدفع لبني عامر .

---

(١) دولة قامت على انقاض الدولة الغزنية التي كانت تسيطر على خراسان وبلاد ما وراء النهر والافغان وشرقي البنجاب ، وترجع الى اصل تركي ، وقد استطاعت هذه الدولة ان تكتسح فيما بعد دولة آل بويه في فارس والعراق ، وقد قدم الملك السلجوقي طغرلبك الى بغداد حينما استنجد به الخليفة القائم بالله واثناء ثورة البساسيري .

وقد اطلقت كلمة القرامطة على الزعماء المحليين ، فلم يفرقوا بينهم وبين القرامطة الذين انتهى أمرهم بموت الاعصم على الاصح ، او منذ استيلاء بني ثعلب على هذه المنطقة على اكثر تقدير ، فكأن اطلاق هذه الكلمة كان امتداداً للتاريخ الذي تولى فيها الرؤساء الوطنيون من الشيعة سياسة أمور البلاد ، ولميلهم الى الفاطميين في مصر اصبحوا لا يفرّق بينهم وبين القرامطة الاسماعيلين .

١٤ ــ الحركات الانفصالية وسيطرة ابن العياش

وما ان انتصف القرن الخامس الهجري حتى نشبت الثورات في أرجاء بلاد البحرين ، وبرزت الحركات الانفصالية ، فبسط نفوذه على جزيرة أوال ابو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج ، وسيطر على القطيف يحيى بن العياش ، كما طمع عبدالله بن علي العيوني في ملك الاحساء ، فدانت له ولاسرته بلاد البحرين قاطبة في النهاية .

وكان أول من فكر في الانفصال ابو البهلول الذي كان ضامناً لمكوس جزيرة اوال ، فمهد بالاشتراك مع اخويه مسلم وجعفر لنجاح خطتهم بان طلبوا في بادىء الأمر من واليها جعفر ابن ابي محمد ابن عرهم بان يأذن لهم في انشاء جامع تقام فيه صلاة الجمعة يكون بمثابة ندوة يجتمع فيها الغرباء والمسافرون لتشجيع الحركة التجارية ، فكتب ابن عرهم لأولي الأمر يستأذنهم فوافقوا ، وبعد افتتاح الجامع مباشرة صعد المنبر ابو الوليد مسلم اخو العوام وكان خطيباً مفوّهاً ، فخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وقد اعتبروها خدعة ، فاستنكروا عمله ، وطالبوا بمنعه ، غير ان الجواب جاء بان يعطوا حريتهم وان لا يعترضوا في مذهبهم .

وعلى أثر ذلك حدثت فتنة البساسيري[1] في بغداد الذي خلع الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة ٤٦٦ هـ. فاعترضوا أبا البهلول وأتباعه ، وقالوا لمسلم ان من تخطب له في بغداد قد دالت دولته ، وتحولت الخطبة للخليفة الفاطفي في مصر ، ولكن العوام تحول فجأة ، ومضى يوطد العلاقات الطيبة بينه وبين سادة البلاد ويبعث لهم الهدايا حتى اصبح له نفوذ واسع ، فطمع في حكم الجزيرة ، فأخذ يعكر الجو في وجه الوالي ابن عرهم ويثير الاضطراب حوله ويضعف من مركزه ، واخيراً وشى به الى السلطات العليا حتى عزلوه ظناً منه انهم يستبدلونه محله ، فيسندوا اليه ولاية الجزيرة ، فلما بعثوا بوال جديد لولايتها ولقمع حركة العصيان خاب أمله ، فجمع عشيرته وأتباعه واتصل بابن ابي العريان – وهو من كبار الزعماء ورؤساء العشائر – وتآمر معه على قلب نظام الحكم .

وحين أحس الوالي الجديد بحركتهما اعتزم القبض عليهما ، ولكنهما فاجآه بالثورة ، فاضطر للهرب ، فكتب ابو البهلول مرة ثانية الى سادة البلاد يساومهم في اعادة ابن عرهم او الاستمرار في اعلان العصيان ، فجاء الرد قاسياً اذ بعث الوزير عبدالله سنبر احد اولاده الى عمان لجلب السلاح لقمع حركة التمرد واخضاعه ، ولكن ابا البهلول وابن ابي العريان كمنا لابنه في الطريق عند عودته فقتلاه واستوليا على السلاح .

---

(١) هو القائد التركي ارسلان البساسيري الذي قدم الى بغداد سنة ٤٦٦ هـ. فقوض دولة آل بويه ، واستولى على السلطة العليا ، فاستنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغر لبك ضده لميوله للعلويين فزحف على بغداد ، ففر البساسيري الى الموصل ، وحين غادر طغر لبك بغداد لقمع ثورة نشبت في ايران عاد البساسيري الى بغداد فخلع الخليفة العباسي وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله نكاية به ، وارسل البرده والقضيب والمنبر الى مصر ، واستمرت الخطبة للفاطميين في بغداد قرابة عام ، عاد بعدها طغر لبك فقاتل البساسيري حتى فتك به ، واعاد الخليفة العباسي القائم بأمر الله الى مركزه السابق .

وقد عز على ابن سنبر وقوع هذا الحادث ، فعمد الى مكاتبة ابن العريان سراً ووعده بولاية جزيرة اوال حتى استماله ، فاتفق معه على اغتيال ابي البهلول ، غير ان أبا البهلول علم بما يدبر له في الخفاء ، فبادر الى اغتيال أبي العريان ، ومن سوء الطالع ان عبدالله بن سنبر أبحر على حين غرة ولم يعلم بما حدث لابن ابي العريان في اسطول يتألف من مایة وثمانين قطعة يقل جيشا من بني عامر وخمسماية فرس لتنفيذ خطة اتفق عليها ، ولكن أبا البهلول فاجأهم في عرض البحر وتصدى لهم باسطول يتألف من مایة قطعة وأوعز الى جنوده بضرب الابواق والدبادب ، فنفرت الخيل من السفن ، فاغرقت معظمها حتى اضطر ابن سنبر الى الهرب بعد ان هلك معظم رجاله غرقا ، واستولى ابو البهلول على ما بقي منها وسلم الباقون ، وبذلك استتب له الامر في جزيرة اوال .

هذا وقد أسند الوزارة الى أخيه مسلم أبي الوليد ،ثم عمد الى مكاتبة ابن ابي منصور صاحب ديوان الخلافة العباسية في بغداد يطلب منه مساندته في حكم الجزيرة ليخطب للخليفة العباسي .. بان يمد له يد المساعدة ليتمكن من تقويض ما أسماه بحكم القرامطة في البحرين .

أما القطيف فقد خرج فيها يحيى بن العياش واستولى عليها ، وقويت شوكته ، فحاول ان يستولي على جزيرة اوال ، ولكن المنية عاجلته قبل ان يتحقق حلمه ، فخلفه ابنه زكريا فجهز جيشاً وأبحر به الى جزيرة اوال ، فظفر بابن أبي البهلول فقتله ، واستولى على الجزيرة ، وضمها الى مملكته بالقطيف .

وفي عام ٤٦٦ هـ تحفز للسيطرة على الاحساء رجل مغامر طموح يسمى

عبدالله العيوني [1] فكتب الى ملكشاه السلجوقي عدو الاسماعيليين الالد [2] ، فشرح له أوضاع البلاد وضعف سلطان من أطلق عليهم اسم القرامطة ، وطلب منه مساعدته لمحو سنتهم وبدعهم واقامة الدعوة للدولة الجلالية العباسية – على حد تعبيره – فلاقى هـذا الكلام صدى محبباً في نفس الرئيس السلجوقي ، فاستجاب له ، فجهز جيشاً يتألف من ستة آلاف فارس بقيادة اكسك سالار ، فسار من البصرة الى الاحساء حيث التقى بعبدالله بن العيوني ، ثم زحف على القطيف فاحتلها ، وهرب حاكمها زكريا بن العياش الى جزيرة اوال فصادر جميع أمواله وممتلكاته .

ثم عاد أدراجه الى الاحساء فطوقها بالحصار ، فعرض عليه الصلح أهاليها على أن يدفعوا اليه مبلغاً من المال ، وطلبوا منه هدنة أمدها شهر كامل ، حتي يتسنى لهم جمعه ، وأعطوه رهائن ١٣ رجلا مقابل فك الحصار ، ولكنهم بدلاً من جمعهم المال قاموا بجمع الاسلحة والذخيرة والاطعمة خلال تلك الفترة استعداداً للمقاومة ، فلما عرف منهم ذلك أعدم الرهائن واستمر في حصارهم حتى وافاه الصيف ، فسئم جنوده المقام لشدة الحر فقرر ان يعود ادراجه الى البصرة ، فرجع بعد ان ترك أخاه على رأس مائتين من جنوده استجابة لمشورة عبدالله العيوني .

وعند عودة اكسك سالار الى بغداد اقنع الخليفة المقتدي بالله العباسي على

---

(١) نسبة الى قرية العيون التي تقع في مشارف الاحساء .

(٢) لما حدثت فتنة البساسيري كانت المنافسة على اشدها بين الدولتين العباسية والفاطمية ، فجاء طغرلبك مؤسس الدولة السلجوقية فاسرف في التحيز للسنة ضد الشيعة وعلى الاخص الاسماعيليين ، وقد حدا حدوه من جاء بعده ، وقام بعده حفيده ملكشاه بمحاربة الحسن بن الصباح داعية الاسماعيليين في المشرق فوجه اليه حملتين للقضاء عليهم ولاستئصال شأفتهم .

استمرار مقاومتهم ، فكتب له اذناً خاصاً ، وامره بالمسير اليهم ، وجهزة بالمؤونة والذخيرة ، فسار عن طريق واسط ، وعند وصوله الى البصرة وافاه الرسول بكتاب من أخيه البقوش يخبره باحتلال الاحساء ، ويذكر انه تم الاستيلاء عليها بعد ان اشتبكوا معهم ومع القبائل الموالية لهم من بني عامر في معركة فاصلة اسفرت عن هزيمتهم وطلبهم الامان وتسليمهم دون قيد أو شرط .

وحين تم لعبدالله العيوني أمر الاستيلاء على الاحساء تحفز زكريا بن العياش لضمها الى ملكه ، فجهز جيشا وزحف به على الاحساء ، وكانت معركة حاسمة مني فيها ابن العياش بهزيمة منكرة فتتبعه العيوني حتى وصل الى القطيف حاضرة ملكه فلم يستطع البقاء فيها فعبر الى جزيرة اوال ، فلاحقه العيوني حيث جهز جيشا بقيادة ابنه الاكبر الفضل وأبحر الى الجزيرة ، فاشتبك معه في معركة عنيفة أسفرت عن مصرع وزيره العكروت الذي يضرب به المثل في الدهاء والشجاعة . أما هو فهرب الى العقير واستنجد ببعض البوادي وسار بهم الى القطيف ، فالتقى بعبدالله العيوني في الطريق فاشتبك معه فدارت الدائرة عليه حيث وافى مصرعه وتفرق عنه أصحابه ، وبذلك تمت السيطرة لعبدالله العيوني على بلاد البحرين قاطبة .

١٥ ــ العيونيون

وحين آل الأمر لعبدالله العيوني قام بقطع جميع العوائد والجرابات التي كانت تدفع لبني عامر من قبل حكامها السابقين ، وكان لبني عامر نفوذ كبير منذ ايام القرامطة حيث كانوا يعتمدون عليهم في حروبهم ، فمن ثم اجمعوا على حربه ،

والتبوا عليه القبائل الموالية لهم ، وتقول الروايـــة .. انهم التقوا في قفور السهلة ، وقد أقبل بنو عامر يسوقون الابل أمامهم وهم وراءها يصيحون بها لتدق الجموع ، ولكن عبدالله حين رأى ما تفعل الابل أوعز الى جيشه بضرب الدبادب والأبواق ، فنفرت ورجعت على أعقابها تدق أصحابها ، ثم حمـــل عليهم حملة صادقـــة ، فاجلاهم عن مواقعهم ، فانهزموا لا يلوون على شيء ، وقتل أكثرهم ، ولم ينج منهم إلا رئيسهم أحمد بن مسعر وأبو فراس بن الشباش في جماعة قليلة حيث فروا الى العراق أما نساؤهم وذراريهم والمستضعفون منهم فنفاهم باجمعهم الى عمان .

وتوفي عبدالله في حدود سنة ٥٠٠ هـ بعد ان حكم ما يقارب ستين عامـاً ، وخلفة ابنه الفضل الذي تعقب المفسدين وقطاع الطرق حتى استتب الامن في عهده ، وقد دام حكمه سبـع سنوات ومـــات مقتولاً في جزيرة تاروت على يد خدمه ، وتولى بعده ابنه ابو سنان محمـد بن الفضل ، واستمر حكمه ثمانية عشر سنة ، وكان له وزيراً خاصاً يسمى الحاج علي بن الفارس الكازروني، ومات أبو سنان مقتولاً على يد عميه أبي المنصور وأبي علي ، وكان هذا الحدث بدايـة سيئة في الأسرة العيونيـة اذ ظل التطاحن قائماً فيما بينهم يقتل بعضهم بعضاً فيما بعد .

وعلى أثر مقتل أبي سنان تجزأ ملك العيونيين ، فاستقل بالقطيف وجزيرة أوال ابو الحسين الذي بقي في الحكم نحو سبع سنين ، ثم تولى بعده غرير بن مقلد الذي حارب عمه أبا المنصور علي بن عبدالله حاكم الاحساء فقتله ، وفي أيامه قدم باكرزا ملك جزيرة قيس الى اوال سنة ٥٤٩ هـ فنهبها ، ولبث فيها مدة ، ثم غادرها ، ومات غرير مقتولاً بعد سبع سنوات من حكمه ، وتولى

بعده هجرس بن محمد بن عبدالله مدة سنة واحدة ، ثم ولي الأمر من بعده شكر ابن أبي الحسن بن عبدالله حوالي ثمانية عشر عاما ، ثم بعده علي بن الحسين الذي قتله الزير حيث استولى على الحكم مدة سنتين وأشهر واغتيل أيضا ، فتولى محمد بن احمد بن الفضل قرابة عام ، ثم تنازل عن الحكم ، فانتخب اهل القطيف رجلا منهم يسمى النقيب العلوي حاكما ، ولكنه ما لبث ان استقال هو الآخر ، وتنازل بعد أربعين يوما ، فاختاروا رجلا من عائلة العيونيين يسمى « مسيّب » فلم يلبث في الحكم سوى شهرين .

وولي الأمر من بعده حسن بن شكر بن أبي عبدالله مدة ثلاث سنوات ، ومات مقتولاً على يد عبدالله بن منصور الذي ابتز منه الحكم ، وفي عهده قام شاه بن باكرزا ملك جزيرة قيس بشن هجمات على جزيرة أوال ، حتى اضطر أهلها الى الارتحال عنها ، ولجأوا الى القطيف ، ثم قدم محمد بن احمد بن الفضل فاحتل القطيف ، وخرج منها عبدالله بن منصور حيث لحق بأخيه في الاحساء .

وفي عهد محمد بن احمد عظم أمر العيونيين ، فامتد نفوذهم الى نجد وبوادي الشام ، فعهد اليهم الخليفة العباسي بخفارة الحجاج العراقيين ، وقرر لهم عوائد سنوية تتألف من الف وخمسمائة حمل من البر وألفا ومائتي ثوب من عمل مصر ، وفعلا فقد قام محمد بن احمد بتأديب قبائل طي من بوادي الشام بايعاز من الخليفة العباسي حينما اعترضت قوافل الحجاج العراقية ، فجمع عرب البحرين وانضم اليهم بنو المنتفق من عرب العراق ، فأوقع بهم ، وظفر برؤسائهم .

لكن هذا لم يعمر طويـــلا اذ اغتاله اصهاره من قبيلة العماير [1] ويقال ان راشد بن عميره بن عفيله[2] رئيس قبيلة بني‌عامر اتفق مع غرير بن الحسن‌العيوني على خطة لاغتياله ، على ان يكون لراشد بن عميره جميع ما يملكه الامير محمد من الأموال والذخاير ، ولغرير حكم البلاد ، فنفذ راشد ، فاغتاله بين صفوى والآجام من قرى القطيف [3] .

وقد اعقب الأمير محمد ثلاثة ابنـــاء ، اكبرهم الفضل الذي ثأر لأبيه ، فكاتب الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٢ - ٦٢٢ هـ) فأمده بالمـــال والذخيرة فعمد الى استمالة القبائل حتى كثر اتباعه ، فزحف على مدينة القطيف فاحتلها ، وقتل غريراً الذي لم يتمتع بالحكم سوى سنة واحدة ، وقد تلبع قتلة أبيه فأعدم اكثرهم .

وفي سنة ٦٠٦ هـ عقد الفضل بن محمد صلحا بينه وبين ملك جزيرة قيس‌غياث الدين شاه بن تاج الدين جمشيد ، على ان يكون لملك قيس جزيرة « اكل » وجزيرة « الجارم » وجزيرة « الطيور » وسماهيج وجميع مساكر الاسماك ، مضافا اليهـــا مقاسم تاروت « الحسيني » و « الحساسي » ومقسم القصر ، وبستان القصر وبستان المشعري ودالية الدار والفايدية ونصف طراز الغاصة من مقاسم القطيف ، وخمسة وثلاثون بهـــاراً عوضا عن بستان المصفاة الذي بالاحساء ، وخمسمائة دينـــار تدفع له كضريبة سنوية ، وان تكون المقاسم والخراج والحلقة وطراز الغاصة والطيور والعشور مناصفة بين ملك قيس وملك العرب محمد بن الفضل .

---

(١) و (٢) هو جد العماير القبيلة المعروفة من بادية القطيف .

(٣) قرية الآجام تقع في الجهة الغربية وقرية صفوى‌تقع في الجهة الشمالية من مدينة القطيف.

وعلى الرغم من ان هذه الشروط كانت مجحفة للغاية الا انها كانت بمثابة هدنة اوقفت الغارات التي تشن على جزيرة اوال وعلى الحدود ، واذا تأملنا في هذه الاتفاقية نفسها نجدها مجحفة جداً بالنسبة لدولة عربية ذات سيادة ،ويخيل الينا ان السيطرة الاجنبية قد فرضت نفسها حتى في الشؤون الداخلية . كما تنص عليه بنود تلك الاتفاقية .

ويقف الشاعر الحماسي علي بن المقرب منددا بهذه المعاهدة التي لمس فيها شيئاً من الضعف والهوان والتدخل المباشر في امور الدولة .. يعاتب الفضل بن محمد ويغلظ له القول ، حتى أدت النتيجة الى تردي العلاقات بينهما ، فابعده ، ومما قاله في هذه المناسبة :

اذا خانك الادنى الذي انت حزبه — فواعجبا ان سالمتك الاباعد
وان وطن ساءتك اخلاق اهله — فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فما هجر ام غذتك لبانها — ولا الخط ان فارقتها لك والد[1]

الى ان يقول :

فلا تتكل يا فضل في الفضل والندى — على سالف اسداه جدّ ووالد
فلا حمد الا بالذي يفعل الفتى — ولو كثرت في اوليائه المحامد

وبقي عمال ملك جزيرة قيس في بلاد البحرين يقومون بجباية تلك الضرايب ، حتى نهض علي بن ماجد بن محمد بن الحسين ثائراً على الاوضاع السيئة التي انتهت اليها الدولة في عهد عمه الفضل بن محمد ، وبمساعدة قبيلة العماير استطاع تنحية عمه عن العرش ، فتولى مقاليد الحكم فاستتب الامن في البلاد وساد الاستقرار ،

---

(١) هجر اسم يطلق على الاحساء ، كما ان الخط اسم يطلق على القطيف .

وقد لاقت ثورته صدى طيبـاً في نفس الشاعر علي بن المقرب ، فانبرى يمدحـه ويعقد عليه الامل في استرجاع امجاد الاسرة .

ولقد ساء الشاعر كثيراً حينما قام ابراهيم بن عبدالله بن ابي جروان احـد رؤساء بني عبد القيس بمؤامرته في محاولة القبض على الامير علي بن ماجد الذي اضطر بدوره الى الهرب فخرج من البلاد ، ثم تنصيبه مقدم بن غرير العيوني الذي نشأ نشأة بدويـــة جاهلا بشؤون السياسة حيث استغله رؤساء العشائر لسوء ادارتـه ، فاطلق لأيديهم العنان يتحكمون في مقدرات الشعب ، فعند وصول الشاعر ابن المقرب الى مدينة القطيف اطلقها صرخة مدوية ، فبعث بقصيدة الى ابن ابي جروان بالاحساء يندد فيها باعمالهم وسوء تصرفاتهم ، جاء فيها :

ارجال عبد القيس كم ادعوكم ... في كل حين للعـلا وأوان
لا تسقطوا من هامكم وانوفكم ... همم الرجال وغيرة الفتيان
وذروا التحاسد والتنافس بينـكم ... فكلاهما نزغ من الشيطان
لم يبق مال تتقون به العـدى ... لربيعـة فيها ولا قحطان
اخذوا الحسا من الكثيب الى محاديث ... العيون الى نقا جلوان [١]
والخط من صفواء حازوها فما ... ابقوا لنا شبراً الى الظهران [٢]
والبحر فاستولوا على ما فيه من ... صيـد الى در الى مرجان
وامضّ شيء للقلوب فظائـع ... بالمرزوان لهم وكرزوان [٣]
والله لو نهر جرى بدمائكم ... وشربته غيظاً لمـا أرواني

---

(١) المحاديث أرض بقرية العيون من بلد الاحساء ،ونقا جلوان مكان بين الاحساء والقطيف.

(٢) يقول شارح ديوان بن المقرب : الخط هي القطيف ، وصفواء طرفها الشمالي، والظهران طرفها الجنوبي .

(٣) الفظائع البساتين ، والمرزوان وكرزوان قريتان من سواد جزيرة أوال .

ويخاطب ابن أبي جروان نفسه في هذه القصيدة بقوله:

اتراك ترضى او يحدث جاهل   او عـــالم من نازح او داني
فيقول كان خراب دار ربيعـة   بعد العمار بنوابي جروان
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة   عربية شهدت لهـا الثقلان

وبعد مقدم بن غرير تولى فاضل بن معن ثلاث سنوات ، وبعده تولى جعفر ابن معن ، ثم رأى أهـــل الحل والعقد ان يولوا محمد بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين فنودي به ملكاً على البحرين ، ولكنه لم يلبث طويلاً اذ ثار عليه محمد بن مسعود فقتله ، واستولى على الحكم .

ويصف شارح ديوان ابن المقرب محمد بن مسعود بأنه رجل سليم القلب بعيد الحس عازب الفكر ، وقد اطمأن الى نفر من جلسائه يعملون في السر على تقويض حكمه ، فأودع ثقته فيهم فتآمروا مع رؤساء بني عقيل ،اذ دبروا خطة لتقويض دولة العيونيين ، فاتفقوا معهم على ان يقوم هؤلاء بضرب حصار حول البلد حتى يضطر الامير الى طلب الصلح ، فاذا أجاب يفرضون عليه شروطاً قاسية ، منها تسليم القصور والبساتين الخاصة بالاسرة المالكة ، فاذا عزّ عليه الأمر أشاروا عليه بقبول تلك الشروط حفاظاً على المصلحة العامة وحياة الأهلين ، وفعلاً فقد تم تنفيذ الخطة ، فسلم لهم ما أرادوا ، وبذلك دالت دولة العيونيين في الاحساء اذ استولى عليها بنو عصفور .

أما القطيف فقد استولى عليها بعد محمد بن مسعود الامير منصور وبقي في الحكم مدة ثلاث سنوات وستة أشهر ، وفي اخريات أيامـه استولى ابو المظفر الهرموزي على جزيرة قيس سنة ٦٢٦هـ. وأرسل ممثليه الى جزيرة أوال ، ليقبضوا

الجرايات التي كانت تدفع أيام الفضل بن محمد العيوني لملك قيس ، وفي هذه السنة ذاتها احتل عسكر السلطان المنصور ابو بكر بن سعد[1] جزيرة قيس، ثم استولى على أوال سنة ٦٣٣ هـ. وبعث شهاب الدين خسرو العسي عاملاً عليها يساعده نجيب الدين عثمان .

وبعد الأمير منصور استولى محمد بن محمد آخر الامراء العيونيين على القطيف، وهزم عساكر السلطان المنصور التي حاولت احتلال القطيف كما استرجع جزيرة أوال ايضاً ، ولكن السلطان المنصور جهز حملة سنة ٦٣٠ هـ. لاحتلال جزيرة أوال فهزمهم محمد بن محمد ، وبقي مقيماً فيها حتى سنة ٦٣٦ هـ. ففي هذه السنة جهز السلطان حملة أخرى لاحتلالهـــا ، فاشتبكوا في معركة بالجانب الغربي أسفرت عن مقتل الامير محمد بن محمد ، ثم أبحر الى القطيف فاحتلها ، وزحف على الاحساء فاستولى عليها ، وبذلك أسدل الستار على هذه الدولة العيونية التي عمرت نحواً من ١٧٦ عامـاً ، وتوالى على عرشها نحواً من ٢١ ملكاً واميراً على وجه التقريب .

١٦ ـــ استيلاء بني عصفور وبني جبر

وقد ارتقى بنو عصفور الذين يرجـع نسبهم الى بني عامر عرش العيونيين ، فانتزعوا البلاد من الزنجيين ، فدانت لهم بلاد البحرين قاطبـــة ، وساعد على

---

(١) تأسست دولتهم في فارس سنة ٥٤٣ هـ بعد انقراض الدولة السلجوقية ويطلق عليهم لقب الزنجيين وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس اولهم منقور بن مودود ولما توفي ابو بكر بن سعد تولى بعده ابنه سهد وفي عهده انقرضت دولتهم .

استقرارهم انهيار الخلافة العباسية في بغداد[1] حيث ظلوا يتوارثون هذا العرش خلفاً عن سلف ، حتى أواخر القرن التاسع الهجري .

فقد حدثنا ابن خلدون عن ابن سعيد .. بأنه سأل أهل البحرين حين التقى بهم في المدينة المنورة سنة ٦٥١ هـ. فقالوا الملك فيهم الآن لبني عصفور ، وقد توطدت بينهم العلاقات وبين سلاطين مصر المماليك الذين ارتفع شأنهم في العالم الاسلامي بعد دحرهم التتر ، فوفد منهم جماعة يرأسهم محمد بن سنان العقدي على السلطان بيبرس[2] بمصر فأكرم وفادتهم .

وبقي الملك فيهم حتى انتزعه بنو جبر الذين ينتمون الى قبيلة نجدية تقيم ببادية الاحساء والقطيف ، ومما يذكر ان آخر حاكم من سلالة جروان من بني مالك بن عامر أصدر أمره بالقبض على سيف بن رامل العقيلي الجبري القوي الشكيمة لينفذ فيه حكم الاعدام ، فما كان من سيف الا ان حشد الجموع ضده ، وهاجمه في عقر داره ، فانتصر عليه واستولى على الملك .

ولما مات خلفه أخوه أجود بن زامل وفي عهده توحدت بلاد البحرين ،

---

(١) كان بدء الخلافة العباسية سنة ١٣٢ هـ. ٧٤٩ م وسقوطها في بغداد على يد التتر سنة ٦٥٦ هـ. ١٢٥٨ م. وقيامها في مصر سنة ٦٥٩ هـ. ١٢٦٠ م. وزوالها على يد العثمانيين الاتراك سنة ٩٢٢ هـ. ١٥١٦ م.

(٢) هو من سلالة شاسنكير معزالدين ايبك الذي انتزع الحكم من الايوبيين، وخلع شجرة الدر واستولى على عرش مصر ، ثم أورثه أبناءه ، والسلطان بيبرس هو الذي وقف امام زحف التتر حينما اجتاحوا بغداد واتجهوا الى الشام فردهم على أعقابهم بعد ان أوقع بهم ومزقهم شر ممزق ، وهو ايضاً الذي استقدم الى القاهرة احمد ابا القاسم العباسي الذي نجا من مذبحة هولاكو فأقام الخلافة العباسية في مصر حيث تعاقب عليها ١٧ خليفة .

وانضمت اليها عمان ، وأصبح سيد الخليج بلا منازع، كما بسط نفوذه على مملكة هرمز وعلى ربوع نجد .

وقد حج أجود سنة ٩١٢ هـ. في قافلة من أتباعه يزيدون على ثلاثين الف نفس ، وقد استتب الأمن في عهده ، ومن الجدير بالذكر ان له قصراً بقرية المنيزلة بالاحساء يحمل اسمه ، ما تزال آثاره باقية حتى اليوم .

ومات أجود عن خمسة أبناء أكبرهم مقرن الذي خلفه على العرش ، ولكن الاخوة ما لبثوا ان اختلفوا فيما بينهم ، وتفرقت كلمتهم حتى طمع في ملكهم الأعداء .

١٧ ـــ البرتغاليون

يحدثنا المؤرخون انه في سنة ٩٢٧ هـ. استولى البرتغاليون على بلاد البحرين، وقتلو حاكمها مقرن بن أجود بن زامل الجبري ، وسيطروا على اقتصاديات البلاد واحتكروا تجارة اللؤلؤ .

وكان البرتغاليون أول دولة غربية تعرفت على الشرق ، فقد أتيح لهم ان يكتشفوا رأس الرجاء الصالح سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م اكتشفه البحار البرتغالي *Bartholomed De diaz* حيث دار حوله دون ان يتوصل الى نتيجة، وفي سنة ١٤٩٧م. عادوا الكرة من جديد فابحر فاسكو دي جاما *Vasco De Gama* من لشبونة ، وبمساعدة البحارة العرب وعلى رأسهم احمد بن ماجد المعروف اهتدى الى طريق الهند فوصلها سنة ١٤٩٨ م ثم عاد ادراجه الى بلاده، فوصل لشبونه سنة ١٤٩٩ م. وقد كان لهذا الاكتشاف الخطير صدى كبير في الأوساط

الدولية العالمية فاكتسبوا شهرة ومكانة مرموقة ، وقد اتسعت تجارتهم فكونوا امبراطورية عظيمة واسعة الارجاء ، امتدت عبر شواطىء افريقيا حتى القارة الهندية ، وسيطرت على مياه الخليج العربي .

أما بدء تعرفهم على منطقة الخليج فيرجع الى سنة ١٥٠٦ م. ٩١٢ هـ. حينما استولوا على جزيرة هرمز ، وهي جزيرة صغيرة تقع في مضيق هرمز على مقربة من جزيرة قشم حيث اتخذوها قاعدة لسيطرتهم على الخليج .

وما حل عام ١٥١٥ م ٩٢١ هـ. حتى بسط البرتغاليون نفوذهم على أغلب مدن الخليج وموانيه ، فأسسوا لهم مراكز دفاعية ، وهي عبارة عن قلاع مزودة بالاسلحة والعتاد أقاموها في المواقع الاستراتيجية المهمه .

وفي عام ٩٢٧ هـ. زحفوا على شواطىء هذه المنطقة ، وقتلوا – كما سبق ان ذكرنا – حاكمها مقرن بن زامل واستولوا على البلاد ، وقد ولي الحكم في هـذه الفترة علي بن أجود نحو شهر ، ثم بعده ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود مدة ثلاث سنوات ، ثم تنازل عن الحكم لقطن بن علي بن هلال بن زامل لقاء مبلغ من المال ، فمات بعد سنة من حكمه ، وخلفه ابنه الذي تنازل لغصيب بن زامل ابن هلال ، وفي عهد هذا الاخير استفحل التنافس بين آل جـبر وعصفت [٣٢] ريح الخلافات فاستعان بعضهم بالشيخ راشد بن مغامس والي البصرة الذي انتزعها من الفرس واستقل بها ، فقدم الى بلاد البحرين واحتلها ، وأعلن نفسه حاكماً عليها ، وترك أخاه محمداً على ولاية البصرة .

ولما احتل الاتراك بغداد سنة ٩٤١ هـ. ١٥٣٤ م. واستولوا على أنحاء العراق

تقدم الشيخ راشد بن مغامس سنة ٩٤٥ هـ. الى السلطان سليمان الاول القانوني[١] وسلم اليه مفاتيح قلعة البصرة، وأعلن ولاءه للدولة العثمانية فحظي لديهم بالزلفى غير انه في سنة ٩٥١ هـ. تحركت فيه النزعة الاستقلاليـة بسبب تصرفات ولاة الترك فساءت العلاقات بينه وبين العثمانيين، فقاموا باحتلال البصرة ومن ثم هرب الشيخ راشد بن مغامس فاراً الى نجد.

فانتهز البرتغاليون هذه الفرصة، وعادوا مرة ثانية، واستولوا على القطيف والاحساء، وشيدوا لهم مراكز دفاعية، فبنوا قلاعاً عدة، منها قلعة في جزيرة أوال وقلعة في جزيرة تاروت وقلعة على مقربة من قرية عنك وسيهات، وهـذه القلاع ما زالت آثارها باقية حتى الوقت الحاضر.

١٨ ــ تقهقر البرتغاليين واستيلاء الاتراك

ويحدثنا المؤرخون انه في سنـة ٩٤٣ هـ. ١٥٣٧ م. استنجد حاكم دلهي في الهند بالسلطان سليمان خان القانوني العثماني لتطهير ثغور الهنـد من البرتغاليين، فاصدر هذا السلطان الفاتح أوامره الى واليه في مصر سليمان باشا ببناء اسطول في حوض البحر الاحمر يقوم بفتح عدن واليمن قبل ان يسيطر عليهما البرتغاليون، فبادر سليمان باشا فجهز اسطولاً ضخماً يتألف من سبعين قطعة مسلحة بالمدافع،

---

(١) هو ابن السلطان سليم الاول الذي انتزع الخلافة من العباسيين في مصر، وكانت مملكة العثمانيين التي أسسها عثمان بن ارطغرول تمد سلطنة الى ان استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ. فاشخص الخليفة العباسي المتوكل على الله الى القسطنطينية وهناك تنازل له عن الخلافة وسلم له لواء النبي وبعض الآثار النبوية المقدسة، فتوارث الخلافة آل عثمان حتى بداية الحرب العالمية الاولى وقيام الجمهورية التركية.

يقل عشرين الف جندي ، فأبحر عبر البحر الاحمر ، فاحتل عدن واليمن ودخل الخليج فاحتل مسقط وحاصر جزيرة هرمز قاعدة البرتغاليين فلم يستطع فتحها، ثم انسحب منها الى سواحل عمان وقطر فسقطت في يده أغلب القلاع البرتغالية، ثم والى زحفه على سواحل القطيف براً عن طريق قطر ، فاضطر البرتغاليون الى الانسحاب منها ومن جزيرة أوال حيث استولى عليها الاتراك .

ويحدثنا السير ارنولد ولسن .. ان الاتراك بدأوا يتطلعون الى الخليج العربي في منتصف القرن السادس عشر ، فحدثت بينهم وبين البرتغاليين معارك عدة ، وقد قام أهل القطيف فطهروا البلاد من الاستعمار البرتغالي، واستخلصوا القلاع والحصون وسلموها الى الاتراك سنة ٩٥٧ هـ. ١٥٥٠ م. حيث عينوا لهم حاكماً من البصرة .

وعلى أثرها قام البرتغاليون بحملة انتقامية خلال ولاية الفونسو نورنها *Noronha* فجهزوا اسطولاً يتألف من ١٩ قطعة تقل الف ومائتي جندي تحت قيادة انطونيو نورنها حيث أبحر متوجهاً الى القطيف والبصرة ، وعند وصوله الى القطيف قام باعمال انتقامية ، اذ عمد الى هدم حصون القطيف وقلاعها حيث ساوى بها الارض ، ثم أقلع منها متوجهاً الى البصرة ، وعلى أثر وصوله اليها خدعه واليها الباشا وأقنعه بالرجوع ، فعاد ادراجه الى جزيرة هرمز يجر أذيال الخيبة والفشل اذ تكشفت له حقيقة الموقف ، ولكن بعد فوات الأوان .

وقد احفظت الاتراك تلك الاعمال التي قام بها البرتغاليون في القطيف وتحركاتهم نحو البصرة ، فازمعوا على تطهيرهم من الخليج العربي فاستعانوا بفرامر *Frasar* أحد القراصنة المدربين ، وجهزوا قوة كبيرة تتألف من ستة عشر الف جندي بقيادة بربك *Pirbec* ليقوم بجولة قرصانية في الخليج لتدويخ البرتغاليين ، فاصطدموا باسطول نورنها البرتغالي ، وحدثت بينهم معارك عدة ،

ثم اتجه بربك الى سواحل القطيف ، فاسترجعها ، ثم أبحر الى مسقط فحاصرها مدة ١٨ يوماً ودكها بالقنابل حتى أذعنت للتسليم ، فالقى السلاح الكابتن البرتغالي دون قيد او شرط ، فاستولى على ما فيها من أسلحة وذخيرة ، كما القى القبض على الكابتن وأسر ستة عشر من رجاله ، وعلى أثر هـذا الحادث جهز الفونسو نورنها *Noronha* اسطولاً ضخمـاً لنجدة قاعدتهم هرمز ، فأبحر في سبتمبر ١٥٥١ م. فلما وصل وجد هرمز ليس عليها خطر ، فعاد ادراجه ، وفي السنة التالية جرت معارك بينهم وبين الاتراك كان الظفر فيها للبحرية التركية فسقطت من أيديهم عدة مراكز دفاعية .

وعلى أثر تضاؤل نفوذ البرتغاليين في الخليج في أواخر القرن السادس عشر تعرف الانكليز والهولنديون على تجارة الشرق ، ففي سنة ١٥٩٨ م. تدخـل الانكليز فاستمالوا الشاه عباس الصفوي[١] ليقف ضد البرتغاليين والاتراك ومنحهم امتيازات تجارية فمهدوا له في السيطرة على الخليج والتغلب على البرتغاليين ، وفي سنة ١٦٠٢ م[٢] استطاع ان يزحزحهم ، فيمـد نفوذه الى جزيرة أوال بمساندة أهاليها وفي خلال سنة ١٢ - ١٦١٥ م توالت هزائمهم في الخليج أمـام القوات الانكليزية ، وفي عام ١٦٢٥ م. احتـل الشاه عباس قاعدتهم جزيرة هرمز بمساعدة الاساطيل الانجليزية والهولندية ففقدت تلك الجزيرة أهميتها منذ ذلك الحين ، وبذلك انطوت آخر صفحة من تاريخهم في الخليج العربي بعد ان عرفوه قرابة ١١٩ عاماً[٣] .

---

(١) هو من نسل اسماعيل الصفوي الذي نشر المذهب الجعفري في ايران وكان بدء انتشاره سنة ٩٠٦ هـ.

(٢) ذكر ارنولد ولسن في كتابه *The Persian Gulf. P, 141* ان الشاه عبـاس استولى على وال (البحرين) سنة ١٦٠٢ م. بينما مؤلف التحفة النبهانية يذكر انه استولى عليها سنة ١٠٣١ هـ. ١٦٢٢ م. وفي محل آخر يذكر انه تم ذلك سنة ١٠٣٩ هـ.

(٣) ذهب البرتغاليون، ولكن ما زالت بقايا من آثار عهودهم حياً على ألسنة سكان ←

ومنذ ان احتل الأتراك العثمانيون القطيف والاحساء سنة ٩٥٨ هـ. ١٥٥٠ م ارتبطت القطيف مع شقيقتها الاحساء في تاريخ سياسي واحد ، وانفصلت عنهما شقيقتهما جزيرة أوال[١] ، وأصبحت القطيف تابعة الاحساء في ادارة الحكم ، ويبدو ان الاتراك أبدوا نعرة طائفية بعد استيلائهم على القطيف ، فنزح كثير من أشرافها ورؤسائها الى جزيرة أوال ، وعلى رأسهم آل مقلد من بني وائل ، ومنهم شيخ القطيف الاكبر ابو علي عبدالله بن ناصر بن حسين بن مقلد المتوفي سنة ٩٩٩ هـ. حيث دفن هناك ، وقد رثاه ابو البحر جعفر الخطي بقصيدة رائعة .. قال فيها :

← الخليج حتى الان ، فمنها الحاقهم بآخر الاسماء العلمية (و ه) في قولهم عبدوه وحمدوه ، ويراد بها التصغير او التحقير ، ويظهر انه كان انعكاساً لمقتهم البرتغاليين، ومنها تسميتهم لياقة المعطف المفتوحة (فرتكيش) وهي في الاصل نسبة الى البرتغاليين أنفسهم *Portuguese* وان جاءت محرفة على السنة العوام ،

(١) انفصلت جزيرة أوال التي تسمى (البحرين) الان في تاريخها السياسي عن شقيقتها الاحساء والقطيف منذ ان سيطر عليها الفرس سنة ١٠٣١ هـ. وفي العقد الاول من القرن الثاني عشر الهجري ملكها الشيخ الجبري من بقايا آل جبر ملوك الاحساء والقطيف سابقاً، ثم استردها ملوك الفرس الصفويون ، ولما ضعفت الدولة الصفوية استقل بها الشيخ جبارة الهولي وحين قامت الدولة الافشارية في ايران استعادها الفرس سنة ١١٥٠ هـ. في عهد نادر شاه ، ثم استولى عليها سنة ١٧١٧ م - ١١٥١ هـ. سيف بن سلطان حاكم مسقط وفي سنة ١١٥٢ هـ. استرجعها الفرس وولوا عليها آل مدكور الذين استقلوا بالحكم وقد نشبت بينهم وبين آل خليفة حكام الزباره سابقاً وحكام البحرين حالياً معركة ادت الى تقهقرهم واستيلاء آل خليفة على البحرين ، وفي سنة ١٢١٢ هـ. استولى عليها حاكم مسقط سلطان بن احمد ثم استرجعها الخليفيون سنة ١٢٢٤ هـ. وفي سنة ١٢٢٥ هـ. استولى عليها سعود نجد امير الكبير ولكنها عادت لآل خليفة في السنة ذاتها، وفي سنة ١٢٧٥ استجاب آل خليفة الى رفع العلم العثماني في ايام كان مدحت باشا والياً على بغداد، وكانوا في أثناء حكمهم يرفعون العلمين الايراني والعثماني، فاذا أحسوا بضغط الايرانيين لجأوا الى الاتراك وبالعكس الى ان احتلها الانكليز سنة ١٢٨٥ هـ. ولبثت منذ ذلك العهد في ظل الحماية البريطانية .

ويا بلد الخط اعتراك لفقـده | مدى الدهر كسر لا يرام له جبر
من الآن بدء الشر فيك وانه | لمتصـــل باقٍ وآخره الحشر

وقد تعاقب على ولاية الاحساء والقطيف عدد من الولاة العثمانيين ، أولهم محمد باشا فروخ الذي بنى مساجد عدة في المنطقة ما زالت آثارها باقيـــة حتى الآن ، ثم علي بن احمد بن لاوند البريكي ، ومن آثاره مسجد القبـة في الهفوف الذي بني سنة ٩٧٤ هـ ثم علي باشا الذي بعث ابنه يحيى واليـاً على القطيف ، ثم محمد بن علي باشا ، ثم بعده عمر باشا وهو آخر الولاة العثمانيين في الفترة الأولى من سيطرتهم على الاحساء والقطيف .

وتعد الفترة التي ولي فيها السلطان محمد الرابع كرسي الخلافة سنة ١٠٥٨ هـ من احرج الظروف التي مرت على الخلافة العثمانيـــة ، ففيها دمرت البحرية التركية وانهزمت الجيوش العثمانية أمام جحافل روسيا ، وساد الاضطراب والفوضى في انحاء البـلاد فانتهز آل حميد من بني خالد هذه الفرصة ، فثاروا على الولاة العثمانيين في الاحساء والقطيف ، واخرجوا الحامية التركية ، واستولوا على البلاد .

١٩ ـــ بنو خالد

وقد اعلن برّاك بن غرير زعيم بني خالد نفسه ملكاً على الاحساء والقطيف سنة ١٠٨١ هـ ، فقام بتأديب العصاة من قبائل البادية فقضى على جميع منافسيه ، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد سنة ١٠٩٨ هـ ، ثم بعده ابنه سعدون بن محمد بن براك سنة ١١٠٣ هـ ، وتوفي هذا الاخير سنة ١١٣٥ هـ .

وعلى أثر وفاته اختلف بنو خالد ، فقسم منهم أيد دجين بن سعدون ، وقسم تحزّب لسليمان بن محمد ، وقد أدى هذا النزاع الى الاشتباك المسلح بين أفراد القبيلة فانتصر حزب سليمان على ابن أخيه دجين ، واستولى على الملك ، ولما توفي سنة ١١٧٦ هـ تولى بعده عرعر بن دجين ، وفي عهـــده استفحلت الحركة الوهابية[1] في نجد ، فتحالف مع حاكم نجران السيد حسن هبة الله ، واتفقا على القضاء على هذه الحركة في مهدها ، غير ان حاكم نجران زحف بجيوشه على الدرعية حاضرة ملك آل سعود[2] قبل أن يصل عرعر الخالدي بقواتـــه ، فقاتلهم ، ثم توصل الجانبان الى عقد هدنة ، فرجع حاكم نجران الى بلاده ، ولما وصل عرعر الخالدي بمن معه من جموع بني خالد وقبائل العجمان وعلم بما جرى

---

(١) نسبة الى الامام الشيخ محمد عبد الوهاب ، وهي دعوة قامت في أساسها لمحاربة البدع والخرافات ، ولم يكن لآل سعود شأن يذكر قبل ان يتبنوا هذه الدعوة ، ففي سنة ١١٥٠ وفد الشيخ محمد على محمد بن سعود وكانت الجزيرة أغلبها خاضعة للاتراك ويحكمها امراء تحت نفوذهم . فالأشراف في الحجاز ، وبنو خالد في المنطقة الشرقية . وآل معمر في العيينة ، وامام صنعاء في اليمن ، والسادة في نجران ، وسيف بن سلطان في عمان ، فتعاهد معه على تطهير الجزيرة من البدع والخرافات ، فدخلت نجـــد التي كانت حاضرتها الدرعية منذ ذلك الوقت مع سائر الامارات الأخرى في حرب دينية دامية .

(٢) ينتمي آل سعود الذين تنحدر منهم الاسرة الحاكمة الى قبيلة عنزة من فخذ المساليخ ، وهي من اكثر العشائر افخاذاً وبطوناً ، وهم منتشرون في العراق وسوريا ونجـــد ، ففي سنة ٨٥٠ هـ قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديم المسمى بالذرعية قرب القطيف على ابن ذرع صاحب حجر والجزعة قرب الرياض . وكان من عشيرته فمنحه المليبد وعصيبه المعروفين بالذرعية فيمابعد، فنزل هناك وعمرهما هو وبنوه ، فولد لمانع ربيعة ثم من ربيعه احفاده موسى ثم ابراهيم ثم مرخان ثم مقرن ثم محمد ثم سعود ثم محمد أول من تبنى الدعوة الوهابيـــة وقد صاهر صاحب الدعوة الشيخ محمد عبد الوهاب فاعقب ابنه عبد العزيز الذي ورث الزعامة الروحية والسياسية ثم سعود ثم عبدالله ثم تركي ثم فيصل ثم عبد الرحمن ثم جـــلالة الملك المغفور له عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية .

فقفل عائداً هو الآخر الى بلاده بعد أن حاصرها برهة من الزمن .

وفي سنة ١١٧٦ هـ شن الوهابيون بقيادة عبد العزيز بن محمد بن سعود عـدة غارات على بلاد الاحساء ، انتقاماً من حاكمها عرعر بن دجين ، كما قام هو الآخر بهجوم على بلاد القصيم ، فزحف على مدينة بريـده التي اعتنقت الدعوة الوهابية ، فصب جام غضبه عليها ، وشدد عليها الحصار حتى اذعنت للتسليم ، ثم توجه الى الذرعية ، ولكن أجله وافاه في طريقه اليها ، فخلفه ابنه بطين الذي عدل عن مهاجمتها ، وعاد الى الاحساء .

ويصف المؤرخون بطين بأنه كان فاسد التدبير سيء السلوك .. الأمر الذي حمل أخويه دجين وسعدون على اغتياله ، وبعد وفاته تولى أخوه دجين ، ثم ما لبث سعدون ان اغتال أخاه دجين ، واستولى على الملك . وفي عـام ١١٩٣ هـ زحف سعدون على المجمعة من بلاد نجد فحاصرها دون طائل ، وفي عام ١١٩٦ هـ خرج أهل عنيزة على الدعوة الوهابيـــة ، فكتبوا الى سعدون يستنجدونه ، فذهب ببني خالد والظفير وشمر وحاصر بريده ، ثم رحل عنها ، ووفد اليـه كثير من رؤساء نجد الذين لم يعتنقوا الدعوة الوهابية ، كما قام باحتلال الروضة حيث سلمها الى رؤسائها آل ماضي .

وفي سنة ١١٩٨ هـ هاجم سعود بامر من والده عبد العزيز بن محمد بن سعود بلاد الاحساء ، فأغار على قرية العيون واشتبك مع أهلها في معارك دامية .

وفي سنة ١٢٠٠ هـ خرج دويحس بن عرعر على أخيه سعدون ، وأيده خاله عبد المحسن السرداح ، وسانده المشاهير وآل صبيح ، وانضم اليه بنو المنتفق ، فحارب أخاه سعدون حتى تغلب عليه ، فلجأ الى الذرعية حاضرة آل سعود ، واستتب الامر لدويحس ، فاسند الى خاله رئاسة بني خالد .

وفي سنة ١٢٠٢ هـ قام سعود بن عبد العزيز بشن غارات متتالية على نواحي الاحساء تمهيداً لاحتلالها ، وبعد عامين زحف على بـــلاد الاحساء ، وكان برفقته زيـد بن عرعر الخالدي ، فاشتبك مع بني خـالد في معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام أسفرت عن هزيمـة دويحس وخاله عبد المحسن السرداح حيث فرا الى العراق ، واستولى سعود على الاحساء ، وجعل زيـــداً بن عرعر أميراً على بني خالد .

وفي سنة ١٢٠٦ هـ زحف سعود على القطيف لاحتلالها فحاصر بلدة سيهات ، ودخلها عنوة ، فنهبها ، وقتل جماعة منهم ، كما احتل قرية عنك ، وقتل من أهلها أربعماية رجل ، وصادر أموالهم وممتلكاتهم ، أما أهل الفرضة[1] فقـــد صالحوه على خمسمائة ليرة من الذهب .

وبقي زيد بن عرعر سيد البلاد واميراً على بني خالد من قبل آل سعود الى ان قام بعمله الانتقامي من عبد المحسن السرداح الذي فر الى العراق ، فقـــد استقدمه وأغراه بامارة بني خالد فلما عاد فتك به .. الأمر الذي أثار حفيظة بني خالد ضده فاجمعوا على عزله وتوليـــة بن القتيل براك بن عبد المحسن السرداح ، فلما علم الأمير سعود بتصرفاتهم دون أن يأخذوا رأيـه ، صمم على الانتقام منهم ، فخرج اليهم سنة ١٢٠٧ هـ فداهمهم في ناحيـة شرقي الصمان ، فأوقع بهم وقتل أكثرهم ، ولم ينج منهم إلا براك أميرهم في شرذمة قليلة حيث لحقوا ببني المنتفق في العراق

ثم زحف على الاحساء ، فلما علم أهلها بوصوله انتدبوا له وفـداً يفاوضه ، وطلبوا منه الأمان وبايعوه، وقد قام شهراً بينهم ، ثم عاد أدراجه الى الدرعية ،

---

(١) اسم يطلق على القلعة ونواحيها ، وكانت معروفة به الى عهد قريب .

ولكنهم بعد مضي شهر واحد انتقضوا عليه ، وقتلوا عامله محمد الحملي ، وبايعوا زيد بن عرعر الخالدي .

وعلى أثر هذا الحادث صمم سعود علي الانتقام منهم ، فخرج الى الاحساء سنة ١٢٠٨ هـ فحاصرها ، وشن على قراها غارات متتالية ، حتى أذعنت للتسليم ، فقتل عدداً كبيراً من رؤسائها ، ونفى أولاد عرعر الخالدي الى العراق ، ويعتبر هذا الحادث الحد الفاصل في تاريخ بني خالد ، فلم يخفق لهم علم فيما بعد ، ودالت دولتهم في منطقة القطيف والاحساء ، بعد ان حكموا قرابة ١٢٠ عاماً .

٢٠ ــ الوهابيون والاتراك

كانت هذه المنطقة في نظر الاتراك تشكل موقعاً استراتيجياً في السيطرة على مياه الخليج العربي منذ أن استولوا على العراق ، وعلى ميناء البصرة بالذات ، ورغم المنافسة الشديدة التي حدثت بينهم وبين الانجليز بعد تقلص نفوذ البرتغاليين ، فهم ما زالوا يحلمون بالسيطرة على حوض الخليج ، لأنهم يعتبرونه مفتاح الشرق ، لذلك كانت عيونهم يقظة ، خشية ان تستولي على هذه المنطقة دولة معادية .

وعندما قضى الوهابيون على دولة بني خالد . . الموالية للترك والمعادية للحركة الوهابية ، تجسم عندهم هذا الخطر بشكل مثير ، خشية ان يستفحل أمرها فتقض مضاجعهم في العراق ، وتمتد اطماعها في الاستيلاء على

الحجاز ، الذي هو أهم قطر في نظر الخلافة العثمانية بالنسبة لمركزه الديني في العالم الاسلامي .

لذلك صمم الاتراك على مقاومة الحركة الوهابية مهما كان الثمن ، فوجه والي العراق سليمان باشا حملة عسكرية سنة ١٢١١ هـ لاحتلال القطيف والاحساء ، مؤلفة من جبهتين : بحرية ، وتتكون من الجنود النظاميين ، حيث أمرت بالمسير الى القطيف والسيطرة على موانيها ، وأخرى برية وتتألف من قبائل البدو وبرئاسة ثويني بن عبدالله رئيس قبيلة المنتفق ، وانضم اليه في هذه الحملة بوادي الظفير وبنو خالد برئاسة براك بن عبد المحسن السرداح ، ولكن هذه الحملة ما لبثت ان باءت بالفشل اذ اغتيل قائدها ثويني بن عبدالله في طريقهم الى الاحساء .

ولكن الأتراك لم ييأسوا بسبب فشلهم في هذه المرة ، ففي السنة التالية وجهوا حملة أخرى بقيادة علي الكخيا مؤلفة من العساكر النظامية وعشائر العراق ومجهزة بالآلات والمعدات والمدافع الضخمة ، وقد كادت ان تحتل الاحساء ، غير انها فشلت في النهاية ، اذ امتنع عليها كوت الهفوف وحصن المبرز اللذان تحصن فيهما الوالي النجدي وأفراد حاشيته مدة طويلة الى أن وافتهم النجدة ، فزحف سعود بأهل نجد من الحضر والبوادي ، واشتبك في عدة معارك مع الجيوش التركية الذين سئموا البقاء وملّوا الحرب ، وانتهى الجانبان المتحاربان الى عقد صلح ، وانسحب الاتراك بمن معهم الى العراق .

وفي سنة ١٢٢٦ هـ استفحل خطر الوهابيين ، فبسطوا نفوذهم على ربوع الجزيرة العربية إلا اليمن ، فاحتلوا الحجاز والبريمي وشطراً من عُمان ، وسيطروا على شواطىء الخليج العربي ، وكان أمض شيء على الاتراك خروج الحجاز من أيديهم بالنسبة لمركزه الديني ، فأقلقهم هذا الأمر وأهمهم كثيراً ،

فأزمعوا على استرجاع الحجاز مهما كان الثمن ، وكلفوا واليهم في مصر محمد علي باشا بأن يتولى مهمة طرد الوهابيين منها ، فجهز حملة عسكرية بقيادة ابنه احمد طوسون ، فاحتل ينبع ، ثم توغل في أراضي الحجاز ، فاصطدم بجموع الوهابيين التي تفانت في الدفاع والمقاومة ، فهزمت القوات المصرية ، واستولت على اسلحتها وذخيرتها ، فباءت هذه الحملة بالفشل الذريع .

وقد ساء محمد علي باشا فشل هذه الحملة ، فوطد العزم على تجديدها واسترجاع الحجاز مهما كانت النتيجة ، ففي السنة التاليـة جهز حملة عسكرية كبرى بقيادة ابنه احمد طوسون ، وابحر الى الحجاز فاستولى على ينبع ، ثم زحف على المدينة المنورة فاحتلها ، ثم تقدم الى مكة فاستولى عليها ، وبالتعاون مع الاشراف تمت له السيطرة على القطر الحجازي بأجمعه .

وفي عام ١٢٢٦ هـ توفي سعود الكبير حاكم نجـد ، فخلفه ابنه عبدالله ، ففكر في استرجاع الحجاز ، فهاجمها ، ولكنه مني بهزيمة أمام القوات التركية والمصرية التي واصلت زحفها على نجد ، فاضطر عبدالله الى عقد معاهدة على أن تترك له بلاد نجد وأن يكف عن الحجاز ، غير انه في سنة ١٢٣١ هـ عاد فهاجم الحجاز مرة أخرى ، فسيـّر محمد علي باشا جحافل جرارة بقيادة ابنه ابراهيم باشا لاحتلال نجـد والقضاء على الحركة الوهابية في مهدها ، فزحف عليها واخضعها ، كما احتل الذرعية حاضرة الوهابيين ودمرها بالمدافع ، وقبض على زعيم الحركة الامير عبدالله بن سعود وأرسله مخفوراً الى القاهرة ، ثم الى الاستانة حيث نفذ فيه حكم الاعدام ، كما عمد الى اعتقال آل سعود وآل الشيخ محمد عبد الوهاب ، فنفاهم بأجمعهم الى مصر .

ثم واصل ابراهيم باشا زحفه على الاحساء والقطيف وكان يرافقه محمد وماجد وسعدون بن دجين من بني خالد ، فسقطت الاحساء في ايديهم ، وسار محمد بن

عرعر الى القطيف فاستولى عليها، ثم ترك ولايتها لاخيه سعدون الذي كان كفيف البصر ، ولما رحل ابراهيم باشا بمن معه من العسكر ترك ولايتها لبني خالد حكامها السابقين ، يحكمونها تحت رعاية الباب العالي .

وحين تمكن تركي بن عبدالله الذي اعدم والده بالاستانة من الهرب من مصر ، وعاد الى نجد ، تزعم الحركة الوهابية خلفاً لأبيه ، فاستولى على نجد ، ثم استفحل امره ، فخشي بنو خالد أعداء الدعوة الوهابية نتائج هـــذه الحركة ، فعزموا على مقاومتها ، فخرجوا سنة ١٢٤٥ هـ يتزعمهم ماجد ومحمد ابنا عرعر ، وقد انضم اليهم حشد من القبائل الموالية ، وزحفوا على نجد ، وفي هذه الأثناء مرض ماجد فمات ، وتولى قيادة الجيش أخوه محمد ، ثم اشتبكوا مع الوهابيين في معـارك دامية أسفرت في النهاية عن هزيمتهم واستيلاء تركي على بـــلاد الاحساء ولجوء حاكمها محمد بن عرعر الى العراق ، ثم وفد رؤساء وأعيان مدينة القطيف على الامير تركي فبايعوه ، كما وفد عليه أهل عُمان وأعلنوا ولاءهم ، وبذلك تمت له السيطرة على سواحل الخليج .

على أثر تقلص السيطرة الاسمية للاتراك والقضاء على أشياعهم من بني خالد ، واستيلاء الامير تركي على البلاد تحرك آل خليفة حكام جزيرة البحرين لاحتلال القطيف وضمهـــا الى الجزيرة ، فوجهوا سنة ١٢٤٩ هـ. حملة بحرية الى دارين فافتتحوها وتوغلوا في جزيرة تاروت فاجتاحوها كلها ، وكان من بـــين زعماء القطيف الذين أعلنوا ولاءهم للامير تركي وبايعوه .. رجـــل من آل غانم يسمى عبدالله الذي تولى وكالة بيت المال والشؤون الحكومية ، وانتهت اليه زعامـــة البلاد ، فجهز السفن لصد العدوان ، وأرسل الى أهل سيهات[1] وأمرهم بان يكونوا على أهبة واستعداد للقاء العدو ، وان يجهزوا سفنهم ، وتواعـدوا على

---

(١) سيهات بلدة تقع في جنوبي القطيف .

اللقاء في يوم معين ، ولكن نكد الطالع حالف اسطول عبدالله بن غانم ، فتأخر عن الموعد المضروب مع أهل سيهات بيوم واحد وكانت النتيجة ان واجهوا العدو وحدهم ، فانزل بهم ضربات لا قبل لهم بها ، فكبدهم خسائر فادحة في الأموال والأرواح .

وقد ظن أهل سيهات انّ في الأمر خدعة ، وان عبدالله بن غانم يريد بهم شراً ، فغلت في صدورهم مراجل الحقد ، وأجمعوا على الانتقام منه مهما تكن النتيجة ، فذهبت جماعة مسلحة منهم الى القلعة ، وهاجموه في عقر داره ، واعتقلوه ، واقتادوه الى بلدتهم وذبحوه[1] ثم خافوا العاقبة الوخيمة ، فكاتبوا الشيخ عبدالله آل خليفة ، وعرضوا عليه تسليم البلدة .

ولما علم الامير تركي بأمر حركة العصيان في سيهات وتحركات آل خليفة جهز جيشاً بقيادة ابنه فيصل سنة ١٢٤٩ هـ. لتأديب أهل سيهات ومحاربة الخليفيين ، فسار ونزل المريقيب[2] وحاصر البلدة ، واستمر القتال مدة غير قصيرة ، قتل فيه من الفريقين خلق كثير ، وفي هذه الاثناء بلغ القائد فيصل اغتيال أبيه تركي واستيلاء مشاري ابن عمته على البلاد ، فانسحب من سيهات عائداً الى نجد ، ليثأر من قاتل أبيه ، وترك البلدة مضطراً للشيخ عبدالله الخليفة الذي سئم بدوره الحرب ، فعين عليها حاكماً من قبله ، وقفل راجعاً الى جزيرة البحرين .

وكان الشيخ عبدالله الخليفة لم يكن لديه علم بما حدث في نجد من اغتيال الامير

(١) لما قبضوا عليه قابلهم الشيخ علي بن عبد الجبار اكبر شخصية دينية في ذلك الوقت فتشفع فيه فحلفوا على القرآن بانهم لن يقتلوه ، ولكنهم نكثوا اليمين فيما بعد .

(٢) المريقيب موضع يقع غربي سيهات .

تركي ، وقيام حرب أهلية فيها ، فلما تأكد له الخبر عزم على احتلال القطيف كلها ، ولسوء حظه حدث انشقاق داخلي بينه وبين بعض أبنائه الذين حاولوا انتزاع الملك من أبيهم بمساعدة أخوالهم آل بن علي ، فانشغل بهم في حرب أهلية عدل بسببها عن احتلال القطيف ، وأدت نتائجها الى ضياع سيهات من يده وجزيرة تاروت .

وبعد رجوع فيصل الى نجد انتزع الملك من قاتل أبيه ، فاستتب له الأمر ، وكان لعبدالله بن غانم ولد اسمه علي فارق أباه مغاضباً ، فأقام في مسقط ، فلما سمع بمقتل أبيه توجه الى نجد ، واتصل بالامير فيصل ، فعينه خلفاً لأبيه في منصبه ، ورجع الى القطيف يسانده ممثل عن الحكومة النجدية ، يدعى الامير المداوي ، فأسكنه أحد قصوره ، ولكن المداوي أخذ يتصرف حسبما شاء له هواه ، ويرتكب أعمالاً من الظلم والعسف تجاه المواطنين مما أثار تذمرهم ، فاستغل سوء الوضع وكيل بيت المال علي بن صالح السنان الذي كان موظفاً من قبل علي بن غانم والذي كانت له مطامح في الرئاسة ، فأخذ يحيك الدسائس بين رئيسه وبين الممثل النجدي ، فدعا مرة علي بن غانم في منزله ، وأخذ يشكو اليه تصرفات المداوي على مسمع من المداوي نفسه ، فأجابه بانه كتب في عزله ، فحنق الامير على علي بن غانم ، وأمر رجاله بان يقتلوه خنقاً عندما يزوره كجاري عادته في الصباح الباكر[1] .

وتحقق لعلي بن صالح السنان حلمه ، فورث زعامة البلاد ، ولكن هذه

---

(١) يظهر ان امارة القطيف لم يكن لها مقر رسمي في ذلك الوقت .. لذلك حين قدم علي ابن غانم ومعه الامير المداوي اسكنه في أحد بيوته الذي يقع شرقي ساحة الخان مباشرة ، وحدثني والدي بان علي بن غانم لما خنقه رجال المداوي ألقوه في الزقاق الفاصل بينه وبين بيت آل الزاير وظل ملقى مدة ثلاثة أيام دون ان يعلم بمكانه أحد وهم يفتشون عنه .

الرئاسة لم تستمر طويلا ، اذ عمد أحد أقارب القتيل فوشي بـه لدى المندوب النجدي ، فهجم عليه في منزله وقتله[1] وورث الزعامة بعده كاتبـه مهدي بن نصرالله اذ صدرت الارادة العليا بتعيينه خلفاً لسيده .

وفي سنة ١٢٥٣هـ. جهز محمد علي باشا والي مصر قوة كبيرة بقيادة خورشيد باشا ، فاحتل نجد ونفى فيصل الى مصر ، واقام في الديار النجدية سلطـة تمثل حكومته ، ثم زحف على الاحساء والقطيف فاستولى عليهما ، كما استولى عـلى مواني القطيف وسيهات والعقير ، وأقام في حصونها قوات مصرية ، ويحدثنـا السير ارنولد ولسن بان المصريين قد دفعتهم سكرة النصر وشجعتهم قـــواهم العسكرية بان يقوموا بتجربة جريئة ليوسعوا مناطق نفوذهم ، ليسيطروا على الخليج في حين كان الانجليز يتمتعون بنفوذ كبير ومعنويات ممتازة ، وبالطبع فان هذا النشاط تقاومه بريطانيا لأنه يتعارض مع مصالحها ، وهكذا نشأت الصعوبات في وجه الأهداف المصرية ، ومعارضة احتلالهم تلك المناطق الواسعة في الخليج ، فتقهقرت قواتهم وعدلوا عن هذه المحاولة .

ولعل خير ما استفادت البلاد من هذه الحملة واحتلال المصريين لهذه المنطقة . . هو قيام خورشيد باشا بانتداب لجنة من الخبراء برئاسة محمد افندي لتنظيم الدوائر الحكومية وسن الضرائب وترتيب طرق الجباية التي لم تكن معروفة في هـذه المنطقة قبل هذا التاريخ .

---

(١) يقال ان المندوب النجدي قدم ومعه حوالة مالية فماطله علي بن صالح السنان ، وفي أثناء زيارته لسليمان بن غانم ، أمر سلمان ساقي القهوة بان يتخطاه فلما أبدى استنكاره أجابه سلمان بانك لو كنت رجلا لما ماطلك ابن السنان فطاش غضباً وتحمس وذهب الى ابن السنان وهجم عليه في مجلسه صباحاً وقتله ، فلما سمع رجاله اطلاق الرصاص هجموا على القاتل وقضوا عليه في الحال .

وعلى أثر جلاء المصريين استعاد الوهابيون سابق نفوذهم وانتعشت حركتهم ويصفهم ولسن : بان نشاطهم الأخير كان أقـــل خطراً ، وتعصبهم الفطري وتحمسهم الديني أقل في ظاهره من السابق ، ففي سنة ١٢٥٨ هـ. استولى عبدالله ابن ثنيان آل سعود على بلاد الاحساء، وعين عبدالله بن بتال حاكماً عليها، وحين تمكن الامير فيصل من الفرار من منفاه في مصر سنة ١٢٥٩ هـ. قدم الى بـلاد نجد واستولى عليها ، كما زحف على الدمام وحاصر الشيخ عبدالله آل خليفـــة حاكم البحرين وأولاده مدة ١٢ يوماً ، ثم سار الى الاحساء فاستولى عليها وأقام فيها ٤٠ يوماً ، ثم عاد الى الرياض ، وفي سنة ١٢٨٢ هـ. وافاه أجله فخلفه ولي عهده ابنه عبدالله ، الا ان أخاه سعود خرج عليه سنة ١٢٨٧ هـ. فاستولى على القطيف والاحساء ، وبمساعدة قبيلة العجمان استفحل أمره، فجهز عبدالله جيشاً وسيَّره للاحساء لقمع حركة العصيان بقيادة أخيه محمد ، فاشتبك معه في معركة دامية قرب الاحساء أسفرت عن هزيمة محمد وفناء عدد كبير من جيشه ووقوعه في الأسر ، حيث أرسل مخفوراً الى سجن القطيف .

وفي السنة التالية زحف سعود على الرياض فافتتحها ، ودانت له بلاد نجد ، أما الامير عبدالله الزعيم الشرعي للحركة الوهابية فحين وافته أنباء هزيمة أخيه شق عليه الامر ، فذهب الى أمير حائل واستنجد به ، وفي نفس الوقت كتب الى حاكم بغداد يطلب منه المساعدة على حرب أخيه سعود الذي اغتصب منه الملك ، فوعده الوالي بتقديم المساعدات .

وتشاء الصدف ان يكون احمد بن مهدي بن نصرالله الشاعر المعروف الذي ورث الزعامة من أبيه[1] سيء العلاقة مع الحكام النجديين ، فيسعى هو الآخر في

---

(١) جمع بين السيف والقلم، ورغم مشاغله السياسية فهو شاعر مكثر توفي سنة ١٣٠٦هـ.

تقويض سلطانهم في هذه المنطقة ، فقد قام بمغامرته المشهورة وتنقلاتـه بين أبي شهر والبصرة واتصالاته بالمسؤولين الأتراك ، فشجعهم على الاستيلاء على هذه المنطقة ، فصدرت الأوامر العليا من الدولة العثمانية[1] الى والي بغداد باحتلال القطيف والاحساء وضمها الى حظيرة الدولة العلية .

ففي سنة ١٢٨٨ هـ وجه والي بغداد حملة عسكرية بقيادة محمد باشا نافـــذ الفريق يرافقه أحمد بن مهدي بن نصرالله ، فأقلت من ميناء البصرة عبر الخليـج العربي ، تقلهـــا باخرتان الى ميناء القطيف ، كما صدرت الأوامر الى عبدالله بن صباح أمير الكويت [2] بان يشترك في الحملة ، فجهز جيشاً في السفن وجيشاً

---

(١) كان ذلك في زمن السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني (١٢٧٧ هـ — ١٢٩٣هـ) وهو الذي منح العائلة الخديوية من سلالة اسماعيل ملكاً وراثياً في مصر سنة ١٢٨٣ هـ وفي عهده افتتحت قناة السويس في ١٢ شعبان ١٢٨٦ هـ — ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ م .

(٢) الكويت تصغير كوت ، ومعناه القلعة الصغيرة ، بناه الاتراك في منتصف القرن الثامن عشر ووضعوا حامية فيه ، ثم ما لبثت بعض القبائل العربية من عنزة وعلى رأسها عائلة آل الصباح أن أقامت حوله سنة ١٧٥٦ حيث كانت تمتهن الغوص وصيد الأسمـاك ، وعلى أثر استيـلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ م فر بعض تجارهـا الى الكويت فتبوأت مركزاً تجارياً ، كما نقلت اليها شركة الهند الشرقية طريق بريدها الى حلب ، ثم انتكست خلال القرن التاسع عشر حينما استفحل أمر القراصنة في مياهها ، وحتى عام ١٨٣١م لم يكن سكانها يزيدون عن أربعة الاف نسمة ، ومع هذا فقد اعترفت بها الدولة العثمانية كامارة مستقلة عام ١٨٨٨ م خاضعة لنفوذها . وفي عام ١٨٩٨ م حاولت تركيا ان تحتل هذه الامارة حينما تغلغل فيها النفوذ البريطاني فبادر أمير الكويت فعقد معاهدة مع انكلترا في ٢٣ كانون الثاني ١٨٩٩ م وبذلك أصبح لها كيان مستقل تحت الحماية البريطانية ، وفي عام ١٩٠٠م بلغ سكانها حوالي اثني عشر الف نسمة ، وتشاء القدرة الالهية ان تتم المعجزة بتدفق البترول الغزير في أراضيها عام ١٩٤٥ فتصبح تلك المدينة التي شحت عليها الطبيعة بالماء حيث عمدت حكومتها الى تقطير ماء البحر .. عروس الخليج في فترة يسيرة ، ويتزايد سكانها الذين غرقوا في ثروة خيالية حتى بلغ عددهم أكثر من ربع مليون نسمة .

آخر سار عن طريق البر بقيادة أخيه مبارك الصباح ، فلما وصل الجيش العثماني الى القطيف استقبلته البلاد بارتياح بالغ ، ففتحت أبوابها في وجه القائد العثماني بسبب ما لاقته من ضروب الفوضى واختلال الامن في عهد كانت الدولة تعتمد في قوتها على مساندة قبائل البداة .

أما حاكمها من قبل آل سعود فتحصن بالقلعة أياماً قليلة ، ثم أعلن استسلامه وطلب الأمان لنفسه ولأفراد حاميته ، ولما استتب الأمر للاتراك في القطيف توجه محمد نافذ باشا الى الاحساء يرافقه عبدالله بن صباح وأخوه مبارك وعند وصولهم اليها وجهوا انذاراً لأميرها وأهاليها جاء فيه « الباعث لتحرير هذا الكتاب .. هو انه قبل هذا أرسلنا لطرفكم مكاتيب مخصوصة ، وملفوفة بطيها اعلانات مطبوعة ، متضمنة بيان أسباب كيفية مأموريتنا ، وخلاصة أفكار صاحب الدولة العلية ، وزبدة ما في ضمير حضرة السلطنة السنية .. انها مجرد ارجاع أمن البلاد ليستريح الناس ويصرفوا أوقاتهم في مكاسبهم ، وازدياد ثروتهم ، واستجلاب دعواتهم الخيرية لدوام أيام الدولة ، وقد فهمتموه مفصلاً ، ولأجل ذلك صرفنا النظر في هذه الدفعة عن الاطناب والاسهاب في بيان ذلك ، واقتصرنا على أخباركم بمجيئنا هذا اليوم ، ووصولنا القطار[1] ، وغداً ان شاء الله نرحل ونتوجه الى الاحساء ، فمن استقبلنا بالطاعة يقابله بعهد الله وأمانه على نفسه وعلى ماله ، ونبذل له الرعاية والحماية ، ومن يستقبلنا بالعصيان وعدم الطاعة ، فسنسحقه بحول الله وقوته بسنابك الخيل ، ونجعل داره تدعو عليه بالويل والثبور ، وبناء على ما بلغنا انكم اليوم في أسوأ حال من جراء ما لقيتموه من شدائد الظلم والوبال ، وتمنيكم سرعة مجيئنا لأجل استخلاصكم من ذلك سارعنا للمجيء ، فاذا أحاط علمكم بذلك فتوكلوا على الله واستقبلونا

---

(١) موضع معروف يقع شمالي قرية العيون من بلاد الاحساء .

بالمواجهة ، ولكم عهد الله وأمانه على الأنفس والأموال ، وسوف ترون ان شاء الله ما يسركم ، ويكفيكم شاهداً على هـــذا ما بلغكم من حسن معاملتنا لأهل القطيف وملحقاتها من أهل القرى والعشائر ليكون معلومكم ، ولاجل ذلك بادرنا بتحريره . ثمانيـــة عشر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانـــين ومايتين والف هـ » .

وعلى أثر هذا الانذار أعلنت الاحساء استسلامها واضطر أميرها فرحان بن خيرالله وأفراد حاشيته الى الفرار ، ودخل الاتراك مدينة الاحساء ، ثم أمر محمد نافذ الطريق باطلاق سراح محمد بن فيصل من سجن القطيف ، كما استقدم أخاه الامير عبدالله الزعيم الشرعي للوهابيين ، وأظهر بأنـــه قدم لاستخلاص البلاد من يد أخوه سعود وتسليمها له ، فانخدع عبدالله بتلك الوعود المعسولة ، فاشترك مع الاتراك في رد الهجوم الذي شنه أخيه سعود على الاحساء أخـير لاسترجاعها ، ولكنه حينما رأى البوادر تسير على عكس ما يتوقع خالجـــه اليأس ، وخاف سوء المصير ، فهرب من أيديهم ميمماً شطر الصحراء .

وفي هذه السنة نفسها قدم مدحت باشا بقواته عن طريق ميناء العقير لتعزيز الحامية العثمانية في هذه المنطقة ، فوزع بين الاهالي اعلاناً على أثر وصوله هـــذا نصه : قد اسقطنا الرسومات التي تؤخذ من الاهالي باسم الجهـــاد وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة ، والزيادة في الخرص المخالف للاحكام الشرعية ، ومراد الدولة العلية ترقية أحوال التبعة وزيادة ثروتهم ، وأمرنا بالغائها وعدم أخذها ، ونبهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي ، والذي يتبين منه انه ارتكب ذلك ، فقد أوعدناه بالمجازاة الشديدة ، ولاعلام كافـــة الاهالي وتبشيرهم حررنا هذا الاعلام نسخاً متعددة ، وأمر بتوزيعها على المدن والقرى ، ليكون معلوم الجميع ، ليبتهلوا بالدعوات الخيرية ببقاء أيام الدولة العلية ، ويشتغلوا بتعمير أملاكهم وتوسيع دائرة محصولهم وتجارتهم ،

وان يكونوا آمنين مطمئنين ، ليكون معلوم الجميع . في جمادي الآخرة سنة ثمان وثمانين ومائتين والف هـ .

وبعد ان استتب الأمر للاتراك في هذه المنطقة حاولوا ان يبسطوا نفوذهم على مناطق الخليج ، وأكدوا رغبتهم في السيطرة على المواقع الاستراتيجية ، والسيادة على الجزر بما فيها جزيرة أوال ، ولكن الكولونيل بلي *Colonel Pelly* المقيم البريطاني والذي زار البحرين سنة ١٨٧١ م - ١٢٨٨ هـ جدد التأكيدات للحماية البريطانية التي كانت مستمرة ومعتبرة منذ عام ١٨٦١ م ويضيف السير ولسن : بان مرابطة الاسطول الانجليزي بالقرب من مياهها أيضاً يبرهن على قوة التأثير في صد دعاوي الاتراك التي انقطعت على أثر جلائهم من منطقة الاحساء عام ١٩١٣ م .

وفي سنة ١٢٩١ هـ. قدم من بغداد عبد الرحمن بن فيصل بن تركي[١] الى الاحساء ، وكان يطمع في الاستيلاء عليها ، فانضم اليه بعض قبائل العجمان ، وأيده بعض اهالي الاحساء ، فقام بثورة وهاجم بعض حاميات الاتراك فابادها عن آخرها ، وكاد ان يستولي على البلاد ، فكتب والي الاحساء الى متصرف بغداد فبعث اليه قوة كبيرة بقيادة ناصر باشا السعدون فقصف جيش الامير عبدالرحمن بالمدافع ، وفتك بمن ناصره من اهالي الاحساء .

وفي أواخر القرن التاسع عشر أشرفت الخلافة العثمانية على الانهيار ، ونخر

---

(١) هو والد جلالة الملك المغفور له عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية ، وقد حاول استرجاع ملك ابائه وأجداده ففشل ، وأدت النتيجة الى انقسام الزعامة بين ا ل سعود، فتطاحنوا فيا بينهم ، مما سهل على آ ل الرشيد أمراء حائل ابتلاع ملكهم وتصفيتهم ا خر الأمر فرجع الى الاحساء ثانية، وقدمت له العروض من الوالي التركي عاكف باشا ، فرفضها ،وذهب الى الكويت ، فمنعه محمد بن صباح ثم عاد الى الاحساء وسكن في محلة النعاثل ، وأخيراً سمح له الوالي التركي بالاقامة في الكويت وأجرى له مرتباً شهرياً .

في جسمها الضعف والانحلال ، وسادت الرشوة والفساد في أجهـــزة الدولة ، فضعفت هيبتها من النفوس ، فتجرأ زعماء البادية على الاستهانة بها والتمرد على أوامرها فبطشوا مرة بحاميتها وقتلوا منها خمسين رجلاً بينما كانت في طريقها من العقير الى الاحساء لحماية القافلة التجارية التي اعتادت ان تقوم بهذه الرحلة كل اسبوع ، وعلى أثر هذه المجزرة انتدبت الدولة سنة ١٣٢٠ هـ. رجلاً قوياً لولاية الاحساء والقطيف ، يدعى السيد طالب باشا النقيب ، فقمع تحرشات البـــدو وفتك بهم وصادر مواشيهم ، ووطد الأمن في المنطقة .

ويصفون السيد طالب بانه كان طاغياً مستبداً ، حدثني المرحوم والدي .. ان الصدفة جمعته بمنصور باشا[١] الجمعة في الباخرة وهو قادم في طريقه لهـــذه المنطقة ، فتحدث معه في مختلف الشؤون وكان في أثناء حديثـه يظهر اعتداده بنفسه ، ويقص عليه حكايات مزهواً بفتكه وطغيانه ، فسخر منه منصور باشا وعلق على حديثه بأنك لم تلتق برجل ، فوجد عليه وأضمرها في نفسه ، فلمـا قدم الى القطيف وجد الفرصة مهيأة للانتقام منه ، فانتهز فرصة غيابه ، فقبض على أخيه واعتقله ، ثم عمد الى قصوره فهدمها وساعدته الظروف اذ كانت البلاد في ذلك الوقت متفرقة الى شيع وأحزاب .

وحين وصل خبر النكبة لمنصور باشا اتصل بالباب العالي ورفع قضيته الى الدوائر العليا ، واستصدر أمراً بعزل السيد طالب باشا النقيب ، وكان في وقته أبرز شخصية مقربة للدولة العثمانية في القطيف .

---

(١) من محلة الكويكب ، ورث المال والزعامة بالمصاهرة مع احمد بن مهدي بن نصرالله ، فأصبح في فترة وجيزة أكبر اقطاعي في المنطقة ، وقد جمع ثروة في عهد الاتراك الذين منحوه رتبة الباشوية ، ومكنوه من السيطرة على اقتصاديات البلاد ، فبنى قصوراً فخمـة ما زالت آثارها باقية حتى الآن ، وقد توفي عهدهم ونقل جثمانه الى النجف الاشرف حيث دفـن في مقبرة خاصة .

ولما عزل السيد طالب النقيب عادت الفوضى في البلاد باشد مما كانت ، واستفحل خطر البدو ، واضطرب حبل الامن والاستقرار في هذه المنطقة ، وانتشرت عصابات اللصوص ، ففي سنة ١٣٢٦ هـ. حدثت (وقعة الشربة) ، وخلاصتها ان أحد البداة من بني خالد اعتدى على سقاة متجول في سوق القطيف فحدثت بينهما مشادة عنيفة ، فتجمهر الناس حولهما، وتبودل فيها اخيراً اطلاق الرصاص ، وأدت النتيجة الى مصرع عدد كبير من البداة ، فما كان من قبيلة بني خالد[1] الا ان تحالفت مع قبائل البداة الاخرى فانقضوا على البلد من كل حدب وصوب ، واعتصم الاهالي بقلاعهم وحصونهم ، حيث استمر الحصار قرابة ستة أشهر على مشهد ومسمع من قوات أمن الدولة ، وتكبدت البلاد خسائر فادحة في الاموال والارواح ، فلم يستطع الاهالي جني محصولهم من التمور والغلال ، فعرفت تلك السنة بسنة « الحصارة » .

وقد وقفت الحامية العثمانية موقف المتفرج ، لانها كانت لا تملك حولاً ولا طولاً ، ثم جرت وساطات للصلح بين البداة والاهالي ، تكبدت البلاد دفع الغرامات والديات ، وعاشت بعدها القطيف في عاصفة من القلق والفوضى ، وفقدت نعمة الأمن والاستقرار بحيث اصبح المواطن لا يستطيع ان يتعدى سور القلعة الا بخفير او فرقة مسلحة من الرجال .

وكانت عيون بريطانيا تتربص عن كثب ، وترقب سوء الوضع ، فرأت الفرصة سانحة لبسط نفوذها على شواطىء هذه المنطقة ، ففي سنة ١٣٢٧ هـ. بعثت سفينة حربية وأرست في ميناء رأس تنورة، وأقامت فوقه العلم البريطاني

---

(١) هي احد قبائل بادية القطيف تتكون من عشرة الاف نسمة تقريباً ، تقيم صيفاً في عنك وترحل شتاء . والى جانبها قبيلة بني هاجر تبلغ نفوسها ٤٥٠٠ نسمة . وقبيلة اخرى تسمى الجرة تبلغ نفوسها ٣٠٠٠ نسمة. وقد التحق كثير من أفراد هذه القبائل بالاعمال المدنية وتحضروا وبنوا لهم بيوتاً في عنك والثقبة .

وتقدمت الى رؤساء البلاد[1] بعروضها لحمايتهم من عبث البدو وتثبيت دعائم الامن والاستقرار في المنطقة ، غير ان أهل الحل والعقد لم يوافقوا على عروضها باعتبارها دولة غير مسلمة ، وقاوموها بشدة ، وعمدوا الى علمها في رأس تنورة وأزالوه في الحال .

ثم مضت سنوات أربع خاضت القطيف فيها بحوراً من الدم ، وشهدت عشرات من الجازر الوحشية ، والغارات لا تنقطع بين يوم وآخر ، والاحوال الاجتماعية تزداد سوءاً على سوء ، والتوتر بين البداة والاهالي قائم على قدم وساق والاشتباك المسلح لا يهدأ طيلة أيام السنة ، وما أهل عام ١٣٣١ هـ. حتى كانت قرية العوامية في كف القدر ففي هذا العام احتل جلالة الملك الراحل[2] مدينة

---

(١) كان اقوى المعارضين شخصيتين : اولهما منصور باشا بن جمعة الموالي للاتراك ، وثانيهما حجة الاسلام الشيخ علي بن حسن علي الخنيزي أقوى شخصية دينية لأنه كان ينظر الى الموضوع من وجهة دينية صرفة .

(٢) هو مؤسس المملكة العربية السعودية جلالة الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن تركي آل سعود. وصل مع والده الى الكويت عام ١٣٠٨هـ. وأقام فيها، وفي عام ١٣١٨هـ. قام بمحاولة مع والده بالاشتراك مع مبارك الصباح لاستعادة ملك آبائه واجداده من ابن الرشيد، ففشلت هذه المحاولة ، وفي عام ١٣١٩ هـ. خرج من الكويت في قوة صغيرة يقلها اربعون بعيراً ، ويرافقه كل من أخيه محمد وابني عمه عبد العزيز وعبدالله بن جلوي فنجح في مغامرته اذ استولى على الرياض ودانت له بلاد نجد ، وظلت الحرب سجالا بينه وبين آل الرشيد أمراء حائل ، وفي عام ١٣٣١ هـ. ١٩١٣ م استولى على الاحساء والقطيف ، وفي سنة ١٣٤٠ هـ. انتصر على آل الرشيد وخضعت له بلاد حائل ، وفي سنة ١٣٤١ هـ. بسط نفوذه على مقاطعة عسير ، وفي سنة ١٣٤٣ هـ استولى على الحجاز ونودي به ملكاً على الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وفي سنة ١٣٥١ هـ. اصطدم بيحيي حميد الدين امام اليمن وزحف على بلاده حتى كاد ان يستولي عليها لولا ان تدخلت بعض الشخصيات العربية والاسلامية ، فانسحب منها ، وفي عام ١٣٥٢ هـ. اصدر مرسوماً ملكياً تحت رقم ٢٧١٦ بتوحيد أجزاء مملكة الحجاز ـــ

الاحساء وأجلى الاتراك عنها ، وبعث سرية صغيرة بقيادة عبد الرحمن السويلم حيث نزلت بالمريقيب بالقرب من سيهات ، حيث جرت مفاوضات مع زعماء القطيف الذين رحبوا بالحكم الجديد ، تخلصاً من تلك الفوضى الضاربة في عهد الحكم التركي ، فلم يجد الاتراك بدأ بعد ان خسروا الاحساء الا ان يرحلوا عنها تحت ضغط رغبات الاهالي[1] ، فأقلعوا من ميناء القطيف بعد ان فشلت كل محاولة للتشبث في البقاء ، وفي تلك الفترة قدم الطابور التركي المرابط في قطر

←وسلطنة نجد وملحقاتها وجعلها مملكة واحدة تحت اسم « المملكة العربية السعودية » ولحق بالرفيق الاعلى في ٣ ربيع ١ سنة ١٣٧٣ هـ. وقد تميز عهده بالتأسيس والفتوحات كما تميز عهد خلفه بالاصلاحات الداخلية وتنظيم شؤون الدولة .

(١) حدثني الصديق الد . ..دالله اخوان بان والده كان من أشد المتحمسين للحكم السعودي وذكر ان الامير عبد الرحمن بن .ويلم حينما قدم بسريته الى القطيف ونزل المريقيب بعث والده علي اخوان ابن عمه حسن لاستقباله في سيهات كما استقبله ايضاً عمدة سيهات حسين بن نصر ، وحدثني ايضاً انه حينما جمع الوالي التركي زعماء القطيف ومن بينهم والده والحجة الشيخ علي الحاج حسنعلي الخنيزي لاستجلاء حقيقة الأمر ، وطلب منهم الدفاع ، تكلم والده فقال : ان البلاد فقيرة من السلاح والعتاد ولا تستطيع المقاومة فاذا أصر الوالي على رأيه فانه يتحمل مسؤولية بلد بأكمله ، فلما عرف البكباشي التركي جلية الأمر وان لا جدوى في التشبث في البقاء طلب منهم تحرير كتاب يبرر موقفه وخروجه من البلاد ، ثم أقلع هو والحامية التركية ودخلت القطيف في الحكم السعودي ، بدون قتال ، فكان والده (علي بن اخوان) من أقرب المقربين الى ابن السعود فتولى ضمان الجمارك كما تولى يوسف بن سويلم وكالة بيت المال، ولما عزل هذا الاخير من منصبه ضمت الى ابن اخوان وكالة بيت المال ، وبعد وفاته اسندت مهام منصبه الى مساعده علي بن فارس فاصبح سيد البلاد الى ان توفي سنة ١٣٤١ هـ. وعلى أثر وفاته قدم هاشم الرفاعي فنظم شؤون الجمارك والزكوات وبيت المال وفي السنة التالية سن نظام الجوازات ، وكان المواطنون ينتقلون قبلا بحرية من بلد الى بلد خارج بلادهم . وفي سنة ١٣٤٦ هـ. ادمجت مالية القطيف بمالية الاحساء الى ان تم تشكيل وزارة عام ١٣٤٩ هـ.

لتعزيز الحامية العثمانية في القطيف ، ولما عرف بجلائها عن البلد عـاد ادراجه ، وأبحر عبر الخليج ميمماً شطر البصرة .

٢١ ـ المملكة العربية السعودية

لقد كان الظرف حرجاً بالنسبة للعاهل السعودي الراحل حينما بسط نفوذه على هذه المنطقة ، وعلى الرغم من ان الانجليز كانوا يطمعون في الاستيلاء عليها ، كما كانوا يعملون على تقويض نفوذ تركيا المنافسة لهم في شواطىء الخليـج ، الا انهم في نفس الوقت كانوا يخشون استفحال الحركة الوهابية فيصل خطرها الى مناطق الخليـج الخاضعة للنفوذ البريطاني ، لذلك حين أقلع الاتراك من العقـير وسلموا منطقة الاحساء الى ابن السعود ، عمد الانجليز الى تشجيعهم وحثهم على العودة ، لاعتقادهم بان تركيا لا تستطيـع ان تفعل شيئاً ضدهم ، وانها أضعف من ان تنافس بريطانيا العظمى في السيطرة على مياه الخليـج ، فقـد خرجت من حربها مع اليونان ودول البلقان خاسرة مثقـلة بالديون منهوكة القوى ، ولكن المنافس الجديد قد يكون له خطر اكثر في المستقبل ويكون شوكة دامية تقض مضاجعهم كما كان أسلافه من قبل .

وعلى الرغم من ان فلول الحامية التركية قد عادت ادراجها الى العقير [١] الا

---

(١) العقير ميناء يقع في خليج قطر ، ويبعد عن القطيف بـ ٦٤ ميلا .

انها منيت بقصف صاعق من جموع منظمة الاخوان[1] ردوهـا على أعقابها ، ويشاء حسن الطالع ان يقلب وجهة النظر الانجليزية رأساً على عقب ، ففي هذه الفترة اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى [2] وخاضت تركيا غمارها ضد بريطانيا .. الأمر الذي دعا الانجليز الى ان يعيدوا النظر في موقفهم تجاه العاهل السعودي ، فأسرع السير برسي كوكس الى مقابلته في القطيف سنة ١٩١٥ م. على أثر ابداء رغبته في تأسيس علاقات ودية وطيدة ، فأسفرت المقابلة عن عقد معاهدة القطيف في ٢٦ كانون الاول من السنة نفسها ، وهي شبيهة بالمعاهدات التي عقدت مع أمراء الخليج .

ولكن هذه المعاهدة المجحفة الغيت بعد فتح الحجاز وحلت محلها معاهدة جدّة في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٧ م. والتي اعترفت بريطانيا بموجبها بكامل السيادة والاستقلال لمملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها ، فاكتسبت هذه الحكومة الفتية صفة دولية منذ ذلك الحين .

---

(١) أسسها جلالة الملك الراحل سنة ١٩١٢ م. وقد اندفعت بحماسة دينية فتم على يدها كل فتوحاته ، ولما أحرجته بسبب ضيق تفكيرها تخلص منها فقضى على زعمائها ، ومن اشهرهم فيصل الدرويش وسلطان بن بجاد .

(٢) كانت اول شرارة انطلقت فاشعلت الحرب العالمية الاولى في ١٨ حزيران ٩١٤ حينما اطلق طالب صربي النار على ولي عهد النمسا وزوجته فأرداهما قتيلين في مدينة سراجيفو ، فاتهمت النمسا مملكة الصرب بتدبير الحادث ، فاعلنت الحرب عليها فعطف على الصرب دول الوفاق الثلاثي روسيا وفرنسا وبريطانيا ، كما وقف الى جانب النمسا دول الاتحاد الثلاثي تتزعمهم المانيا ثم انضمت اليهم تركيا ثم ما برحت كل دولة تنضم الى جانب كل من المتحاربين حتى لم يبق على الحياد الا القليل ، وهكذا تحولت الحرب عالمية لأول مرة في تاريخ البشر شملت جميع القارات والمحيطات .

ورغم حتمية الظروف التي فرضت تلك المعاهدة الاولى ، فقد عادت بكثير من الفوائد لصالح الدولة الناشئة ، فقد احبطت المحاولة التي قام بها الحاج عبد الحسين الجمعة[1] في القطيف في حث الاتراك على استرجاع البلاد ، اذ قام قلم المخابرات البريطاني بضبط الوثائق المتبادلة وتسليمها الى ابن السعود ، كما قامت بريطانيا فيما بعد بالقبض على فيصل الدرويش[2] الذي لجأ الى بغداد مع رفاقه ، ونقلهم بالطائرة ، وتسليمهم اليه عام ١٣٤٨ هـ.

وبينما كان نجم العاهل السعودي الراحل يتألق اذ بسط نفوذه على أواسط شبه الجزيرة العربية ، وعلى ما يقرب من ٣٥٠ ميلاً من شواطىء الخليج العربي حيث قهر الاتراك ووطد الامن في ربوعها .. كذلك حالفه النصر ايضاً فتغلب على أحلافهم آل الرشيد ، واستولى على حائل ، وكانت الظروف السياسية العالمية تفرش دروبه بالورود، فما كادت الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها حتى دب الخلاف بين الانجليز وأحلافهم الهاشميين .. الامر الذي أدى الى أن

---

(١) بعد عام من استيلاء جلالة الملك الراحل على هذه المنطقة حمل اليه قلم الاستخبارات البريطاني جملة وثائق تدينه بعدم ولائه للدولة على أثر انضمام تركيا الى جانب المانيا ضد بريطانيا في ٢٩ تشرين الاول ١٩١٤ فقبضت عليه الحكومة السعودية وأعدمته وصادرت املاكه .

(٢) هو رئيس قبيلة مطير وأشهر قائد في منظمة الاخوان ، وقد وطد هو ورفاقه دعائم المملكة الناشئة، غير انه انقلب اخيراً حينما شاهد بوادر التطور في المملكة الفتية كاستعمال الآلات الحديثة كاللاسلكي وركوب السيارات وتبادل التمثيل الدبلوماسي وعقد المعاهدات ، فبث هو ورفاقه في اتباعهم بان ابن السعود خالف الشريعة ، فلم يسعه الا ان يتخلص منهم لأنهم اصبحوا عقبة في سبيل تقدم المملكة وتطورها ، فحاربهم حتى قضى عليهم ، ونعمت المملكة بعدهم بعهد الطمأنينة والاستقرا .

يتخلوا عنهم ، فتهيأت الفرصة لاحتلال الحجاز عام ١٣٤٣ هـ. ١٩٢٤ م. ولولا تدخل الاوساط السياسية العربية والاسلامية لتمت له السيطرة علـى اليمن ، وكذلك لولا تدخل الاستعمار المباشر وفرض الحماية على شواطىء شبه الجزيرة العربية من عدن الى قطر، ولولا ارتباطه بمعاهدة العقير[1] لوحد الجزيرة العربية تحت علم واحد .

وقد بقيت القطيف امارة مستقلة عن الاحساء في بداية الحكم السعودي يدير شؤونها أمراء يجري تعيينهم من قبل الحكومة المركزية في نجـد مباشرة ، فكانت مدينة القطيف قصبة الحكم في المنطقة الساحلية التي تمتد حدودهـا من الكويت الى قطر ، وحين اتسعت أعمال شركة البترول في الظهران ، وقامت بالقرب منها مدينة الخبر اكتسبت هذه المدينة أهمية كبرى بالنسبة لموقعهـا الاستراتيجي ، فانتقل اليها كرسي أمارة هـذه المنطقة ، واسندت الى آل ماضي ، ولكن مدينة الدمام ما لبثت ان نافستها في أهميتها حين أنشئت فيهـا السكة الحديدية التي تصلها بالعاصمة (الرياض) ، ثم أنشئت فيهـا الميناء ، فتبوأت هذه المدينة مركزاً ممتازاً ، وأصبحت قصبة الحكم لهـذه المنطقة ، وحين امتدت أعمال التنقيب غرباً وشملت بلاد الاحساء اعتبرت هي والمنطقة الساحلية منطقة واحدة ، فوحدت جميعها تحت اسم « المنطقة الشرقيـة » من

---

(١) تمت معاهدة العقير سنة ١٩٢٢ م. وبموجبها عينت الحدود بين السعودية والكويت وجعلت بينهما منطقة محايدة توقف البت في أمرها حتى الوقت الحاضر، ولما اكتشف فيها الزيت سنة ١٩٥٣م جعل حق استثماره بينهما مناصفة ، ومنح الامتياز لشركة امنيويـل في الكويت وجيتي اويل في السعودية ، وعلى الرغم من الآبار تملكها الشركتان الا انهما تعملان منفصلتين كل بآلاتها الخاصة بها .

المملكة العربية السعودية ، وضمت جميعها الى أمارة آل جلوي[1] التي كان مركزها الاحساء .

وفي عام ١٣٧٠ هـ صدر أمر جلالة الملك الراحل بنقل مركز الامارة الى مدينة الدمام ، فاصبحت هذه المدينة التي كانت بالامس القريب قريـة صغيرة تابعة للقطيف حاضرة للمنطقة الشرقية بأجمعها .

(١) لما فتحت الاحساء اسندت امارتها للمغفور له عبدالله بن جلوي بن تركي آل سعود ، ولما توفاه الله سنة ١٣٥٤ هـ. خلفه ابنه الاكبر الامير سعود في منصبه .

٥

احوالها الاقتصادية

التجارة . الزراعة . نظام الري . الغوص واللؤلؤ .
الثروة المائيـــة والاسماك . الصناعة والبترول .

١ ـــ التجارة

اشتهرت هذه المنطقة منذ أقـــدم العصور بتجارتها في التوابل والعطور واستخراجها اللؤلؤ ، وصناعتها الرماح الخطيـــة الشهيرة بجودتها ، كما اشتهرت بزراعتها وعلى الأخص بانتاج التمور ، حتى قيل في المثل (كناقل التمر الى هجر) كما حازت أيضاً شهرة فائقة في عصورها التاريخية السحيقة بتمرها وأخشابهـا ومعادنها مثل النحاس والبرونز ، وقد ساعدها موقعها الاستراتيجي في العصور السالفة على أن تتمتع بمكانة ممتازة في عالم التجارة ، فكانت بحكم موقعهـا همزة وصل بين تجارة الشرق والغرب .

لقد وضع اللبنة الأولى في ازدهار تجارتها أبناؤها من أحفاد الكنعانيين، الذين أطلق عليهم اسم الفينيقيين منذ خمسة آلاف عام تقريباً، فتمتعت بشهرة فائقة في عالم التجارة، فقد كان هؤلاء يتمتعون بنشاط منقطع النظير في هذا الميدان، فهم أول أمة صنعت السفن ومخرت بها في لجج البحار وسيطرت على اقتصاديات العالم القديم، ثم بعدهم اشتهر الجرهائيون في عالم التجارة، فكانت لهم أساطيل ضخمة تنقل بضائعهم عبر الخليج الى وادي الرافدين، وقوافل منظمة تضرب فيافي الصحراء الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط، حتى أصبحت مدينتهم الجرهاء مضرب المثل في الثروة والرخاء، وحاز أهلها شهرة عظيمة في الغنى والترف، حتى بلغ من أمرهم – كما يصفهم استرابون – انهم يزينون منازلهم بالعاج والفضة والحجارة الكريمة، ويجملون سقوف أبنيتهم وأبواب غرفهم بالذهب والأحجار النفيسة الغالية.

وتدلنا النقود الصينية القديمة التي اكتشفت في صحارى هذه المنطقة على أن لها روابط تجارية وثيقة بسكان الشرق الأقصى، كما أن هناك فئات نقدية أخرى (١) تحتوي على كتابات لم تفك طلاسمها بعد، ولكنها كلها تؤكد ارتباطها تجارياً بالعالم القديم. وانها كانت تتمتع بمركز اقتصادي هام.

ورغم انها منيت بفترات من الركود في عصورها التاريخية بسبب سيطرة بعض الدول القديمة الكبرى على مقدراتها فانها بقيت الى أيام دخولها في الاسلام تتمتع بمركز اقتصادي ممتاز، فقد حدثنا التأريخ الاسلامي بان ما جمعه العلاء بن الحضرمي من الجزية لم ير النبي ﷺ مالاً قبله ولا بعده، وكما يستدل من هذه

---

(١) توجد مجموعة من النقود الصينية القديمة ومجموعة أخرى من النقود لدى عمدة القطيف السيد محمد الفارس، عثر عليها أثناء مد أنابيب البترول.

الرواية على كثافة السكان.. يستدل منها على الرخاء الاقتصادي التي كانت تتمتع به في ذلك العهد .

وهناك رواية أخرى تنهض دليلا على مكانتها الاقتصادية ، وانها كانت تموّن الجزيرة العربية بالمواد الغذائية حتى بعد الفتح الاسلامي ، فقد حدثنا ابن الأثير بان نجدة الخارجي حينما استولى على بلاد البحرين ، وتأزم الموقف بينه وبين أهل الحجاز في عهد ابن الزبير عمد الى مقاطعتهم اقتصادياً ، فكتب اليه عبدالله بن عباس الصحابي المشهور يستعطفه ، ويذكره بقصة ثمامة بن أثال حين قطع الميرة عن المشركين من أهل مكة لمناوأتهم للرسول ﷺ ، فكان ان أجراها لهم هو الآخر وعدل عن مقاطعته الاقتصادية، وهذه الرواية تؤكد بأن القطر الحجازي كان مرتبطاً بهذه المنطقة تجاريا ، كما انه كان في ذلك الوقت يعتمد على هذا القطر في تموينه بالمواد الغذائية .

ولكن مركز هذه المنطقة التجاري أخذ في التدهور فيما بعد ، منذ أواخر القرن الأول الهجري ، بحكم الأوضاع القلقة الناتجة من الاضطرابات والثورات وعدم الاستقرار السياسي ، اذ تتابعت عليها حكومات تسيطر عليها النزعة القبلية ، ويستبد بها ولع في شن الغارات والحروب على الاطراف المجاورة ، ففقدت مكانتها التجارية، وتحولت طرق التجارة الى الشمال عبر وادي الرافدين، والى طريق البحر الاحمر عبر وادي النيل ، وزاد الطين بلة فتح قناة السويس(١) فقضى على البقية الباقية من استراتيجيتها .

فاقتصرت تجارة هذه المنطقة في الاستيراد على الاستهلاك المحلي ، كبعض

---

(١) افتتحت في ١٢ شعبان ١٢٨٦ هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٨٦٩ م .

المواد الغذائية والاقمشة والتبغ والبن والادوات المنزلية والاشياء الكمالية ، أما أغلب المواد الغذائية فهي كانت حتى الى عهـــد قريب تتمتع باكتفاء ذاتي اذ كانت تنتج الحبوب كالرز والشعير والخضار والفاكهـــة ، وكانت تصدر التمر والفاكهة والخضار الى بلدان الخليج ، كما تصدر اللؤلؤ والسلوق الى بلاد الهند ، وكانت الرسوم تستوفى على البضائع المستوردة والمصدرة على السواء [١] .

وقد جرت العادة سابقاً بان ترد السفن الكبيرة في بداية الموسم من نواحي الهند والباكستان لشراء السلوق ، كما ترد السفن من بلاد الخليج لشراء التمور ، وكانت الاسعار تتأثر بقاعدة العرض والطلب ، أما الآن فقد عمد التجار المحليون الى تصدير التمور وعرضها في الاسواق الخارجية دون مراعاة حاجـــة تلك الاسواق ... الامر الذي أثر على مستوى الاسعار اذ أدى الى تدهورهـــا في أكثر الاحيان .

وكانت البلدان التي تتعامل معها في العصور الماضية سواحل فارس وبـلاد الهند وسواحل عُمـــان ، وفي الفترة الاخيرة حينما تقدمت جزيرة البحرين وازدهرت فيها الحركة التجارية أخذت تتعامل معها على نطاق واسع حتى بعد انشاء ميناء الخبر ، ولما انشىء ميناء الدمام الذي صار بامكانه استقبال اضخم البواخر من جميع أنحاء العالم ، وأسست السكة الحديدية التي تصلها بالعاصمة « الرياض » انتعشت التجارة في المنطقة ، ونشطت حركة الاستيراد ، واصبحت تتعامل رأساً مع جميع أنحاء العالم ، وتبعاً لذلك فقد تأسست فيها غرفة تجارة ،

---

(١) كانت الجمارك تعطي بالضمان السنوي لقاء مبلغ معين من المال ، لمن يتوسم فيه الاخلاص والولاء للدولة من وجهاء البلد على أساس لوائح تحدد فيها الرسوم على البضائع واستمر الحال الى سنة ١٣٤١ هـ ، ففي هذه السنة بعث جـلالة الملك الراحل لجنة لتنظيم الشؤون الماليـة والجمارك برئاسة هاشم الرفاعي ، وكانت تؤخذ الرسوم أيضاً على البضائع المصدرة ثم اسقطت أخيراً .

مقرها الدمام ، وافتتحت فيها فروع للبنـــوك ، ووكالات لشركات التأمين والبواخر ، ولولا التعقيدات في الاجراءات الادارية الروتينية لقضت على مركز البحرين التجاري .

وقد أصبحت مدن هذه المنطقة تزخر باصناف المواد الضرورية والكماليـة تبعاً لارتفاع مستوى المعيشة وتطور الحيـــاة فيها ، ولكن مما يؤسف له أن التوازن الاقتصادي الموجـود سابقاً بين حركة الاستيراد والتصدير قد اختل ، فارتفعت أرقام البضائع المستوردة ، وبقيت أرقام البضائع المصدرة تسير الى الهبوط ، لولا ان تداركتها العناية الالهية بتصدير الانتاج من صناعـة الزيت ، وسوف نتحدث عنه فيما بعد .

٢ ــ الزراعـــة

وكانت الزراعة أهم شيء ثابت تعتمد عليــه منطقة القطيف في حياتها الاقتصادية ، فأغلبية السكان تتألف من طبقة من الفلاحين الى جانب طبقـــة صغيرة من ملاكي الاراضي والعقارات، وقليلة جداً تلك الطبقة التي كانت تمتهن الملاحة وصيد الاسماك ، أو التي تعيش من كدها أو من صناعتها اليدويـــة البسيطة .. اذا استثنينا مهنة الغوص اذ كان يسهم فيها الفلاحون والبداةبنصيب كبير ، وحتى التجار فقد كانوا يعتمدون في معيشتهم على اطيانهم .

وواحة القطيف التي تبلغ مساحتها عشرة آلاف فدان تقريباً تنتج الفاكهـة على اختلاف أنواعها كالرمان والبوبي والمشمش والخوخ والتين والخيــار والقثاء والبطيخ الاحمر والاصفر وكذلك الحوامض كالليمون والاترج والبرتقال والنارنج وكذلك جميع أنواع الخضار كالطماطم «البندورة» واللوبيا والفاصوليا واليقطين

والباذنجان والباميا والكوسه والخس والملفوف والزهره والبقدونس والهندبا والفجل والنعنع وغيرها ، وان كانت الزراعة الرئيسية هي زراعة النخيل ، وهي – كما يبدو استجابة اقتصادية كبرى لمتطلبات الحياة في ذلك الوقت ، فمن انتاجها من الرطب والتمر تموِن البلاد بمادة غذائية رئيسية للسكان والحيوانات ، ومن جذوعها تتخذ لصلابتها سقوفاً وأبواباً للمنازل والحوانيت والاكواخ ، ولحرق الطين المستخرج من البحر وصهره ، ليكون مادة قوية صالحة للبناء ، ومن سعفها تصنع منه المراوح والحصر والاوعية والاطباق ويستعمل للوقود ، ومن أليافها يصنع الحبال على اختلاف أنواعه ، والخلاصة أن شجرة النخيل كانت لها أهمية كبرى تتخلل جميع مرافق العيش في وقت مضى ، ولا تقتصر منافعها على الاحياء فقط ، بل كان للاموات نصيب فيها ، فمن جذوعها وحصرها تسقف القبور وتوضع منها علامات للتمييز بين ما وجد منها وما دثر .

ولشجرة النخيل قدسية بالغة بين السكان منذ القدم ، فقد قيل عنها انها أقدم شجرة في العالم ، وانها خلقت من فضل طينة آدم ، وورد في الحديث عنها « أكرموا عماتكم النخل » وقد نسب اليها الفينيقيون سكان هذه المنطقة الاوائل ، لأن اسمهم مشتق من فينقس *Pheinicie* وهو لفظ يوناني معناه النخل ، وقد اتخذوه رمزاً لدولتهم فصوروه على مسكوكاتهم ، ثم جاء الاسلام فأكد قدسية هذه الشجرة في أحاديث كثيرة مأثورة ، وما زالت تسيطر على عقلية الفلاحين رهبة تلك القدسية فيتورعون من قطع شجرة نخل ، وهي في عنفوان شبابها ، لاعتقادهم بان لها شأناً عند الله .

ويربو عدد أشجار النخيل في واحة القطيف على المليون ، وأصنافها كثيرة جداً ، وأجودها صنف « الخلاص » تمراً ورطباً ، وهناك أنواع من الرطب يبدأ نضجها مبكراً في أوائل تموز ، وتتلاحق الاصناف تباعاً ، وتنتهي في كانون

الاول ، وأشهرها الماجي والبكيره والغري والخنيزي والخلاص والبصو والحلاو والخواجي والهلالي وخصاب العصفور ، أما التمور فقد جرت العادة في تصنيفها تبعاً لكثرتها الى نوعين : البكيرة والخنيزي ، أما باقي الاصناف فتدرج تحت اسم واحد ، يسمى « الابيض »[1] ويجيء في التصنيف في الدرجة الثانية : الخلاص ، والغرى ، والحلاو ، والشيشي ، ويتخذ منها الميرة في الاغلب ، أي انها مقتصرة على الاستهلاك المحلي ، أما الاصناف الثلاثة الاولى فأغلبها يصدر الى خـــارج البلاد ، كما يصدر أيضاً « السلوق » المتخذ من بسر الخنيزي بعـــد سلقه وتجفيفه ، وكذلك « الدبس » الطبيعي المستخرج من التمر .

وما زالت الزراعة تسير في واحـــة القطيف على نهجها البدائي ، فالارض تحرث بالمسحاة ، وتسمد بالاسمدة الحيوانية الا فيما ندر ، فاذا ابتليت الاشجار والثمار بآفة فان الفلاح والمالك كليهما يستسلمان الى القدر ، وطرق الغرس ونظم الري ما زالت كما هي منذ آلاف السنين ، وتنوي الآن وزارة الزراعة انشاء وحدة زراعية لارشاد المزارعين الى الطرق الصحيحة السليمة ، وفق الاصول المتبعة في الزراعة الحديثة .

ورغم بوادر التطور التي بدأت في بعض الاراضي الزراعيـــة المستجدة باستخدام الآلات الزراعية الحديثة ، واستعمال الاسمدة الكيماوية ، وانشاء بعض المشاتل للازهار والنباتات ، والعناية بتربيـــة الدواجن كالدجاج واستخدام المكائن الآلية لتفريخ البيض ، فان هذه البوادر ما زالت في أول طريقها ، وهي ضئيلة جداً اذا قورنت بالوضع البدائي السائد في حياة الفلاحين .

---

(١) على هذا التصنيف درجت الحكومة في جبايتها الزكوات، وكانت الزكاة تؤخذ سابقاً على أساس تبويب شجر النخيل حسب نشاطها وضعفها الى أعـــلا واوسط وأدنى ، وتوضع ضريبة معينة على كل منها ، ثم ابدل هذا النظام اخيراً وجعلت على أساس الزكوة الشرعيـة المفروضة ، فيخرص الثمر قبل نضجه ويقدر انتاج البستان ويؤخذ منه العشر .

٣ ـ نظام الري

ومصدر الري في واحة القطيف عيون جارية تسقي سيحاً ، وهي قديمة جداً ، يرجع تاريخ حفرها على ما يظن الى الالف الثالث قبل الميلاد ، ويذهب الجيلوجيون الى أن هذه الينابيع مصدرها المياه الجوفية المتحدرة من أعـالي نجد ، وينسب عملها – كما هو الشائع – الى العمالقة (١) أبناء الكنعانيين الذين نزحوا من أواسط شبه الجزيرة العربية ، وهي رائعة من روائع الفن والهندسة ، بالاضافة الى كونها أثراً من الآثار التاريخية الخالدة ، التي تلفت نظر السواح ، وهي في الغالب تتخـذ شكلاً مربعاً يختلف سعة وضيقاً على عمق يتراوح بين ١٠٠ قدم الى ٢٠٠ قدم ، وهي في حد ذاتها تشبه بركاً واسعة جميلة نقية الماء دائماً ، حيث تتخذ في أعلاهـا شكلاً دائرياً تحيطها المساطب والمدرجات من جميع جوانبها للجلوس في الماء أثناء الاستحمام ، والعجيب من أمر هذه العيون أن ماءها يبرد صيفاً ، ويسخن بطبيعته شتاء ، وهي كثيرة منبثة بين قرى القطيف وضواحيها ويحتوي بعضها على ميـاه معدنية تقصد أحياناً للاستشفاء كعين الحمام التي تقع في قرية البحاري .

وقد جرت العادة في تنظيم ري بساتين الواحة بان تشق قنوات وجداول ، فيسمى النهر الرئيسي الرافد من العين « الساقية » كما يسمى النهر المتفرع منه

---

(١) يستخلص مما رواه المؤرخون أن الكنعانيين هم أول من سكن هذه المنطقة ، فتفرع منهم العمالقة الذين اشتغلوا بالزراعة وشؤون الري فحفروا هذه العيون ، وتفرع منهم كذلك الفينيقيون الذين اشتغلوا بالملاحة والتجارة كما أشرنا الى ذلك سابقاً .

بالمشروب ، وهو الذي يوزع المياه على الأحواض الكبيرة لسقي الاشجار ويحفر لفسيلة النخل في أول غرسها حوض صغير توصله قناة بالحوض الكبير الذي يسمى « الضاحية » فاذا كبرت دفن وساووا به أرض البستان، وتستقر أشجار النخيل على سطح الارض الذي يسمى « الجابور » أما باقي الاشجار فتزرع في الاحواض الكبيرة « الضواحي » لتكون قريبة من الماء ، وتتخلل أرض البستان ترع عميقة تسمى « المرامي » تتجمع فيها فضلات المياه وتدفع بها الى النهر الكبير الذي يسمى « الساب » حيث يجري منحدراً الى الاراضي المنخفضة من الواحة لريها .

وفي هذه الواحة أكثر من ١٥٠ عيناً ، وأشهر هذه العيون : داروش في صفوي ، والربيانه والمحارق في العوامية ، والغرى وساداس في القديح ، والحمام والقصاري والرواسية في البحاري ، والمربعه والقصير في التوبي ، والقشورية في الجارودية ، وام عمار والمروانية في حلة محيش ، والحمام في جزيرة تاروت ، والدبابية في ضاحية الدبابية ، وبعض هذه العيون كانت تقتصر على استحمام النساء فقط كعين القصارى والقصير ، ويوجد في مبنى عين الحمام قسم خاص بالنساء .

وكانت هذه العيون عماد زراعتها ، وبساتينها تشقى وتسعد من حيث نصيبها من قلة الماء او كثرته ، وماء العين الواحدة مقسم على البساتين من حيث الوقت الى أربعة عشر قسماً للاسبوع الواحد ، وتسمى اوضاحاً ، باعتبار ان الاسبوع سبعة أيام مقسم بين نهار وليل ، والنهار والليل يقسم أيضاً الى أجزاء بين نصف وربع وثمن وأجزاء الثمين ، ويعتبر الماء جزءاً لا يتجزأ من الارض ، ويعتمد الفلاحون في تقسيمهم هذا حسب عاداتهم التقليدية على امتداد الظل وتقلصه أثناء النهار ، أما في الليل فيحددون الوقت بمراقبة النجوم أو يرجعون الى الساعة في ضبط الوقت .

كما يوجد الى جانب هذه العيون أنهار جارية تسمى « السيبان » مفردها « ساب » وهي تتجمع من روافد فضلات البساتين التي تسقى بالعيون ، ولعل اسمها في الاصل محرّف من « السيب » أي مجرى الماء ، مشتق من ساب الماء أي جرى وذهب كل مذهب ، وكل نهر من هذه السيبان له اسم خاص به ، وأشهرها ساب « الدوبج » بقرية التوبي وساب « أبو خمسة » بقرية الشويكة ، ويمكن القول بان أغلب الاقسام الشرقية من الواحة تعتمد في ريها على هذه الانهار ، ونسبة ما ترويه من الاراضي يقارب ١٥ ٪ من مجموع أراضي الواحة ، وقد اتخذ في تقسيم مياهها على النمط الذي شرحناه آنفاً في مياه العيون .

ولم تعرف هذه المنطقة الآبار الارتوازية إلا بعد اكتشاف الزيت فيها ، أي منذ ربع قرن تقريباً ، فقد بدأت أولاً بحفرها شركة الزيت لسد احتياجها من الماء في الأماكن الصحراوية أثناء التنقيب ، ثم ما لبثت هذه الآبار ان انتشرت ، فأسرف الاهالي في حفرها ، وأصبح الآن في هذه المنطقة عدد كثير منها لا يحصى ، وأصبح الماء المستخرج من هذه الآبار يفيض في أغلب الاحيان عن الحاجة ، فيذهب هدراً في البحر .

ومما يؤسف له .. ان ماء العيون القديمة بدأ في التناقص سنة بعد سنة بسبب الاسراف في استخراج المياه الجوفية ، حتى اصبح الحال يهدد بكارثة عظمى ، وعلى العموم نجد الجهات الغربية من الواحة سيما التي تسقى من العيون البرية ، والتي كانت تزرع الرز في الايام السالفة قد تناقص ماؤها أو انعدم كلياً لانخفاض مستوى الضغط في ينابيع تلك العيون ، حتى أوشكت هذه البساتين ان تتحول الى مناطق صحراوية قاحلة ، واعرف بعضاً من العيون القديمة المشهورة بغزارة ينابيعها كالصدرية وام السيبان قد توقف عن الجري نهائياً منذ بضع سنوات .

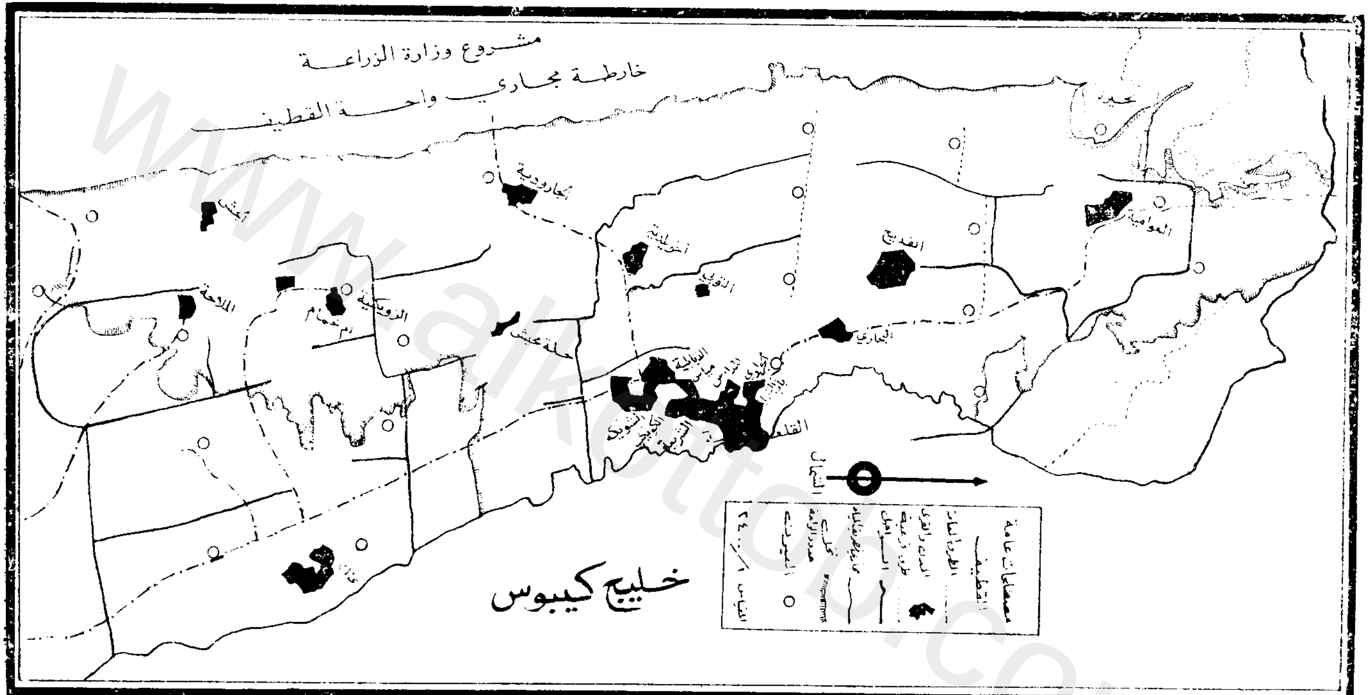
وهذه الآبار الارتوازية تحفر بالمكائن الحفرية ، فترسل بواسطتها الانابيب في جوف الارض ، فهي تتخذ في شكلها سعة انبوب ، لا يزيد قطره عن ثمان بوصات ، وينحدر في عمق يتراوح بين ٣٠٠ قدم الى ٧٠٠ قدم او تزيد في أعماق الارض ، ومن ثم يخرج الماء مندفعاً الى أعلا على ارتفاع يزيد أحياناً عن ثمانية عشر بوصة فوق مستوى الارض .

وعلى الرغم من الاضرار التي نجمت من هذه الآبار .. الا انها وفرت مياهاً نقية صالحة للشرب ، لكونها محكمة لا تتسرب اليها الاوساخ ، على العكس من العيون القديمة التي تشبه البرك المكشوفة حيث تكون عرضة للاوساخ والتلوث عند مهب الريح ، وقد استعملت هذه الآبار في الوقت الحاضر بواسطة مد شبكة من الانابيب كوسيلة لادخال اسالة الماء في بيوت مدن هذه المنطقة .

وقد منح الاهالي الحرية المطلقة في حفرها ، فاكثروا منها ، وقد نشأ من جراء ذلك ان بعض البساتين توفر لها الماء بدرجة كبيرة ، واصبحت مجاريها عاجزة عن استيعاب فضلات المياه ، فتضررت كثيراً ، وكذلك الحال في الجهات الشرقية التي تسقى عادة بالسيبان ، اي بفضلات المياه التي تنحدر من الاراضي الغربية ، فقد تضاعفت مياهها ، كما ظهرت في بعضها آبار ارتوازية ، وكادت ان تتحول الى مستنقعات ، وقد شرعت وزارة الزراعة في عمل مشروع لهندسة المجاري على أربع مراحل ، يعد من أضخم المشاريع التي قامت به هذه المنطقة الزراعية .

٤ ـ الغوص واللؤلؤ

أما « الغوص » فيعتبر حتى الى عهد قريب أهم مورد اقتصادي للبلاد بعد


مشروع وزارة الزراعة
خارطة مجاري واحة القطيف
خليج كيبوس
مصطلحات عامة
القطيف
الطرق العامة
المدن والقرى
طرق زراعية
السواحل
مجاري مصارف المياه
نخيل
حدود الواحة
المقياس ١/٢٤٠٠٠
الشمال
العوامية
القديح
الجارودية
البحاري
القلعة
التوبي
الخويلدية
أم الحمام

الزراعة ، وموسمه الذي يبدأ من شهر مايو (اذار) حتى نهايـــة شهر سبتمبر (ايلول) كان فيما مضى ينتج محصولا جيداً الى جانب محصولات الزراعـــة ، فتزدهر الاسواق وتنتعش اقتصاديات البلاد ، ويسهم فيه الحضر والبدو على حد سواء ، ومعدل محصوله من استخراج اللؤلؤ الذي كان يقدر بأربعـــة ملايين وستماية الف روبية هندية من الدخل القومي .. كفيل بأن يشجع المشتغلين فيه ويطغي في بعض الأحيان على الاشتغال بالزراعـة ، ففي أيام ازدهاره كاد ان يوجد أزمة من المزارعين ، لان أرباحه المغرية التي تفسح الامل أمامهم تدفعهم الى العزوف عن عمل لا يجنون منه الا فوائد محدودة ، تزيد او تقل حسب زيادة الثمرة او قلتها ، وحسب ارتفاع اسعارها او هبوطها .

وقد كانت تجارة اللؤلؤ في عهد مضى نشطة جداً ، وتجارها[1] يحصلون على ارباح خيالية ، ويؤلفون الطبقة الرأسمالية في البلاد ، فهم الذين يزودون الطبقة العاملة في الغوص بالمال والمونـــة ، وهم الذين يبتاعون محصولاتهم من اللؤلؤ ويصدرونه الى بلاد الهند، فيعودون بالمال الوفير معبأ في صناديق و كأنه بضاعة مستوردة ، فيكدسونه في منازلهم ، ولكن القدر نكبهم اخيراً حينما نشطت زراعة اللؤلؤ الصناعي[2] في اليابان ، فقضي عليهم قضاء مبرمـاً ، حتى أصبح

---

(١) يطلق عليهم محلياً اسم « الطواويش » المفرد طواش .

(٢) الفرق بين اللؤلؤ الصناعي واللؤلؤ الطبيعي .. هو ان الاخـــير ينشأ نشأة حرة ، تتعهده الطبيعة حتى يستكمل نموه ، فهو ينشأ مبدئياً من مكروب يتخلل قلب الصدفـــة التي يستكن فيها الحيوان (المحار) فيقوم الحيوان بافراز مادة براقة يغلف بها المكروب عملا بمبدأ غريزة الدفاع عن النفس ... وهكذا ينشأ اللؤلؤ الطبيعي، فيبحث الغواص عن الصدف ويلتقطه في اعماق البحر ، وبعد استخراجه يقوم بفلقه ويستخرج منه اللؤلؤ . أما اللؤلؤ الصناعي فقد ابتدعه اليابانيون من سكان الشرق الاقصى فعمدوا الى محاكاة الطبيعة بان قاموا بجمع الصدف وتربيته وزرعوه في اماكن خاصة واطلقوا مكروبات لتغزو الحيوانات الصدفية فينتج عن ذلك ←

أغلبهم غارقاً في الديون ، لا يملك شروى نقير ، كما قضى بالتالي على هذا المورد الاقتصادي الهام للبلاد ، واصبحت الطبقة العاملة في الغوص التي كانت ترفل في بحبوحة من الرخاء والبذخ طبقة معدمة بائسة .

ومواطن اللؤلؤ له مواضع معروفة ، مختلفـة العمق تتراوح بين ٢٠ و١٠٠ قدم ، قيل انها تتميز بصلابة ارضها فينبت فوقها الصدف ، فيذهب الغواصون اليها في مراكبهم الشراعية ، وكل سفينة تؤلف جماعة يرأسهم ربانهـــا الذي يسمونه « النوخذه » فهو الذي يعرف تلك المواضع باستخدام البوصلة او بمواقع النجوم اذا جن الليل ، فهو يتمتع بمكانة محترمة وامر مطاع ، وهو الذي يؤتمن على المحصول ، ويقوم ببيع اللؤلؤ[1] ويقسم ثمنه فيما بينهم حسب فريضة متفق عليها بعد خصم تكاليف نفقتهم ، فيأخذ الخمس ، ويعطي مما تبقى بنسبة ٦٠ ٪ للغواص و٤٠ ٪ للسيب كما يعطي للرصيف نصف ما يعطي للسيب .

واعمال الغوص موزعة عليهم حسب اختصاصهم ، فمنهم الغواص وهو الذي يقوم بالبحث عن الصدف في أعماق البحر[2] ومنهم السيب وهـو الذي يرعى

← وجود لؤلؤ في اقل جهد ، مما ادى الى كثرته وهبوط سعره آخر الامر ، فأثر ذلك على اسعار اللولو الطبيعي لأن تكاليفه اقل ، ويقول الخبراء .. ان اللؤلؤ الطبيعي ما زالت له مميزاته على الرغم من مزاحمة اللؤلؤ الصناعي له في الاسواق العالمية .

(١) جرى اصطلاحهم في تبويب اللؤلؤ حسب احجامه ، فالصغير يسمى قماشاً ، واحدته قماشة ، والوسط يسمونه « دانه » والكبير يسمونه جوهرة .

(٢) ما زالت الطريقة البدائية تستعمل في استخراج اللؤلؤ كما كانت في الايام الماضيــة ، فالغواص يشد على أنفه شيئاً يشبه الملقاط يسمونه « فطاما » ليمنع التنفس اثناء نزوله في الماء كما يضع في احد رجليه شيئاً ثقيلا ليسرع في النزول الى قعر البحر ، ويصحب معه زنبيلا ليجمع فيه الصدف فاذا انتهى عمله او ضاق نفسه جذب الحبل ليسرع السيب في اخراجه من الماء .

الغواص ويشرف على خدمته اثناء نزوله في البحر ويتلقى الاشارة منه ، ومنهم الرضيف ، وهو الذي يساعد السيب ويشرب على خدمة البحار، ومنهم التبّاب وهو الذي يكون في دور التمرين على العمل ، ومنهم النهّام ، وهو الذي يقوم بالترفيه عنهم ، فيشيع في جوهم نوعاً من البهجة والمرح بأغانيه ومواويله لينسيهم بعض المتاعب والمشاق التي يلقونها اثناء ادائهم لعملهم .

وقد حفظ التاريخ لنا في رحلة ابن بطوطة صورة وصفية للغواصين واوضاعهم في ذلك العهد ، فذكر بعد وصفه لعملية الغوص التي لا تخلو من المبالغة [١] بان السلطان يأخذ خمس المحصول من اللئالي ، والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب ، واكثرهم لهم ديون على الغواصين ، فيتقاضون حقوقهم والباقي يقتسمونه فيما بينهم . واوضاعهم في ذلك العهد تكاد لا تختلف عنها في الوقت الحاضر لولا ما يحصلون عليه من أرباح طائلة تغطي الديون في أيام مضت ، فاكثرهم كانوا يعتمدون على تجار اللؤلؤ في تزويدهم بتكاليف نفقة الموسم ، وحين يحصلون على أرباحهم لا يعرفون قيمة الادخار ، فيبذرون ما يقع تحت أيديهم [٢] .. لذلك حين ولى عصرهم الذهبي ، وهبطت قيمة اللؤلؤ الطبيعي تراكمت عليهم الديون عاماً بعد عام . وأصبح المحصول في بعض السنين لا يسدد تكاليف نفقة الموسم .

---

(١) من المبالغة وصفه للغواصين بأن فيهم من يصبر في الماء الساعة والساعتين .

(٢) يحكى ان العاملين في الغوص كانوا اذا نزلوا السوق لشراء بعض الحاجات يحملون معهم حفنة من النقود ، فاذا ابتاع احدهم شيئاً وضع حفنة النقود أمام صاحب الحانوت ويقول له خذ حقك دون ان يحاسبه .

٥ ــ الثروة المائية والاسماك

ويوجد في مياه هذه المنطقة ثروة كبرى من الأسماك الى جانب اللؤلؤ حتى بالقرب من السواحل ، فهي متوفرة فيها على اختلاف أنواعها ، وعلى الرغم من اتباع الطرق التقليدية في الصيد .. فهي مـا زالت تزود السكان بحاجتهم منها حيث يعتمدون عليها اكثر من لحــوم الماشية ، والصيادون يتمتعون بحرية في الصيد دون ان تقيدهم نظم ، وتحد من حريتهم قوانين .

وهناك عدة طرق تقليدية للصيد.. أهمها « الحضرة » وهي تصنع من سعف النخل ، تبنى على شكل بيوت مفتوحة من الجهة التي تقابل الساحل ، ويغمرها الماء اثناء المد ، فاذا كان الجزر اتجهت الاسماك الى المياه العميقــة فتصادف في طريقها حواجز أبنيــة « الحضرة » فلا تستطيع الخروج ، وتبقى حتى يجيء الصيادون اليها فيلتقطونها. وهناك نوع من الشباك يشبه قطعة كبيرة من القماش، ذات فتحات واسعة ، تنسج من القطن وتصنع محلياً ، وتوضع بأطرافها احجار تسمى « الشقة » تنشر فوق الماء فترسب الى القعر ثم يجذبها الصياد من وسطها ، فيقع فيها كل ما يصادفها ، وهذه الشبكة تستعمل خاصــة لصيد « الروبيان » الموجود بكثرة في السواحل الطينية في هذه المنطقة .

ويوجد الى جانب الروبيان أنواع أخرى من السمك متنوعة الاشكال منها الصغير والكبير ، أشهرها الصافي والسبيطي والكنعد والبدح والحمام والهامور والشعري والميد والحيسون، وهناك أنواع كثيرة لا تحصى أسماؤها وربما اختلفت تسميتها بين بلدة وأخرى ، وهذه الثروة الهائلة من الأسماك لو استغلت في الصيد

على الطرق الحديثة وأنشئت مصانع لتعليبها وتصديرها لأضافت مورداً ثابتاً من الدخل القومي الى موارد البلاد الاقتصادية .

٦ ـ الصناعة والبترول

اكتسبت هذه المنطقة شهرة في الاعصر الخالية ببعض الصناعات ، كالرماح الخطية والثياب الظهرانية ، التي اندثرت منذ زمن بعيد ، ولم يبق فيها شيء يذكر في عالم الصناعة قبل ربع قرن مضى سوى بعض الصناعات اليدوية التي تستهلك محلياً ، كأنواع النسيج البسيطة وصناعة الحصر والادوات الطينية التي تستهلك - في الاغلب - محلياً ، والا بعض الاعمال اليدوية البسيطة التي يصنعها الحدادون كالمساحي والمناجل من الادوات التي تستخدم في الفلاحة .

وكانت فاتحة ازدهار الصناعة في هذه المنطقة هي اكتشاف البترول ، فقد أدى تدفقه الى انقلاب كبير في اوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية وأدى كذلك ، الى تفتحها على العالم الخارجي ، ثم الى نشوء صناعات مستحدثة وفقاً لمتطلبات التطور ومقتضيات العمران ، فأنشئت مصانع الطابوق ومصانع البلاط والموزاييك وورشات النجارة والحدادة والخراطة ، كما أنشيء مصنع للاسمنت بالقرب من الاحساء ، ومعمل آخر لانتاج الغازات الصناعية بالقرب من الظهران ، ومصنع آخر لانتاج أكياس الورق والنايلون ومعمل لصناعة الاحذية بالدمام ، وهناك دوافع نشطة لتأليف شركات وانشاء معامل لسد بعض المتطلبات التي اقتضاها التطور الحديث ، وان كان الباعث هو الربح الوفير الذي تدره الشركات على مموليها قبل ان تكون هناك حوافز أخرى خاضعة الى الاقتصاد الموجه .

وتقف صناعة البترول في قمة الاقتصاد الوطني في الوقت الحاضر ، فهي الشريان الذي يمد مجتمعنا المتطور بطاقات من الحيوية والنشاط ، وهي وحدها التي قامت عليها دعائم نهضتنا الحديثة ، وأدت الى خلق روافد جديدة من السكان فاتسع العمران ونشأت مدن مستحدثة بالقرب من المواضع التي اكتشفت فيها حقول الزيت .

ويمكننا ان نرجع مذاكرتنا قليلاً الى الوراء ، أي حوالي ربع قرن تقريباً ، حينما قامت اول بعثة جيلوجية للتنقيب عن الزيت عام ١٩٣٣ فنزلت بميناء الجبيل ، لنرى كيف كانت هذه الشواطىء الحالمة يسيطر عليها الهدوء والسكون وتلك الرمال اللاهثة تخط اسطورة الابدية فوق أديم الصحراء ، فلم تع سماؤها غير أغاني الرعاة تتصادى في الاودية ، ولم يكن أحد يدري ما يخبىء القدر لهذه المناطق الصحراوية التي تبدو - وكأن الحياة متعذرة فيها - بأنها ستكون قبلة العالم فيما بعد ، وانها ستغدو مهوى الافئدة التي يسيل لعابها حول بريق الذهب الاسود ، وانها ستزخر بروافد متنوعة من السكان من جميع الامم والاجناس .

لقد بدأت قصة استثمار صناعة الزيت في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٢ عندما تقدمت شركة استاندرد اوف كاليفورنيا الى جلالة الملك الراحل باقتراح طلبت فيه السماح لبعثتها الجيلوجية بالقيام باعمال المسح التمهيدي في المنطقة الشرقية ، كما اقترحت دخولها في مفاوضات مع حكومة صاحب الجلالة للحصول على امتياز اذا وجد الجيلوجيون دلائل مشجعة تبرر مضيهم في أعمال التنقيب ، غير ان الحكومة فضلت مناقشة موضوع اتفاقية الامتياز قبل البدء بأي عمل جيلوجي .

ولقد كانت بوارق النجاح مشجعة لشركة استاندرد اوف كاليفورنيا

الاميركية بعد حصولها على امتياز في جزيرة البحرين ونجاحها في اكتشاف الزيت.. بان تقوم بعمل جدي في الحصول على امتياز للتنقيب في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية التي لا تبعد عن جزيرة البحرين باكثر من ٢٥ ميلاً، فاستعانت بالمستر جون بريدجر فلبي[١] لصلته بالعاهل السعودي، وفي نفس الوقت انتدبت الشركة الى جده ممثلها لويد ن. هاملتون يساعده المهندس كارل تويتشل الذي سبق له العمل في البحث عن مصادر الماء والمعادن في جزيرة العرب والذي كان له الفضل الاكبر في أعمال مناجم الذهب التابعة لنقابة التعدين العربية السعودية في الحجاز.

وتشاء الصدف ان يكون هناك السير ستيفن همسلي مدير شركة بترول العراق الذي جاء لنفس الغاية، وفقاً لتنفيذ مشروع الخط الاحمر الذي رسمه الشركاء المعنيون في شركة بترول العراق، وقد استغل العاهل السعودي الموقف في احتدام المنافسة بين الجانبين فأملى شروطاً من جملتها دفع مبلغ مائة الف جنيه استرليني ذهب كسلفة على العائدات التي ستستحق فيما بعد اذا اكتشف البترول تدفع فوراً، غير ان الشركة البريطانية ترددت في دفع هذا المبلغ الضخم لانها كانت غير واثقة من وجود البترول بينما الشركة الامريكية جازفت فاقدمت، حيث أعلنت بأنها وضعت نصف هذا المبلغ في أحد المصارف تحت تصرف العاهل السعودي، وبذلك كسبت الجولة، وفي ٤ صفر ١٣٥٢ الموافق ٢٩ مايو ١٩٣٣ وقعت اتفاقية الامتياز بين الجانبين، وقعها معالي وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان عن حكومة المملكة العربية السعودية ووقعها ل. ن. هاملتون عن شركة استندارد اويل اوف كاليفورنيا.

---

(١) ضابط انجليزي سياسي قدم من الكويت عام ١٩١٧ الى السعودية والتحق بخدمة العاهل السعودي الراحل فأعلن اسلامه وتسمى بالحاج عبدالله فقام بدراسات وافية عن شبه الجزيرة العربية، ولكنه ابعد في عهد جلالة الملك الحالي في ١٧ نيسان ١٩٥٥.

أما اتفاقية الزيت الأولى فهذا نصها[1] : عقدت هذه الاتفاقية بـين معالي وزير مالية المملكة العربية السعودية بالنيابة عن الحكومة العربيـــة السعودية المسمى فيما يلي (بالحكومة) فريقاً اول ، وبين ل. ن. هاملتون نيابة عن شركة استندرد اويل اوف كاليفورنيا المسمى فيما يلي (بالشركة) فريقاً ثانياً ، وقد تم الاتفاق بهذه بين الحكومة والشركة على الوجه الآتي :

المادة الاولى : تمنح الحكومة للشركة بمقتضى هذه الاتفاقية ووفقاً للشروط الآتي بيانها ، والخاصة بالمساحة المحدودة أدناه الحق المطلوب لمـدة ستين سنة ، تبتدىء من تاريخ سريان مفعولها للتحري والتنقيب والحفر واستخراج ومعالجة وصنع ونقل ومعاملة وأخـذ وتصدير البترول والاسفلت والنفط والشحومات الطبيعية والشمع الكريه والسوائل الكربونية الاخرى ومستخرجات جميع هذه المحصولات من المفهوم على كل حال ان هذا الحق لا يتضمن منح الحق المطلق لمبيع المنتوجات الوسخة والمكررة في داخل المنطقة المشروحـــة أدناه او في داخل المملكة العربية السعودية - .

المادة الثانية : ان المنطقة التي يشملها الحق المطلق المشار اليه في المادة الاولى من هذه الاتفاقية متفق عليها بين الطرفين المتعاقدين .

المادة الثالثة : تقدم الشركة للحكومة في خلال المدة المتفق عليها في هـذه الاتفاقية قرضاً مبدئياً متفقاً عليه .

المادة الرابعة : تدفع الشركة للحكومة سنوياً مبلغاً متفقاً عليه لاجـــل

---

(١) نشرت في الجريدة الرسمية « ام انقرى » في عددهـــا ٤٤٩ الصادر في ٢٨ ربيع اول ١٣٥٢ هـ - ٢١ يوليو ١٩٣٣ .

السهولة يعبر عن هذه الدفعة بلفظة (ايجار سنوي) ، وهذا الايجار يدفع مقدماً. ان ايجار اول سنة سيدفع في خلال المدة المتفق عليها في المادة الخامسة عشرة من هذه الاتفاقية ، وبعد ذلك وما زالت هذه الاتفاقية غير ملغـــاة فان الايجار السنوي يظل مستحق الدفع في رأس كل سنة اعتباراً من تاريخ سريان مفعول هذه الاتفاقية ويجب ان يدفع خلال ثلاثين يوماً من تاريخ بدء كل سنة ، على انه لدى اكتشاف الزيت بكميات تجارية لن يطالب بأي ايجارات سنوية اخرى ، كما انها لن تكون واجبة الدفع .

المادة الخامسة : لدى تاريخ سريان مفعول هذه الاتفاقية تشرع الشركة في عمل الخطط والتحضيرات للشغل الجيولوجي وترتيب العمل ليستفاد من الطقس البارد للقيام بالاعمال الحقلية الفعالة ، ويصرف وقت الحر في الاعمال المكتبية كجمع المعلومات والتقارير ، وفي أي حالة من الاحوال لن يتأخر الابتـــداء بالعمل الحقلي الحقيقي عن آخر سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، وهـــذا العمل سيواصل بكل اجتهـــاد ومثابرة الى ان تبدأ العمليات المتعلقة بالحفر او الى ان تنتهي الاتفاقية .

المادة السادسة : خلال تسعين يوماً من تاريخ الشروع في عمليات الحفر تتخلى الشركة للحكومة عن بقع يكون قد تقرر لديها اذ ذلك عدم المثابرة على ارتيادها او عدم استعمالها بشكل آخر له علاقة بهذا المشروع ، وكذلك تتخلى الشركة للحكومة من آن لآخر مدة هذه الاتفاقية عن بقع أخرى من المنطقة المشمولة التي قد تكون قررت الشركة آنئذ عدم المضي في استكشافها او تنقيبها او عدم استعمالها فيما له علاقة بهذا المشروع . ان جميع البقع التي تكون قد تخلت الشركة عنها ستطلق من قيود وشروط هذه الاتفاقية انما يكون للشركة الحق الدائم في استعمال هذه الاراضي المتخلية عنها في تسهيل النقـل والمواصلات طول مـدة

الاتفاقية ، وعلى ان لا يكون لهذا الاستعمال إلا قليلاً من المداخلة في الشكل الآخر الذي يمكن ان تستعمل به هذه الاقسام التي تخلت عنها الشركة .

المادة السابعة : تبدأ الشركة في العمليات المتعلقة بالحفر حالما يكون قد وجد الموقع الموافق لها ، وفي أي حال من الاحوال اذا لم تكن قد باشرت الشركة عمليات الحفر خلال ثلاث سنوات اعتباراً من آخر شهر سبتمبر ١٩٣٣ بشرط مراعاة أحكام المادة الرابعة والعشرين من هذه الاتفاقية يجوز حينئذ للحكومة أن تنهي هذه المقاولة ، وعندما تبدأ الشركة باعمال الحفر يجب المثابرة النشيطة عليها حتى تكون قد اكتشفت زيوتاً بكميات تجارية ، والى ان تكون قد انتهت هذه الاتفاقية ، واذا قصرت الشركة عن اعلان اكتشاف الزيت بكميات تجارية في تاريخه فان التاريخ الذي سيحسب انه صار اكتشاف الزيت بكميات تجارية فيه سيكون هو التاريخ الذي تكون قد اكملت الشركة به حفر بئر أو آبار واختبرتها فوجدتها قادرة على اخراج ما لا يقل عن الفي طن من الزيت الخام في اليوم لمدة ثلاثين يوماً متتابعة وفقاً للتعامل المعتبر من الاراضي الآتية التي هي من الدرجة الاولى ، أن العمليات المتعلقة بالحفر تشمل طلب الأدوات والأجهزة وشحنها الى البلاد العربية السعودية ، وتتضمن عمل الطرقات والخيمات والأبنية والتركيبات والمواصلات وإقامة وتشغيل الآلات والأجهزة ووسائط حفر الآبار .. الخ ..

المادة الثامنة : لدى اكتشاف الزيت بكميات تجارية تسلف الشركة للحكومة سلفة متفق عليها ، وعقب ذلك بسنه تسلفها مبلغاً آخر . أن تاريخ تقديم السلفة الأولى يكون هو اكتشاف الزيوت بكميات تجارية كما هو منصوص عليه في هذه الاتفاقية ، ويكون تاريخ تقديم السلفة الثانية بعد مرور سنة من

ذلك التاريخ ، وفي كلتا الحالتين تعطى للشركة مهلة ستين يوماً عقب تاريخ الاستحقاق لكي تقدم السلفة في خلالها .

المادة التاسعة : بما انه من المتفق عليه أن الايجار السنوي سيدفع لغاية تاريخ اكتشاف الزيت بكميات تجارية ، وبما انه من المتفق عليه أيضاً أن يكون دفع هذا الايجار السنوي مقدماً ، فمن الجائز أن يكون الايجار السنوي الاخير المدفوع قبل تاريخ اكتشاف الزيت بكميات تجارية شاملا مدة متخطية تاريخ الاكتشاف هذا ، وعليه فانه ان كانت هذه المدة تساوي خمس السنة ٥/١ أو تزيد عنها فان السنة التي تصيبها من مبلغ الايجار السنوي المطابقة تكون بصفة سلفة على الحكومة .

المادة العاشرة : حالما يصبح مستطاعاً ، يعني انـــه يعطى للشركة وقت معتدل من أجل طلب وشحن أدوات ومعدات اضافية الى البـــلاد العربية السعودية والشروع بعمل اضافي ، بعد تاريخ اكتشاف الزيت بكميات تجاريـة تواصل الشركة عمليات الحفر باستعمالها جهازين على الأقل من الادوات ويستمر السير في هذه العمليات بكل نشاط ومثابرة حتى تكون قـد حفرت المنطقة المقررة وفقاً لما يجري في الأراضي الزيتية التي هي من الدرجـة الاولى حتى تنتهي الاتفاقية .

المادة الحادية عشرة : تدفع الشركة للحكومة ريعاً على جميع الزيت الخام المستخرج والمدخر الذي يسيل في حوض الخزان الحقلي بعد أن ينزل منه :

أولاً : المياه والمواد الغريبة .

ثانياً : الزيوت التي تلزم للأعمال العادية في مؤسسات الشركة في المملكة العربية السعودية .

ثالثاً : الزيوت التي تلزم لصنع كميات البنزين والغاز التي ستعطى للحكومة مجاناً في كل سنة وفقاً للمادة السادسة عشرة من هذه الاتفاقية .. أن قيمة الريع عن كل طن صافي من الزيت الخام أما (ا) أربعة شلنات ذهبية أو ما يعادلها أو (ب) بحسب اختيار الشركة وقت دفع كل قسط من أقساط الريع دولار واحد من عملة الولايات المتحدة الامريكية على الطن الصافي الواحد من الزيت الخام ، ويزاد على الدولار أي فرق يمكن أن يكون موجوداً في سعر القطع بين الكمية التي تعادل الاربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع خلال الثلاثة الاشهر التي تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة . مثال ذلك أن كان معدل سعر القطع عبارة عن دولار وأربعة عشر سنتاً من عملة الولايات المتحدة الامريكية لكل أربعة شلنات ذهبية (أي قيمة الجنيه الانكليزي الذهب أصبحت مساوية خمسة دولارات وسبعين سنتاً أمريكياً) فان قيمة الربح عن الطن الصافي الواحد من الزيت الخام تصبح دولاراً واحداً وأربعة سنتات من عملة الولايات المتحدة .

المادة الثانية عشرة : اذا كانت الشركة تستخرج وتدخر وتبيع أي نوع من الغازات الطبيعية تدفع للحكومة ريعاً مساوياً لثمن ١/٨ حاصلات المبيع من هذه الغازات الطبيعية ، من المفهوم على كل حال أن الشركة لن تكون مكلفة بانتاج وادخار وبيع أو تصريف أي غاز طبيعي ، ومن المفهوم أيضاً أن الشركة لن تكون مكلفة بدفع أي ريع من الغازات التي قد تستعملها في الاعمال العادية في مؤسساتها في المملكة العربية السعودية .

المادة الثالثة عشرة : يحق للحكومة بواسطة مندوبين عنها مفوضين على الاصول ان تفتش وتدقق الاعمال التي تقوم بها الشركة بموجب احكام هذه الاتفاقية ، وذلك اثناء ساعات العمل العادية ، وأن تراجع وتحقق كميات

الانتاج . تسير الشركة في قياس كميات الزيت المستخرجة التي تدخر وتسيل من مستودعات الخزن الحقلي طبقاً للعادة المتبعة في الحقول الزيتية التي هي من الدرجة الأولى ، وتحفظ بها حسابات صادقة صحيحة ، وكذلك الحال في شأن الغازات الطبيعية التي يمكن أن تستخرجها وتدخرها وتبيعها ، ويحق لمندوبي الحكومة المفوضين على الأصول أن يطلعوا في جميع الأوقات الملائمة على الحسابات . وتسلم الشركة للحكومة وذلك في بحر ثلاثة أشهر بعد ختام نصف كل سنة ابتداء من تاريخ اكتشاف الزيت بكميات تجارية خلاصة من حسابات نصف تلك السنة ، وبياناً بمبلغ الريع المستحق للحكومة عن نصف تلك السنة ، وعلى الحكومة ان تعامل هذه الحسابات والبيانات معاملة سرية ما عدا الارقام التي ترى الحكومة حاجة الى نشرها لأغراض مالية . يدفع الريع المستحق للحكومة في نهاية كل نصف سنة ، ابتداء من تاريخ اكتشاف الزيت بكميات تجارية في خلال ثلاثة أشهر من نهاية نصف تلك السنة .

وفي حالة وجود أي اختلاف يتعلق بمبلغ الريع المستحق عن نصف تلك السنة تسلم الشركة للحكومة ذلك الجزء من مبلغ الريع الذي ليس عليه اختلاف في خلال المدة المشروط بها أعلاه ، وبعد ذلك تسوى مسألة الخلاف القائم باتفاق الطرفين » واذا لم يحصل الاتفاق على هذا الشكل فيسوى الخلاف بواسطة التحكيم – كما هو منصوص عليه في هذه المقاولة . يجري دفع أي مبلغ يتقرر دفعه للحكومة بنتيجة هذه التسوية خلال ستين يوماً من تاريخ تقريرها .

المادة الرابعة عشرة : من المتفق عليه أن جميع الدفعات الذهبية المنصوص عليها في هذه الاتفاقية سواء كانت جنيهات أو شلنات ذهبية ستسحب على قاعدة الجنيه الانكليزي الذهب ، بحسب وزنها ونقاوتها في وقت استحقاق الدفعات. ومن المتفق عليه أيضاً انه يمكن دفع مقابلة العملة الذهبية المنصوص عليها في هذه

المقاولة سواء كانت جنيهات او شلنات ذهبية بالدولار الامريكي او الجنيه الاسترليني ، ومن المتفق عليه ايضاً ان دفع ما يقابل قيمة القرض الاول وايجار السنة الاولى بالعملة الاسترلينية او بالدولار الامريكي.. يكون بحسب سعر القطع يوم دفع تلك المبالغ وما عدا ذلك فان مقابل الجنيهات والشلنات الذهبية التي يستحق دفعها بموجب هذه المقاولة بالعملة الاسترلينية او بالدولار الامريكي ، يجري حسابه على أساس متوسط سعر القطع خلال الثلاثة الاشهر التي تسبق تاريخ دفع ذلك المقابل مباشرة .

المادة الخامسة عشرة : ان جميع الدفعات المنصوص عليها في هذه الاتفاقية والتي ينبغي دفعها للحكومة .. يكون دفعها لها أما رأساً او بايداعها باسمها في أحد البنوك الذي تعينه الحكومة كتابياً ، وللحكومة ان تغير هذا البنك من وقت لآخر على ان تخبر الشركة بذلك كتابة لكي يكون للشركة متسع من الوقت من اجل دفع دفعات مقبلة للبنك الجديد ، من المتفق عليه ان للحكومة ان تخصص ذلك البنك أما في البلاد العربية السعودية او في الولايات المتحدة الامريكية او في انكلترا او هولندا على ان لا يخصص اي بنك في البلاد العربية السعودية الا اذا كانت له مكاتب في الولايات المتحدة الامريكية او في انكلترا او هولندا الذي بواسطته يمكن تحويل النقود الى البلاد العربية السعودية ، وفي حالة ما اذا دفعت الشركة للحكومة دفعة على الاصول او اودعت المبلغ الخاص بها في احد البنوك او اذا دفعت المبلغ الى مكاتب بنك لأجل تحويله الى البلاد العربية السعودية تصبح الشركة خالية من كل مسؤولية تتعلق بتلك الدفعة . من المتفق عليه ان يجري دفع الدفعة الاولى المتفق عليها (التي هي عبارة عن القرض المبدئي وايجار السنة الاولى) خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ سريان مفعول هذه الاتفاقية الى مكاتب الشركة التجارية الهولندية بجدة «البلاد العربية السعودية» الموجود في نيويورك او لندن لأجل نقلها على نفقة الشركة بدون تأخير للشركة التجارية المشار اليها لتسليمها للحكومة مقابل حصولها من الحكومة على سند

صحيح عن هذه الدفعة ، واذا لم تدفع هذه الدفعة الاولى ذهباً فانها ستدفع بالجنيهات الاسترلينية بحسب سعر القطع في الوقت الذي تدفع فيه الشركة تلك الدفعة الى تلك المكاتب .

المادة السادسة عشرة : بعد اكتشاف الزيت بكميات تجارية بمدة مستطاعة تختار الشركة جهة في داخل البلاد العربية السعودية لانشاء معمل لصنع كمية كافية من البنزين والغاز تكفي الاحتياجات العادية للحكومة على شرط ان تكون طبيعة الزيت الخام الموجود مساعدة على صنع هذه الحاصلات على أسس تجارية ، وذلك باستعمال الطرق العادية في التكرير ، وعلى شرط ان تكون طبيعة الزيت المستثمرة كافية للغرض ، من المفهوم ان الاحتياجات العادية للحكومة لن تشمل البيع من جانبها في داخل البلاد او خارجها ، تشرع الشركة في انشاء هذا المعمل بعد اتمام الترتيبات الاولية الضرورية ، وحالما تكون قد استحصلت على موافقة الحكومة على الموقع الذي تقترحه ، وفي خلال كل سنة تلي تاريخ انجاز هذا المعمل ستقدم الشركة للحكومة بدون مقابل كمية من البنزين تبلغ مايتي الف جالون امريكي غير معبئة ، وكمية من الغاز تبلغ مائة الف جالون امريكي غير معبئه ، من المفهوم انه لن يكون من شأن الوسائط التي ستتخذها الحكومة في استلام هذه المقادير ان تعرقل او تعرض أعمال الشركة للخطر .

المادة السابعة عشرة : تستخدم الشركة على نفقتها الخاصة العدد اللازم من الحرس والادلاء بغية المحافظة على مندوبيها ومخياتها ومنشآتها . أما الحكومة فتعد بمساعدة الشركة مساعدة كلية من تقديم أحسن الجنود والرجال الموجودين عندها وتكلفهم بمسؤولية القيام بهذا العمل ، وتقدم للشركة كل محافظة معقولة باجور لا تزيد عن الاجور العادية التي تدفعها الحكومة او اي اناس آخرين

مقابل خدمات مماثلة . من المفهوم ان مصاريف هذه الخدمات تدفعها الشركة للحكومة .

المادة الثامنة عشرة : مقابل الالتزامات التي أخذتها الشركة على نفسها بموجب هذه الاتفاقية ولقاء الدفعات المطلوبة من الشركة من هذه الاتفاقية تعفى الشركة والمشروع من جميع الضرائب المباشرة والغير المباشرة ومن المكس والعوائد والأجور والرسوم (بما فيه الرسوم الجمركية) عن الصادر والوارد . ومن المفهوم ان هذه الميزة لا تشمل مبيع المحصولات في داخل البلاد ولا احتياجات افراد موظفي الشركة الشخصية ، ولا يجوز للشركة ان تبيع في داخل البلاد اي شيء من الادوات الواردة لها ، والتي لم يستحصل عنها رسم الجمرك بدون ان تكون قد دفعت اولا ما يستحق عليها من الرسوم الجمركية .

المادة التاسعة عشرة : من المفهوم طبعاً ان للشركة الحق في استعمال جميع الوسائط والتسهيلات التي تعتبرها ضرورية او موصى بها لأجل مساعدتها على التمتع بالحقوق الممنوحة لها بموجب هذه الاتفاقية وتمكينها من القيام باغراض هذا المشروع التي تشمل ضمن أمور أخرى هي : بناء ، واستعمال الطرقات ، المخيمات ، الابنية ، التراكيب ، جميع المواصلات ، وان تقيم وتشغل الآلات والاجهزة والوسائط التي لها علاقة بحفر الآبار او بالنقليات او بالتخزين او بمعالجة او بصنع او بتعامل او بتصدير البترول ومنتوجاته او بما يتعلق بالمخيمات والابنية ومساكن موظفي الشركة ، وللشركة الحق بان تبني وتستعمل أحواض وخزانات وصهاريج وأوعية ، ولها ان تنشيء مرافيء وأرصفة وخطوط للتحميل البحري ونقلها وجميع التسهيلات المينائية الاخرى . وان تستعمل جميع وسائط لنقل الموظفين والاجهزة او البترول ومستخرجاته . ومن المفهوم على كل حال ان استعمال الطيارات في داخل البلاد سيكون موضوع الاتفاقية منفصلة لوحدها . للشركة الحق ان تستثمر وتأخذ وتستعمل المياه كما انه يكون لها الحق ايضاً ان

تأخذ وتستعمل أي مياه خاصة للحكومة وذلك لأجل ادارة الأعمال المتعلقة بالمشروع على ان لا يلحق عملها هذا ضرراً بالري ولا يحرم الاراضي او البيوت او مورد سقي المواشي من الماء الكافي من حين لآخر . وللشركة ان تأخذ وتستعمل ما يقتضي لاعمالها المنصوص عليها في هذا المشروع ما كان خاصاً بالحكومة من المحصولات الطبيعية الاخرى كالتراب السطحي والخشب والحجارة والكلس والحصى وما شابه هذه المواد ، ويكون لموظفي الحكومة ووكلائها (في أثناء القيام باعمالهم الرسمية) الحق في استعمال وسائط المواصلات والنقل التي تؤسسها الشركة على شرط انه لا يعيق او يعرقل ذلك الاستعمال اعمال الشركة المندرجة ضمن هذه الاتفاقية ، وان لا يلحق بالشركة او يكبدها اي نفقات مادية . ان استعمال وسائط النقل والمواصلات الخاصة بالشركة في اوقات الطوارىء الوطنية سيجيز للشركة تعويضاً عادلاً عن أي خسارة تتكبدها من جراء ذلك الاستعمال ، أما عن ضرر يحصل في وسائط الشركة او في معداتها وانشاآتها او عرقلة او اعاقة اعمالها .

المادة العشرون : يدير المشروع المنصوص عليه في هذه الاتفاقية اشخاص امريكيون وهم سيتخذون على قدر الاستطاعة والامكان رعاما الحكومة العربية السعودية، وطالما بامكان الشركة ايجاد موظفين لائقين من رعايا الحكومة العربية السعودية فانها لا تستخدم رعايا اي حكومات أخرى ، أما معاملة الشركة للعمال فانها تكون خاضعة للقوانين السارية المفعول في البلاد التي تطبق عادة على مستخدمي اي مشاريع صناعية أخرى .

المادة الحادية والعشرون : تحتفظ الحكومة لنفسها بحق التحري على المواد والمنتجات الأخرى خلاف المنصوص عليها في هذه الاتفاقية واستحصالها،وذلك في داخل المنطقة المشمولة بهذه الاتفاقية الا ما كان منها من الاراضي التي تشغلها آبار وانشاءات الشركة ، ويشترط في ذلك دائماً ان هذا الحق الذي تحتفظ به

الحكومة سيمارس بطريقة لا تخل بحقوق الشركة الممنوحة ولا تعرض عملياتها للخطر ، ويشترط على الحكومة في ذلك أيضاً أنها تدفع للشركة تعويضاً عادلاً عن كل ضرر يلحق بالشركة من جراء ممارسة هذه الحقوق التي تحتفظ بها، وعند منح هذه الحقوق التي احتفظت بها الحكومة لنفسها فان صاحب الامتياز يكون مقيداً بنصوص هذه المادة .

المادة الثانية والعشرون : تعوض الحكومة الشركة في الحصول من مالك الارض على الحقوق السطحية من الأراضي التي ترى الشركة ضرورة لاستعمالها في أعمالها المتعلقة بالمشروع على شرط ان تدفع الشركة لشاغل الارض بدل تخليه عن استعمال تلك الأراضي أما المبلغ الذي تدفعه له فيجب ان يكون عادلاً ومبنياً على أساس الفائدة التي يستحصلها شاغل الأرض منها ، تقدم الحكومة للشركة مساعدة معقولة في حالة وقوع صعوبات ناشئة عن الحصول على حقوق شاغل سطح الأرض ، وبالطبع لا يحق للشركة ان تحصل على المواقع المقدسة ولا ان تشغلها .

المادة الثالثة والعشرون : تقدم الشركة للحكومة صوراً من جميع الخرايط التوبوغرافية والتقارير الجيلوجية بشكلها النهائي المصادق عليها من قبل الشركة العائدة الى ارتياد واستغلال المنطقة المشمولة بهذه الاتفاقية ، وكذلك تقدم الشركة للحكومة خلال أربعة أشهر من انتهاء كل سنة (اعتباراً من تاريخ اكتشاف الزيت بكميات تجارية) تقريراً يبحث في أعمالها المنصوص عليها في هذه الاتفاقية في تلك السنة على أن تعامل الحكومة هذه الخرايط والتقارير معاملة سرية .

المادة الرابعة والعشرون : ان أي قصور أو اغفال يتأتى من جانب الشركة في القيام بأي شرط من شروط هذه الاتفاقية وانفاذ نصوصها لا يخول الحكومة

حق طلب التعويض من الشركة أو حق اعتبار ذلك نقضاً لهذه الاتفاقية متى كان هذا القصور أو الاهمال ناشئاً عن القوة القاهرة . اذا تأخر انجاز أي شرط أو نص من هذه الاتفاقية بسبب القوة القاهرة فعندئذ يجب أن يضم مادة التأخير مع المدة التي قد تلزم لاصلاح أي ضرر حاصل في أثناء هـــذا التأخير الى المدة والشروط المحدودة في هذه الاتفاقية .

المادة الخامسة والعشرون : للشركة ان تنهي هذه الاتفاقيـة في أي وقت شاءت ، وذلك بان تعطي الحكومة قبل عملها ذلك بثلاثين يوماً انذاراً خطياً أو ببرقية على شرط ان يؤكد الانذار التلغرافي بتحرير حين انهاء هذه الاتفاقية بواسطة تقديم الانذار المذكور أو بواسطة أي باعث آخر تصبح كل من الحكومة والشركة بعد ذلك غير مقيدة بأي التزامات أخرى بموجب هذه الاتفاقيـــة عدا ما يأتي :

١ – تصبح ممتلكات الشركة الغير المنقولة مثل الطرقات وآبار المياه والزيت مع مواسيرها والمباني الثابتة والتراكيب .. الخ ملكاً مجاناً للحكومة .

٢ – تعطي الشركة للحكومة مهـلة لابتياع ممتلكات المشروع المنقولة في البلاد العربية السعودية بقيمة معتدلة متساوية لقيمة بدلات تلك الممتلكات في ذلك الوقت مع تنزيل قيمة ما نقص بالاستعمال ، ان أي اختلاف ينشأ بشأن تعيين هذه القيمة المعتدلة سيسوى بطريقة التحكيم بنفس الطريقـــة المنصوص عليها في المادة الثامنة والعشرين من هذه الاتفاقية ، واذا رفضت الحكومة أو عجزت عن مشترى تلك الممتلكات المنقولة في خلال شهرين من تاريخ انهاء هذه المقاولة ، واذا عجزت الحكومة عن تقديم القيمة في بحر ثلاثين يوماً بعد تقريرها اما بالاتفاق عليها أو بواسطة التحكيم فيكون للشركة الحق في نقل ممتلكاتها تلك في بحر ستة أشهر .

المادة السادسة والعشرون : في حالة نقض الشركة بتعهدها بتقديم القرض الثاني المتفق عليه في هذه الاتفاقية أو تعهدها بالبدء بالأعمال المتعلقة بالحفر خلال المدة المنصوص عليها أو تعهدهـا بتقديم السلفتين المتفق عليهما كما هو منصوص عليه في المادة الثامنة ،أو تعهدها بموجب المادة الثامنة والعشرين من هذه الاتفاقية بشأن دفع مبلغ أي تعويض يمكن ان يفرض على الشركة فان علاج الحكومة لهذا النقض يكون عبارة عن حقها في اخطار الشركة فـوراً بذلك النقض ، وعندئذ ان لم تتخذ الشركة التدابير السريعة من أجل الوفاء بالتعهدات المنقوضة يحق للحكومة ان تنهي هذه الاتفاقية .

المادة السابعة والعشرون : ان العقوبة التي تترتب على الشركة لقاء خرقهـا أي تعهد من تعهداتها المنصوص عليها في هذه الاتفاقية « يستثنى من ذلك مـا هو مشروط في المادة الرابعة والعشرين أعلاه » عن غرامـة تدفعها الشركة للحكومة بالشروط الآتية :

١ - تخطر الحكومة الشركة حالاً عن أي نقض منسوب اليها ، وتبين الحكومة للشركة طبيعة ذلك النقض .

٢ - ان أي اختلاف يمكن أن ينشأ عن ما اذا كانت الشركة قد ارتكبت ذلك النقض المنسوب اليها أم لا .. سيسوى بالطريقة الموضحة في هذه الاتفاقية فاذا ثبت ارتكاب الشركة لذلك النقض فان تقصيرها في القيام باتخاذ التدابير السريعة لمعالجته يعرضها لدفع تعويضات عن الأضرار للحكومة ، وان لم يتفق على كمية هذه التعويضات يجري تقريرها بالتحكيم المنصوص عليها في هـذه الاتفاقية وتدفع الشركة للحكومة مبالغ التعويضات المقررة على النمط المذكور في بحر ستين يوماً من بعد تاريخ ذلك المقرر .

المادة الثامنة والعشرون : اذا نشأ شك أو أشكال أو خلاف بين الحكومة والشركة في تفسير هذه الاتفاقية أو تنفيذها أو تفسير أي شيء منها أو تنفيذه أو فيما له علاقة بها أو في حقوق أحد الفريقين أو تبعاته فعجز الفريقان عن الاتفاق على تسوية ذلك بطريقة أخرى تحال القضية الى حكمين اثنين يختار كل فريق واحداً منهما وعلى وازع يختاره الحكمان قبل الشروع في التحكيم ويعين كل فريق حكمه في خلال ثلاثين يوماً من تاريخ طلب الفريق الآخر ذلك خطياً منه . واذا عجز الحكمان عن الاتفاق على تعيين الوازع فعلى الحكومة والشركة حينئذ ان يعينا بالاتفاق وازعاً ، واذا عجزتا فيما بينهما عليهما أن يطلبا الى رئيس محكمة العدل الدولية الدائمة أن يعين وازعاً يعتبر حكم الحكمين في القضية باتاً ، أما اذا لم يتفقا بينهما في الرأي فيعتبر حكم الوازع في القضية نهائياً ، أما مكان التحكيم فيتفق عليه الفريقان ، واذا عجزتا عن الاتفاق على ذلك فيكون في لاهاي – هولنده

المادة التاسعة والعشرون : لا يحق للشركة أن تنقل حقوقها وتعهداتها المنصوص عليها في هذه الاتفاقية الى أي كان بدون موافقة الحكومة .. الا أنه من المفهوم أن للشركة أن تحول حقوقها وتعهداتها المنصوص عليها في هذه الاتفاقية الى شركة تؤسسها بنفسها لهذا المشروع بعد اخطار الحكومة بذلك ، ويكون للشركة الحق أيضاً أن تنشأ شركات أو مؤسسات أخرى كهذه حينما يظهر لها فائدة ذلك أو ضرورته لأجل القيام باغراض هذا المشروع . ان مثل هذه الشركات أو المؤسسات تصبح حال تقليدها بعض الحقوق والتعهدات المنصوص عليها في هذه الاتفاقية أو كلها وعند اخطارها الحكومة خاضعة بموجبها لشروط هذه الاتفاقية ونصوصها ، في حالة ما اذا كانت الشركة والمؤسسة المؤلفة جديداً تصدر أسهماً بغية البيع الى العامة سيعطى لسكان المملكة العربية السعودية وقتاً معقولاً من أجل الاشتراك « بنفس الشروط المعروضة على

الآخرين » في عشرين من المائة على الأقل من الأسهم الصادرة والمعروضة على العامة للبيع .

المادة الثلاثون : من المفهوم ان مدد الاتفاقية المشار اليها في هذه الاتفاقية ستحسب على أساس التقويم الشمسي .

المادة الحادية والثلاثون : ان التأريخ الذي سيعتبر فيه هذه الاتفاقية سارية المفعول .. هو التأريخ الذي تنشر فيه في البلاد العربية السعودية عقيب ابرام هذه الاتفاقية من قبل الشركة .

المادة الثانية والثلاثون : منعاً لحصول التباس فانه من الواضح الجلي ان لا يحق للشركة أو لأي شخص تابع لها أو منسوب اليها أن يتداخل في الشؤون الادارية أو السياسية أو الدينية في المملكة العربية السعودية .

المادة الثالثة والثلاثون : من المفهوم ان هذه الاتفاقية بعد أن يكون جرى توقيعها في البلاد العربية السعودية ستكون عرضة لابرام الشركة لها في مركزها في سان فرانسيسكو في ولاية كليفورنيا قبل أن تصبح نافذة المفعول . وبعد التوقيع على نص هذه الاتفاقية من نسختين في البلاد العربية السعودية سترسل النسخ الموقعة مسجلة بالبريد الى مركز الشركة في سان فرانسيسكو (كاليفورنيا) وفي خلال خمسة عشر يوماً بعد استلام الشركة لها . عليها ان تبرق للحكومة بموافقتها على ابرام هذه الاتفاقية أو عدمه ، فاذا لم تبرم هذه الاتفاقية في خلال خمسة عشر يوماً من ذلك التاريخ تمسي هذه الاتفاقية لاغية باطلة لن يكون لها أي مفعول أو تأثير آخر .

وبالمثل اذا لم يدفع القرض المبدئي وايجار السنة الأولى الى الحكومة في خلال

الوقت المتفق عليه في المادة الخامسة عشرة من هذه الاتفاقيـــة ، سيكون للحكومة الحق بان تعلن ابطال والغاء هذه الاتفاقية وان تحسبها بعد ذلك غير نافذة المفعول لدى ابرام الشركة لهذه الاتفاقية تعيد الى الحكومة نسخة واحدة من كلا النصين الموقعين مع وكيل الاثبات اللازم الذي يثبت ابرام الشركة لها ، كما انه لدى ابرام الشركة لهذه الاتفاقية ، فانها تنشر في البلاد العربية السعودية بالطريقة المعتادة .

وقعت هذه الاتفاقية في هذا اليوم الرابع من شهر صفر عام الف وثلاثمائة وخمسين هجرية ، الموافق تسعة وعشرين مايو سنة الف وتسعماية وثلاثة وثلاثون ميلادية) .

هذه هي اتفاقية الزيت (الأصلية) أثبتنا نصها الحرفي الكامل لأهميتهـــا لأنها تعتبر وثيقة تاريخية ، وبعد أربعين يوماً من توقيعهـــا صدر مرسوم ملكي في الرياض تحت رقم ١١٣٥ ليضفي عليها صفة شرعية لتصبح نافـذه المفعول . وهذا نصه :

« نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربيـة السعودية بعد الاعتماد على الله تعالى وبعد الاطلاع على الاتفاقية الموقع عليها في جده في اليوم الرابع من شهر صفر عام الف وثلاثمائة واثنين وخمسين هجرية بين وزير ماليتنـــا ، وبين المستر ل. ن. هاملتون ممثل شركة زيت استندرد في ولاية كاليفورنيا الامريكية ، وبناء على موافقـــة مجلس الوكلاء أمرنا بما هو آت :

المادة الاولى : يرخص لشركة استندرد في ولاية كاليفورنيا استندرد أويـل كومباني أوف كاليفورنيا باستثمار البترول ومستخرجاته في القسم الشرقي مـن

مملكتنا العربيـــة السعودية ضمن الحدود بمقتضى الشروط والأحكام الواردة في الاتفاقية الموقع عليها بين وزير ماليتنا وبين ممثل الشركة المذكورة في اليـــوم الرابع من شهر صفر عام الف وثلاثمائة واثنين وخمسين هجرية .

المادة الثانية : نصادق على الاتفاقية المشار اليها أعلاه والملحقة بمرسومنا هذا ونأمر بوضعها موضع التنفيذ اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة الثالثة : نصادق على الاتفاقية الخاصة الملحقة بالاتفاقية الاصليـــة ونأمر بانفاذها .

المادة الرابعة : على وزير ماليتنا تنفيذ أحكام هذا المرسوم .

صدر في قصرنا بالرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنـــة ١٣٥٢ هـ. الموافق ٧ يوليو ١٩٣٣ م.

نائب جلالته
فيصل

عبد العزيز

* * *

وعلى أثر توقيع الاتفاقية بأقل من أربعة شهور أبحرت الطليعـة الأولى من جيولوجيي الشركة في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣ الى المنطقة الشرقية ، فرسا قاربهـــا البخاري في ميناء الجبيل ، يقل ر. ن. ميلر وس. ب. هـنري وبرفقتهما كارل س. توتيشل الذي قطع بسيارته المملكة العربية السعودية من غربيها من جدة الى شرقيها حيث أبحر الى جزيرة البحرين فرافق البعثة .

الوقت المتفق عليه في المادة الخامسة عشرة من هذه الاتفاقيـــة ، سيكون للحكومة الحق بان تعلن ابطال والغاء هذه الاتفاقية وان تحسبها بعد ذلك غير نافذة المفعول لدى ابرام الشركة لهذه الاتفاقية تعيد الى الحكومة نسخة واحدة من كلا النصين الموقعين مع وكيل الاثبات اللازم الذي يثبت ابرام الشركة لها ، كما انه لدى ابرام الشركة لهذه الاتفاقية ، فانها تنشر في البلاد العربية السعودية بالطريقة المعتادة .

وقعت هذه الاتفاقية في هذا اليوم الرابع من شهر صفر عام الف وثلاثمائة وخمسين هجرية ، الموافق تسعة وعشرين مايو سنة الف وتسعماية وثلاثة وثلاثون ميلادية) .

هذه هي اتفاقية الزيت (الأصلية) أثبتنا نصها الحرفي الكامل لأهميتهـــا لأنها تعتبر وثيقة تاريخية ، وبعد أربعين يوماً من توقيعهـا صدر مرسوم ملكي في الرياض تحت رقم ١١٣٥ ليضفي عليها صفة شرعية لتصبح نافـذه المفعول . وهذا نصه :

« نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربيـة السعودية بعد الاعتماد على الله تعالى وبعد الاطلاع على الاتفاقية الموقع عليها في جده في اليوم الرابع من شهر صفر عام الف وثلاثمائة واثنين وخمسين هجرية بين وزير ماليتنــا ، وبين المستر ل. ن. هاملتون ممثل شركة زيت استندرد في ولاية كاليفورنيا الامريكية ، وبناء على موافقـــة مجلس الوكلاء أمرنا بما هو آت :

المادة الاولى : يرخص لشركة استندرد في ولاية كاليفورنيا استندرد أويـل كومباني أوف كاليفورنيا باستثمار البترول ومستخرجاته في القسم الشرقي مـن

مملكتنا العربيـــة السعودية ضمن الحدود بمقتضى الشروط والأحكام الواردة في الاتفاقية الموقع عليها بين وزير ماليتنا وبين ممثل الشركة المذكورة في اليـــوم الرابع من شهر صفر عام الف وثلاثمائة واثنين وخمسين هجرية .

المادة الثانية : نصادق على الاتفاقية المشار اليها أعلاه والملحقة بمرسومنا هذا ونأمر بوضعها موضع التنفيذ اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة الثالثة : نصادق على الاتفاقية الخاصة الملحقة بالاتفاقية الاصليـــة ونأمر بانفاذها .

المادة الرابعة : على وزير ماليتنا تنفيذ أحكام هذا المرسوم .

صدر في قصرنا بالرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنـــة ١٣٥٢ هـ. الموافق ٧ يوليو ١٩٣٣ م.

نائب جلالته　　　　　　عبد العزيز

فيصل

* * *

وعلى أثر توقيع الاتفاقية بأقل من أربعة شهور أبحرت الطليعـة الأولى من جيولوجيي الشركة في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣ الى المنطقة الشرقية ، فرسا قاربهـــا البخاري في ميناء الجبيل ، يقل ر. ن. ميلر وس. ب. هـنري وبرفقتهما كارل س. توتيشل الذي قطع بسيارته المملكة العربية السعودية من غربيها من جدة الى شرقيها حيث أبحر الى جزيرة البحرين فرافق البعثة .

وفي ٢٨ سبتمبر وصلوا الى المنطقة الكثيرة التلال والتي شاهدوها من البحرين، يرافقهم عدد من الجنود والمرشدين العرب السعوديين، وقد رأوا هناك قبباً جيلوجية من النوع الذي يتجمع فيه الزيت، ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا الى أعلى تل في تلك المنطقة، وهو المعروف بجبل الظهران.

وبعد ان انتهوا من التخطيط الاستطلاعي لقبة الدمام انتقلوا الى الهفوف في شهر نوفمبر ليكملوا درس بقية منطقة الامتياز، وبحلول ربيع عام ١٩٣٥ تجمعت لديهم معلومات عن تفسير تتابع الطبقات الجيلوجية .. على الرغم من عدم وجود آلات تساعدهم في أعمالهم كآلات الحفر التجريبي واجهزة قياس الاهتزازات الارضية وقياس الجاذبية الا في السنوات التي تلت .. الا انهم اعتقدوا بوجود الزيت تحت تلك القبب كما انهم وجدوا سطح المنطقة الساحلية مكسواً بطبقة من الرمال أو برواسب العصر الميوسيني[١] التي طمرت بفعل التجعدات والاعوجاجات الصخرية التي تسبب تجمع الزيت، وبما ان معظم رواسب العصر الميوسيني كان قد تلاشى، فان ذلك لم يعط الأدلة الكافية على التركيب الباطني للارض.

وفي صيف ١٩٣٤ اتخذت القرارات ورسمت الخطط المفصلة لاجراء الاختبار الاول في قبة الدمام أبرز مكان من حيث التكوين الجيلوجي، وكانوا ينظرون الى امكانيات العثور على الزيت نظرة ثقة خاصة، فحفرت البئر رقم ١ الواقع غرب انحدار جبل الظهران الى الشمال من المنطقة السكنية حالياً، وكانت الاختبارات الأولية سلسلة من خيبات الأمل يشوبها بعض النتائج المشجعة التي تبرر متابعة الجهود.

---

(١) يرجع الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

وفي صيف ١٩٣٥ عثر على تباشير طيبة المزيت على عمق ١٩٠٠ قدم ، الا ان تلك التباشير لم تثبت وجود الزيت بكمية وافرة تجارية ، وعندما توصل الحفر الى « طبقة البحرين » المنتجة للزيت قبل حلول عيد الميلاد عام ١٩٣٥ ببضعة أيام عثر على قليل من الغاز وكمية ضئيلة من الزيت والماء ، فاستمر الحفر في تلك البئر الى عمق ٣٢٠٣ أقدام ، ولكن دون جدوى ، ثم حفرت ثمان آبار ، الا ان النتائج لم تكن بأفضل من سابقاتها ، ومن الآبار العشر استبقيت ثلاث آبار على أنها آبار قليلة الانتاج وبئراً للغاز(١) وبئراً للماء ، أما بقية الآبار فقد هجرت منها بئران وزيد العمق في الثلاث الباقية الا ان النتائج كانت أيضاً مخيبة للآمال ، وأخيراً رأت الشركة أن تقوم بعملية اختبارية كآخر تجربة فواصلت الحفر في البئر رقم ٧ للوصول الى الأعماق البعيدة عام ١٩٣٧ ، وعندما توصل الحفر الى عمق ٤٧٢٧ قدماً تفجر الزيت ، وعثر عليه بكميات تجارية وافرة عام ١٩٣٨ في « الطبقة العربية » التي سميت مؤخراً ، فسجلت هذه البئر نقطة التحول في مستقبل الشركة .

وعلى أثر اكتشاف الزيت بكميات تجارية باشرت الشركة في اقامة أحياء السكن والمرافق الصناعية ، فانشئت خزانات التجميع ومرافق نقل الزيت . كما مد خط أنابيب قطره ست بوصات الى ميناء الخبر لشحن الزيت بالمراكب الى البحرين ، فكانت أول شحنة جرى نقلها في سبتمبر سنة ١٩٣٨ ، وفي أواخر عام ١٩٤١ أنشيء ميناء العزيزية الواقعة جنوبي الخبر فتحولت عمليات شحن الزيت اليها ، ولكنها هجرت حين أكمل أول خط أنابيب تحت الماء الى البحرين عام ١٩٤٥ ، كما أنشيء عام ١٩٣٩ ميناء رأس تنورة فرست فيه أول ناقلة للزيت هي (د. ج. سكوفيلد) التابعة لشركة استاندرد أوف كاليفورنيا في شهر مايو من نفس العام .

---

(١) ما زالت هذه البئر تنتج غازاً لتجهيز أحياء السكن التابعة للشركة .

ونظراً لاتساع أعمال شركة استاندر أوف كاليفورنيا (كاسوك) في الشرق الأوسط وجزر الهند الشرقية التابعة لهولنده ، وما يتطلب انتاجها من الزيت الى مرافق للتسويق فقد عمدت الى ادخال شركة تكساس أويل في الامتياز عام ١٩٣٦ ، وجعلت حقوق الامتياز بينهما مناصفة ، فاطلق على الشركة الجديدة المنبثقة من فريق (كالتكس) اسم شركة الزيوت العربية الامريكية ، الذي اختصر اسمها في هذه الأحرف « أرامكو » فاشتهرت به عالمياً. وفي عام ١٩٤٦ بعد ان ثبتت ضخامة احتياطي الزيت العربي السعودي ، وما تتطلبه من امكانيات ضخمة ورؤوس أموال لاستثمار احتياطي الزيت فقد اتخذت الترتيبات بان بيعة حصة قدرها ثلاثون بالمئة من الارامكو الى شركة استندرد أويل أوف نيوجرسي ، وحصة أخرى قدرها عشرة بالمئة الى شركة سوكوني فاكوم التي عرفت مؤخراً بسوكوني موبيل للزيت ، فأصبحت شركة أرامكو موزعة كحصص شركة التابلاين .. كما يلي :

ستاندرد أوف كاليفورنيا	٣٠ ٪
تكساس أويل	٣٠ ٪
ستاندرد نيوجرسي	٣٠ ٪
سوكوني موبيل	١٠ ٪

وهذا الامتياز – كما نصت عليه الاتفاقية – مدته ستون عاماً تبدأ من الاتفاقية الملحقة والمبرمة عام١٩٣٩ تنتهي بعد ست سنوات من الاتفاقية الاولى وقد شملت اتفاقية الامتياز الأصلية الجهة الشرقية من المملكة العربية السعودية التي تمتد الى الغرب حتى حافة الدهناء كما حددت من الطرفين الجنوبي والشمالي بخط شمالي غربي وبخط جنوبي شرقي ، وفي عام ١٩٣٩ صدرت اتفاقية ملحقة فوسعت الاجزاء الشمالية والجنوبية من منطقة الامتياز وشملت المنطقتين

المحايدتين اللتين تتقاسم فيهما المملكة العربية السعودية حقوقاً بالتساوي مع العراق والكويت ، وقد بلغ مجموع مساحة الامتياز المشمولة في الاتفاقيتين ما يقرب من أربعمائة وأربعين الف ميل مربع ، وتمتد هذه المساحة بشكل هلال شاسع على طول الساحل الشرقي بما في ذلك الربع الخالي في الجنوب ، كما أعطيت للشركة ذاتها أيضاً حق الأفضلية في قسم كبير من نجد ، وبذلك بلغت المساحة التي شملها الامتياز ما يقرب من مليون ومائة وأربعين ألف كيلومتر مربع .

وعلى أثر تصريح الرئيس ترومان في ايلول ١٩٤٥ بتأييد ملكية الدولة لما يجاور سواحلها من ثروات في قعر البحار ، فقد أعلنت الحكومة السعودية عام ١٩٤٩ سيادتها على الحوض البحري من شواطئها ، فشمل امتياز ارامكو المواقع البحرية القريبة من الساحل .

ومن الجدير بالذكر ان شركة أرامكو تخلت عن امتيازها في بعض المناطق تطبيقاً لنصوص بنود الاتفاقية ، فتخلت عن المنطقة المحايدة [١] بين الكويت والسعودية عام ١٩٤٨ حيث منح الى شركة الباسفيك واسترن أويل في ٢٠ شباط ١٩٤٩ والتي تحولت الى « جيتي أويل كومبني » باسم صاحبها م. ج. بول جيتي فعملت بالاشتراك مع شركة البترول الامريكية « امينويل » واحتفظت كل من الشركتين باستقلالها عن الاخرى .

كما تخلت أرامكو عن منطقة حق الأفضلية في نجد عام ١٩٤٧ الواقعة غرب

---

(١) تبلغ مساحتها ٥٢٠٠ كيلو متر مربع اكتشف فيها البترول في اذار ١٩٥٣ وبلغ انتاجها ٣٤٨٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٥٧ وعلى أثر اكتشاف الزيت أنشىء ميناء سعود على بعد ١٥ كم من حدود الكويت وحقل الانتاج يمتد في ٧ أميال عرضاً و٧ أميال طولا وحفرت فيه حوالي ٨٨ بئراً .

خط الطول الشرقي السادس والأربعين ، وتخلت كذلك عام ١٩٤٩ عن مساحة ٢٦٠٠٠ ميل مربع من الجزء الجنوبي الغربي من نجران ، ومنطقة أخرى مساحتها ٢٤٠٠٠ ميل مربع تقريباً من الجزء الشمالي الغربي عام ١٩٥٢ . وفي عام ١٩٥٥ تخلت عن قطعتين قطعة في الجهة الشمالية الغربية والثانية في الجهة الجنوبية الغربية بلغت مساحتهما ٣٤٨٠٠٠ ميل مربع تقريباً ، وفي شهر يوليو عام ١٩٦٠ تخلت ايضاً عن مساحة ٣٣٠٠٠ ميل مربع . وبعد التخلي عن مجموع هذه المساحات أصبح امتياز أرامكو منحصراً في مساحة لا تتجاوز ٣٠٧٠٠٠ ميل مربع .

ويمكننا ان نقسم الأدوار التي مرت في تاريخ الشركة الى فترات أربع . كانت الفترة الأولى هي دور المسح الجيلوجي والتنقيب الأولي الذي يشوبه شيء من خيبات الأمل ، وقد انتهت هذه الفترة بتفجر الزيت بكميات تجارية عام ١٩٣٨ في البئر رقم ٧ . أما الفترة الثانية فهي فترة ما قبل الحرب التي بدأ فيها النشاط ، واستمرت فيها أعمال التنقيب الجيلوجي باطراد وثبات ، فتم فيها الاستطلاع التمهيدي في مساحة قدرها ١٧٥٠٠٠ ميل مربع ، كما رسمت خرايط مفصلة لمساحة قدرها ٥٠،٠٠٠ ميل مربع ، وفي عام ١٩٤٠ أنشىء في رأس تنوره معمل صغير لتكرير البترول طاقته ٣٠٠٠ برميل في اليوم ، وتم كذلك حفر بئرين في ابو حدريه على عمق ١٠١١٥ قدماً ، كما حفرت عدة آبار بالعلاة ومعقلا وبقيق .

ثم تلت هذه الفترة نشوب الحرب العالمية الثانية (١) فشلّت أعمال الشركة

---

(١) سببها المباشر .. هو مطالبة هتلر بضم الممر البولوني الذي يفصل بين المانيا وبروسيا ، وعلى أثر توقيع انكلترا وفرنسا مع بولونيا حلفاً يتضمن استقلالها وحمايتها .. كان جواب هتلر بأن أصدر أمره للقوات المسلحة بالهجوم في ١ ايلول ١٩٣٩ على الأراضي البولونية بعد أن ضمن الى جانبه كلا من روسيا وايطاليا واليابان ، وبذلك بدأت الحرب العالمية ، وقد حاز هتلر ←

وأوقفتها عن متابعة العمل ، حيث أصبح الشحن صعباً جـداً ، والوصول الى الأسواق في بقية أنحاء العالم في منتهى الصعوبة نتيجة لعمليات الحرب ، ونقص وسائل الشحن ، هذا بالاضافة الى صعوبة استيراد المواد والآلات ، فتوقفت من جراء ذلك جميع الأعمال غير الضرورية ، وأغلق رأس تنورة ، كما خفض عدد الموظفين الى الحد الأدنى من أجل تخفيف عمليات الجلاء اذا استدعى الأمر ، سيما بعد ان استهدفت منطقة الظهران لضرب طائرات العدو[1] ،وما حل عام١٩٤٢ حتى كان عدد الموظفين الامريكيين قد خفض الى أقل من مئة وعدد الموظفين العرب الى أقل من ألفين ، واقتصر الانتاج على ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ برميل زيت يومياً ترسل الى معمل التكرير في جزيرة البحرين .

وعلى الرغم من هذه العقبات فقد أعطيت أرامكو موافقة على بنـاء معمل تكرير في رأس تنوره تبلغ طاقته خمسين ألف برميل يومياً، كما منحتها السلطات العسكرية الامريكية اذناً باستيراد الفولاذ وغيره من المواد المهمة اللازمة، وعلى كل فان هذه الفترة التي ساد فيها الفتور في مرافق أعمال الشركة أعقبتها حمى من النشاط في الفترة التي تلتها .

← انتصاراً ساحقاً في بادىء الأمر فأعلنت الحرب الى جانبه ايطاليا ،وفي ٢٢ حزيران هاجم روسيا وكاد ان يسيطر على القارة الاوروبية، وفي ٧ كانون الاول ١٩٤١ دخلت اليابان الحرب ضد الولايات المتحدة في الشرق الاقصى ، فأعلن الحلفاء الحرب عليها ، كما انضمت اليها المانيا وايطاليا فكونوا محوراً ، وقد وجه الحلفاء ضربة صاعقة لجيوش المحور بمساعدة الولايات المتحدة وحدث أثناء ذلك انقلاب ضد موسوليني في ايطاليا ، وتصدعت جبهة المحور ، فاستسلمت المانيا في ٧ مايس ١٩٤٥ باحتلال برلين دون قيد أو شرط، وبقيت اليابان تحارب وحدها في الميدان الى ان استسلمت بتفجير قنبلة ذرية صنعتها الولايات المتحدة على هيروشيما في ٦ آب ١٩٤٥ ثم قنبلة أخرى بعد ثلاثة أيام على نياجازاكي ، فاضطرت اليابان الى الاستسلام دون قيد أو شرط وبذلك كانت نهاية الحرب العالمية الثانية .

(١) قامت طائرات ايطالية أثناء الحرب فألقت عدة قنابل في منطقة الظهران دون ان تصيب الهدف ، وقد أنشئت عدة مخابىء للجوء اليها في حالة الخطر .

بعد نهاية الحرب قامت الشركة بتوسيع معمـل رأس تنورة كما استؤنفت عمليات الحفر في بقيق واكتشف حقـل القطيف والغوار وأنشىء خط أنابيب تحت الماء عام ١٩٤٥ وخط آخر مواز له عـام ١٩٤٦ لضخ الزيت الى جزيرة البحرين لتكريره في مصفاة سترة[١] كما أنشئت خطوط أخرى ما بين الظهران ورأس تنوره وبين بقيق والقطيف، وقد تركزت في القطيف شبكة من الانابيب يفد اليهـا الزيت من الحقول المنتجة حيث يذهب الى رأس تنوره والى خط التابلاين[٢] الذي أكمل عام ١٩٥٠ والذي هو أضخم خط أنابيب في العـالم اذ يبلغ طوله ١٠٦٨ ميلاً ، وقطره ٣٠ – ٣١ بوصة ، وطاقته نحو ٤٣٥ ألف برميل يومياً . كما صحب انشاء هذه الانابيب بناء أنابيب الجريان ومعامل فرز الغاز ومحطات الضخ في حقول الزيت ، وبحـلول عام ١٩٥٩ كانت أعمال التنقيب الجيلوجي التي تمت بمختلف الطرق قد أكملت في جميع أجزاء منطقـة الامتياز تقريباً البرية منها والساحلية المغمورة .

ويمكننا ان نجمل الحقول التي اكتشف فيها الزيت كالآتي :

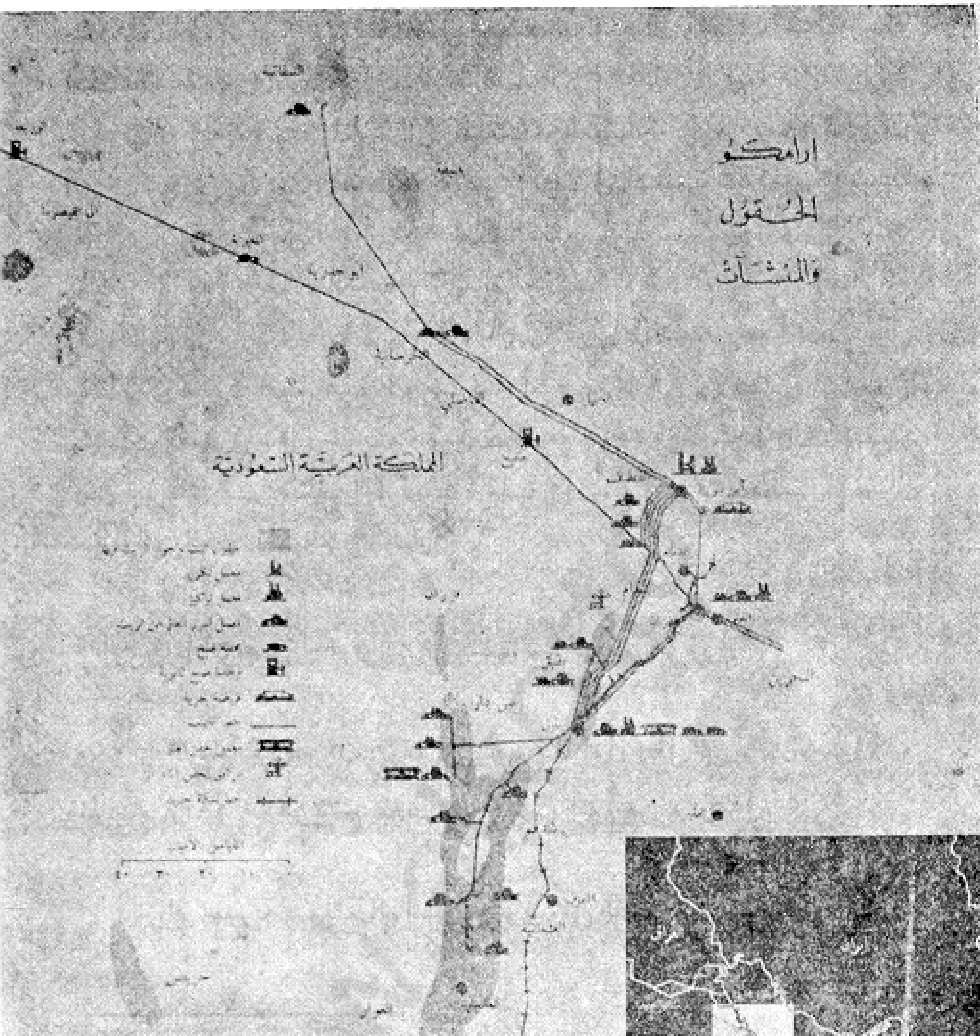
١ الدمام – الظهران : وقد اكتشف فيها أول حقل على عمق ٤٧٠٠ قدم منذ عام ١٩٣٨ ، وهو ينتج ٣٤٥٨٥ برميلاً في اليوم من ٢٨ بئراً .

٢ – ابو حدريه : ويقع الى الشمال الغربي من الظهران ، وقد اكتشف في

---

(١) في عام ١٩٥٣ كررت مصفاة سترة بالبحرين ٧٣ مليون برميل بينها ٦١ مليون جاء من السعودية بواسطة الأنابيب عبر مياه الخليج .

(٢) تألفت شركة التابلاين عام ١٩٤٦ من الشركات الاربع المساهمة في أرامكو بنفس الحصص . وقد بدىء العمل فيه منذ ذلك الحين وانتهى بعد اربع سنوات .


ارامكو
الحقول
والمنشآت
المملكة العربية السعودية

مارس ١٩٤٠ على عمق ١٠١٠٠ قدم ، وقد حفرت فيه بئران . وهما الآن مهجورتان .

٣ – بقيق : وهو ثاني حقل من حيث الانتاج والسعة ، فمساحته ٨ كم عرضاً و٥٦ كم طولاً ، وقد اكتشف في نوفمبر ١٩٤٠ وفيه ٥٥ بئراً تنتج يومياً ٢٤٣،٠٠٠ برميل على عمق ٦٥٠٠ قدم .

٤ – القطيف : يقع في الجهة الغربية من الواحة طوله ٢٢ كم وعرضه ٨ كم وعمقه حوالي ٧٠٠٠ قدم ، ومجموع انتاجه اليومي من حوالي عشرة آبار ١٨٠٠٠ برميل .

٥ – الفاضلي : يقع هذا الحقل بين حقل القطيف وابو حدريه وقد اكتشف في يناير ١٩٤٩ على عمق ١٠٧٠٠ قدم ، وقد حفرت فيه بئر وهي الآن مغلقة.

٦ – السفانية : يعد هذا الحقل من أكبر حقول الزيت المغمورة بالمياه في العالم ، كما انه أول حقل مغمور بالمياه في الشرق الاوسط ، ويبلغ طوله حوالي ٢٦ كم وعرضه ٩ كم ، وقد اكتشف في أغسطس ١٩٥١ ، ويتراوح عمقه ما بين ٥٣٠٠ و٦٠٠٠ قدم ، وينتج حوالي ١٨١،٠٠٠ برميل في اليوم من ١٩ بئراً ، ويمتاز انتاجه بان زيته من النوع الحلو (أي انه يحتوي على كميات قليلة من مادة الكبريت) ، كما انه ينتج نسبة كبيرة من زيت الوقود .

٧ – الغوار : وهو أكبر حقل في منطقة الامتياز ، وكان فيما مضى يظن انه مجموعة حقول مستقلة ، الا انها اكتشفت مؤخراً بانها حقل واحد ، وهي حرض وعين دار وشدقم وفرزان ، وقد اكتشف هذا الحقل الذي يبلغ طوله ٢٤٠ كم وعرضه ٤٨ كم منذ سنة ١٩٤٨ ، وفيه ٧٣ بئراً على عمق ٦،٨٠٠ قدم تقريباً ، ومعدل انتاجه يومياً ٧١٤،٢٥٧ برميلاً .

٨ - الخرسانية : ويقع على بعد ١٢٨ كم الى الشمال الغربي من الظهران بين الفاضلي وابو حدريه ، وقد اكتشف في يونيو ١٩٥٦ على عمق ٥٩٥٠ قدماً وفيه ٨ آبار بعضها مغلق وبعضها مهجور .

٩ - خريص : ويقع في شريط الدهناء على بعد ١٥٠ ميلاً جنوبي الظهران الى الغرب ، وقد اكتشف عام ١٩٥٧ على عمق ٤٧٦٠ قدماً وفيه ١٣ بئراً ما بين مهجورة ومغلقة .

١٠ - منيفة : وهو ثاني حقل في المنطقة الساحلية المغمورة ويبعد عن الشاطىء بـ ٢٤ كم ، ويقع على مسافة ٢٢٥ كم في الشمال الغربي من الظهران ، وقد اكتشف فيه الزيت على عمق ٧٤١٠ أقدام وفيه ٦ آبار مغلقة .

مما تقدم نستنتج ان في منطقة الامتياز عشرة حقول جرى اكتشافها ، منها خمسة تستثمر وفيها ١٩٦ بئراً منتجة من مجموع ٣٥٠ بئراً تم حفرها ، ويعمل في مناطق الزيت ١٦٢٥٧ موظفاً منهم ١١٦٨٢ من العمال السعوديين أي بنسبة ٧١،٩ ٪ من مجموع الأيدي العاملة ، ويوزع انتاج تلك الآبار عن طريق أربعة مسالك رئيسية .. وهي كالآتي :

١ - البحرين : حيث يكرر في مصفاة ستره بواسطة خطين متوازيين من الأنابيب تحت الماء ، طاقتها ١٩٠ الف برميل يومياً ، وهما أطول خطوط الأنابيب الممتدة تحت الماء في العالم .

٢ - مصفاة رأس تنورة : حيث يكرر بمصفاتها ثم يجري شحنه ، كما يوزع منها في داخل المملكة للاستهلاك المحلي الذي بلغ ٣،٤٠٨،٨٥١ برميلاً عام ١٩٦٠ ومعدل انتاج هذا المعمل ٢٢٤،٨٩٤ برميلاً يومياً ، وقد بلغ انتاجه ٨٢،٣١١،٣٨٦ برميل يومياً . وهو ينتج زيت الوقود ، وزيت الديزل ، وبنزين

السيارات والطائرات ، والكيروسين ، والاسفلت ، ووقود الطائرات النفاثة ، وغاز البترول السائل .

٣ ـ ميناء رأس تنوره : حيث يشحن الزيت الخام بواسطة ناقلات الزيت بمعدل ٥٠ ٪ من الانتاج .

٤ ـ خط التابلاين : حيث يضخ الى صيدا بمعدل ٤٠ ٪ من مجموع الانتاج .

هذا وقد بلغ الانتاج ٤٥٦،٤٥٣،١٧٣ برميلاً عام ١٩٦٠ بمعدل ١،٢٤٧،١٤٩ برميلاً يومياً ، وقدر احتياطي الزيت ٤٥،٦ بليون برميل[1] وتعتبر المملكة العربية السعودية خامس دولة في العالم منتجة للزيت بعد الولايات المتحدة وفنزويلا والاتحاد السوفياتي والكويت .

وفي عام ١٩٥٠ قامت الحكومة السعودية لأول مرة بفرض ضرائب ورسوم على دخل الشركات والأفراد ، وقد صدر مرسوم منفصل يفرض على الشركات المشتغلة بانتاج البترول ضريبة دخل تساوي ٥٠ ٪ بعد ان تضاف اليها جميع الضرايب والريع والايجارات والرسوم وأي مبالغ أخرى ، وذلك من صافي دخل الشركة المنتجة للزيت ، وبذلك أصبحت الحكومة تأخذ من صافي دخل التشغيل بمعدل خمسين بالمئة ، وتشكل الآن العائدات البترولية بنسبة ٨٠ ٪ من دخل الموازنة السعودية .

---

(١) هكذا قدر احتياطي الزيت فيها ، كما قدر احتياطي الزيت في الشرق الاوسط بـ ١٥٨ بليون برميل من مجموع احتياطي العالم الذي يبلغ ٢٥٤ بليون برميل .

٦

ثقافتها وآدابها

ثقافتها عبر التاريخ . في العصر الجاهلي . بعد دخولها في الاسلام في العصر الأموي والعباسي . عصور الانحطاط أو العهد التركي . العصر الحديث .

١ ــ ثقافتها عبر التاريخ

من الثابت عند المحققين .. أن الحروف الهجائية كانت من مخترعات الفينيقيين سكان هذه المنطقة الأوائل، وانهم هم الذين ابتكروها ، ومنهم انتقلت الى انحاء العالم القديم ، فعلموها لليونان بعد ان كانت مجهولة في بلادهم كما يعترف بذلك أبو التاريخ هيرودتس [١] .

---

(١) تاريخ هيرونس ج ١ ص ٣٥٨ و ٣٩٤ .

على أن المكتشفات الاثرية وعلم مقارنة اللغات أثبتا أيضاً .. ان الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية ، وان الفينيقيين هم أول من نشر نظاماً خاصاً للكتابة بالحروف الابجدية ، يضم اثنين وعشرين علامة [1] وقد نشروها في انحاء البلاد التي وطأتها اقدامهم ، وهذا الاختراع نفسه يجعلهم أول رائد للتعليم في العالم ، فاليهم يرجع الفضل في ازدهار الحضارة البشرية وتقدم العلوم والفنون.

والشيء الذي يؤسف له ان حضارة هذه المنطقة تراكم عليها غبار الزمن ، وطمرتها سوافي الليالي والايام ، فلم تهيء لها الظروف بعثة تنقيبية علمية تقوم بالكشف عما تخبئه تلك التلال والخرائب المدفونة والآكام المنتشرة في هذه الربوع من آثار قيمة ، لتزيح الستار عن حضارة عفا عليها تقادم الزمن ، كذلك لم يتح لهذه المنطقة مؤرخ متخصص يستنطق الحوادث وبعض الآثار التي اكتشفت ، ويميط اللثام عن امجادها الحضارية والثقافية التي جر عليها الزمن ذيل النسيان .

ان ابناءها الاوائل الذين اتيح لهم ان يخترعوا الحرف حري بهم بان يكونوا قادة الفكر ، وان تكون لهم ثروة ادبية تقف سامقة في الادب العالمي القديم لو لم تطمس آثارهم عوادي الزمن ، وما كان اختراع الحرف الا استجابة لحاجة ماسة ، وبدافع من الحرص على تخليد تلك المعاني التي تجول في أخيلتهم ، والتي تشكل قيما انسانية ثقافية وحضارية .

اننا نعتقد اعتقاداً جازما بان هذه المنطقة لها ماض ادبي رفيع ، يمتد عبر الاجيال الى الاغوار السحيقة من تاريخها ، ولها كذلك تراث أدبي ساعدت على انمائه روافد من الثقافات العالمية ، بحكم موقعها الجغرافي ، وارتباطها تجاريا

---

(١) تاريخ العرب – فيليب حتي ج ١ ص ١٥ .

بالعالم المتمدن وسكان الشرق الاقصى ، كما تدلنا عليه بعض الكتابات والنقوش الحجرية التي اكتشفت مؤخراً ، وكذلك ما عثر عليه من نقود صينية ترجع الى عهود سحيقة ، وتؤكد اتصالها بالعالم القديم ، وانها لم تكن في حالة عزلة كما انتهى اليه واقعها في العهود المتأخرة .

ولقد حفظ لنا التاريخ اليوناني صوراً مشرقة عن حضارة الجرهائيين ومدنيتهم ، ولولا جهل الرحالة اليونان باللغة المحلية للبلاد لنقلوا لنا ايضاً نماذج ونصوصاً ادبية ساعدتنا على العثور على بعض الحلقات المفقودة من تراثنا الادبي القديم ، على ان هناك بصيصاً من أمل لاكتشافها ، معقود على اتاحة الفرص للبعثات التنقيبية في مستقبل عاجل أو آجل .

٢ ـــ في العصر الجاهلي

ويمكننا ان نعد اولى الحلقات المتصلة من تاريخ حياتنا الفكرية هي الفترة التي كانت بداية لتاريخ الادب العربي ، وهي الفترة التي تثبتت فيها اقدام العدنانيين في هذه المنطقة ، وعلى رأسها قبيلة بني عبد القيس ، وقد اصطلح مؤرخو الادب العربي على تسمية هذه الفترة التي انبثقت فيها الحركة الفكرية بالعصر الجاهلي ، وقد ساعد على ابرازها ونشاطها عوامل .. أهمها وجود تلك الاسواق الادبية التي كانت بمثابة مؤتمرات موسمية ، والتي كانت أشهرها سوق عكاظ (١) في الحجاز .

---

(١) عكاظ قرية بين نخلة والطائف بينها وبين مكة ثلاث مراحل واتخذت سوقاً سنة ٥٤٠ م ثم بقيت في الاسلام الى ان نهبها الخوارج سنة ١٢٩ هـ وكانت تقام في اول ذي العقدة الى العشرين منه وكان كل شريف يحضر سوق ناحيته الا عكاظا فانهم يتوافدون اليها من كل فج لانها تقام في الأشهر الحرم وهي في طريقهم الى الحج فيحضرها الزعماء وامراء البيان للمتاجرة والمنافرة ومفاداة الاسرى واداء الحج .

على ان لهذه المنطقة اسواقاً ادبية شهيرة ايضاً عرفت قبل الاسلام ، حيث كانت تقام في مواسم مختلفة ، فمنها سوق هجر وتقام في ربيع الآخر ، وسوق المشقر وتقام في أول جمادي الآخرة ، وسوق الزّاره ، وسوق الجرعاء الشهيرة ، وسوق دارين ، وكانت هذه الاسواق بمثابة مؤتمرات ادبية يشترك في احيائهـا اقطاب الفكر ورجال الادب والشعر .

وقد عرفت هذه المنطقة ألواناً من النشاط الفكري ، فكانت بحكم اختلاطها بسائر الامم من هنود وصينيين وآشوريين وكلدان وبابليين ومصريين ويونانيين معتركاً للديانات والمذاهب ، فعرفت الديانـة المسيحية واليهوديـة والمجوسية وغيرها من ديانات الشرق ، وقد اصطرعت فيها المذاهب والآراء حتى تهيأت فكرياً لدين التوحيد ، فآمن عدد من مفكريها بوحدة الخالق والبعث والنشور قبل أن يبعث الرسول ﷺ ، كما تكوّن فيها استعداد عقلي لقبـول الافكار النيرة واعتناق المبادىء الصحيحة ، فدخلت في الاسلام بدون قتال كما يجمع عليه المؤرخون .

وقد انجبت في هذه الفترة نخبـة ممتازة من الشعراء واقطاب الفكر كانوا دعامة في الحركة الادبية في العصر الجاهلي ، ويذكر مؤرخو الآداب ان عمرو بن قميئة وهو من شعراء هذه المنطقة بانه اقدم من قال الشعر من نزار [1] . وهناك عدد من الشعراء الذين تبوّأوا مكانة ممتازة في الادب العربي . منهم :

١ ـ عمرو بن قميئة .

اقدم شاعر عرفه العصر الجاهلي ، وهو من فحول الشعراء ، وتزعم بكر بن

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ج ١ ص ٦١ . الأغاني ج ١٦ ص ١٦٣ .

وائل .. انه اول من قال الشعر وقصد القصيد [1] وكان في حداثته شاباً حسن الوجه مديد القامة عفيفاً ، مات أبوه وهو صغير ، فكفله عمه مرثد بن سعد ، فلما شب راودته امرأة عمه في نفسه فأبى فلما امتنع عليها اتهمته في شرفه فخاف الفضيحة وهرب الى الحيرة واقام فيها فترة من الزمن ثم عاد الى وطنه وقد عمر طويلا حتى جاوز التسعين عاماً .

وذهبت قبيلة بني عبد القيس ـ كما يذكر صاحب طبقات فحول الشعراء ـ الى ان بعض اشعار امرؤ القيس هي لعمرو بن قميئة . ومن شعره :

يا لهف نفسي على الشباب ولم ... أفقد به اذ فقدته أمما
اذ اسحب الريط والمروط الى ... ادنى تجاري وانفض اللمما
لا تغبط المرء ان يقال له ... أمسى فلان لسنه حكما
ان سره طول عمره فلقد ... أضحى على الوجه طول ما سلما

وله أيضاً :

كبرت وفارقني الاقربون ... وايقنت النفس الا خلودا
وبان الاحبة حتى فنوا ... ولم يترك الدهر منهم عميدا
فيا دهر قدك فاسجح بنا ... فلسنا بصخر ولسنا حديدا

وله أيضاً :

كأني وقد جارزت تسعين حجة ... خلعت بها يوماً عذار لجامي

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤ .

رمتني صروف الدهر من حيث لا أرى — فما بال من يرمي وليس برامي
وافني وما أفني من الدهر ليلة — ولم يفن ما افنيت سلك نظامي
واهلكني تأميل يوم وليـــلة — وتأميل عام بعد ذلك وعام

٢ ـ سعد بن مالك :

جد طرفة الشاعر المشهور ، وهو أحد سادات قومه وفرسانهم المشهورين ، له أشعار مأثورة في كتب الادب ، ومن شعره هذه القصيدة التي قالها في حرب البسوس التي نشبت بين قبيلتي بكر وتغلب :

الحرب لا يبقى لجاحمها — التخيـــل والمراح
إلا الفتى الصبار في — النجدات والفرس الوقاح
كشفت لهم عن ساقها — وبدا من الشر الصراح
صبراً بني قيس لها — حتى تريحوا أو تراحوا
هيهات حال الموت دون — الفوت وانتضي السلاح
أين الاعزة والاسنة — عند ذلك والسماح

٣ ـ طرفة بن العبد :

ويكنى بابي عمرو ، من بكر بن وائل من ربيعه ، قرض الشعر في سن مبكرة حتى عدّ من الطبقة الاولى ، حتى ذهب ابن مقبل بانه اشعر الناس ، ومع كونه من المقلين إلا أن أشعاره كانت معول علماء اللغة في الاستشهاد بها ، ولم يختلف فيه أحد بأنه من أصحاب المعلقات او المذهبات الشهيرة التي اذيعت

على الناس ، ثم كتبت بماء الذهب وعلقت على الكعبة .

مات أبوه وهو صغير ، وقضى شبابه في العبث ومعاقرة الخمر ، وانفق جميع أمواله ، وقد نادم ملك الحيرة عمرو بن هند ومدحه وهجاه ، وقد مات مقتولاً سنة ٥٥٢ م على يد المكعبر الفارسي بايعاز من عمرو بن هند وعمره ست وعشرون سنة .

واشهر قصائده معلقته التي مطلعها :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وفي هذه المعلقة تجد انعكاس أثر البيئة ظاهراً فيها فيشبه هودج حبيبته بالسفينة التي فقد ملاحها السيطرة عليها وهي تضرب عرض البحر بحيزومها - أي بمقدمتها - وتشق سبيلها فوق حباب الماء .

ومن أبياته :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدّد
ألا أيهذا اللائمي احضر الوغى وان اشهد اللذات غير مخلد
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني ابادرها بما ملكت يدي
فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعلُ في الماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف محنباً لسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف المعمد
فذرني اروي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا غداً اينا الصدي
لعمرك أن الموت ما اخطأ الفتى لكا لطول المرخى وثنياه باليد
فما لي اراني وابن عمي مالكا متى ادن منه ينأ عني ويبعد
وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند
فلو شاء ربي كنت قيس ابن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
انا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد
فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
أرى الموت اعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ما اقرب اليوم من غد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك مـا الأيام إلا معـارة فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتـدي

وقد جمعت اشعار طرفة في ديوان طبع بسالون في فرنسا سنة ١٩٠٠ م مع ترجمة باللغة الفرنسية بعناية المسيو سلكاش .

٤ ـ المتلمس :

واسمه جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة المتفرعة من ربيعة ، وهو خال طرفة بن العبد ، وقد وفد معه على ملك الحيرة عمرو بن هند وقد بلغه انهما هجياه ، فهش للقائهما ، ثم امر لكل منهما بصلة ، واحالهما بكتابين على عامله

بالبحرين ليستوفياها منه ، ولكن المتلمس شك في أمر الكتاب فاقرأه على غلام من أهل الحيرة فاذا فيه : (باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر إذا أتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً) فالقى الصحيفة في النهر ، وقال : « يا طرفة معك والله مثلها » فقال : « كلا ما كان ليكتب لي مثل ذلك » فلما قدم طرفة على المكعبر قطع يديه ورجليه ودفنه حياً ، أما المتلمس فهرب الى الشام والتحق بملوك غسان حيث أقام في حوران الى ان توفي سنة ٥٨٠ م .

وقد وضع ابن سلام الجمحي المتلمس في الطبقة السابعة من الشعراء الجاهليين ، وهو من أصحاب المنتقيات الشهيرة وله ديوان توجد منه نسختان في دار الكتب المصرية . ومن شعره :

وكنا اذا الجبار صعر خده ... اقمنا له من ميله فتقوما
لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علم الانسان إلا ليعلما
ولو ان اخواني ارادوا نقيصتي ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما

ومن شعره :

واعلم علم حق غير ظن ... وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال أيسر من بغاه ... وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير على الفساد

٥ ـ المرقش الأكبر :

واسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر بن وائل ، وهو من الشعراء

المقدمين ، ويمتاز على أكثر الشعراء الجاهليين بأنه كان يعرف القراءة لأن أباه اهتم بتعليمه فأرسله مع أخيه حرملة الى نصراني من أهل الحيرة ، ويعده مؤرخو الاداب من الشعراء العشاق لأنه مـــات كلفاً بابنة عمه التي منع من الاقتران بها .

وقد اتصل بالحارث أبي شمر الغساني ونادمه سنة ٥٢٤ م ومدحه ، وتوفي سنة ٥٥٢ م .

اثبت له المفضل الضبي في مختاراته اثنتي عشرة قصيدة ، ومن شعره :

يا ذات أجوارنا قومي فحيينا ... وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة ... يوماً سراة خيار الناس فادعينا
شعث مقادمنا نهبى مراجلنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينـــا
المطعمون اذا هبت شآمية ... وخير نادٍ رآه الناس نادينا

٦ ـ المرقش الاصغر :

واسمه ربيعه بن سفيان بن سعد بن مالك عم طرفه وابن اخ المرقش الاكبر ، وهو من الشعراء العشاق وفرسانهم المشهورين ، وكان في صغره من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً ، عشقته فاطمة بنت المنذر فاتصل بها فنظم فيها أشعاراً كثيرة ، وقد اثبت له المفضل الضبي خمس قصائد .

ومن شعره في فاطمة بنت المنذر :

ألا حبذا وجهاً ترينا بياضه ... ومنسدلات كالمثاني فواحـما
أفاطم أن الحب يعفو عن القلى ... ويجشم ذي العرض الكريم المجاشما

أفاطم لو أن النساء ببلدة وانت باخرى لاتبعتك هائما

ومنها :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

٧ ـ المثقب العبدي :

واسمه عائذ بن محصن بن ثعلبه من بني عبد القيس ، وهو شاعر فحل قديم معاصر لعمرو بن هند ملك الحيرة ، وقد مدحه بعدة قصائد ، وله شعر يمتاز بالقوة والسلاسة يضعه في قمة الشعراء الذين انتجهم العصر الجاهلي ، وفي مقدمة شعراء بني عبد القيس توفي عام ٥٢٠ م .

ومن شعره :

لا تقولن اذا ما لم ترد ان تتم الوعد في شيء نعم

حسن قول «نعم» من بعد «لا» وقبيح قول « لا » بعد « نعم »

ان « لا » بعد « نعم » فاحشة فبـ« لا » فابدأ اذا خفت الندم

فاذا قلت نعم فاصبر لها بنجاح القول ان الخلف ذم

واعلم ان الذم نقص للفتى ان من لا يتقي الذم يلم

اكرم الجار وراع حقه ان عرفان الفتى الحق كرم

ان بيتي من معد في الذرى ولي الهامة والفرع الاشم

لا تراني راتعاً في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم

ان شر الناس من يكشر لي حين يلقاني وان غبت شتم

وكلام سيء قد وقرت اذني عنه وما بي من صمم
ولبعض الصفح والاعراض عن ذي الخنا ابقى وان كان ظلم

وله أيضاً من قصيدة طويلة يخاطب فيها عمرو بن هند :

أكل الدهر حلّ وارتحال أما يبقى علـي ولا يقيني
وما أدري اذا يممت أرضاً أريــد الخير أيهما يليني
اللخير الذي أنــا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني
فأما أن تكون أخي بصدق فاعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني
فاني لو تخالفني شمالي خلافك ما وصلت بها يميني

وانما لقب بالمثقب لقوله في أحد أبيات هذه القصيدة :

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص بالعيون

٨ ـ الممزق العبدي :

واسمه شاس بن نهار بن اسود من بني عبد القيس، ويعد من فحول شعرائهم، وقد لقب بالممزق لقوله من قصيدة له :

أكلفتني ادواء قــوم تركتهم وألا تداركني من البحر اغرق
فان كنت مأكولاً فكن انت اكلي وإلا فأدركني ولما أمزق

وهي قصيدة طويلة اثبتها الأصمعي في مختاراته، وله شعر جيد في المفضليات.

٩ ـ الجمال العبدي :

وهو شاعر جاهلي من شعراء عبد القيس ، اثبت له البحتري في حماسته اربع قطع . منها :

ومستلحم بادي النواجذ قد رأى … حياض المنايا والرماح شوارع
عطفت عليـــه والرماح كانها … خلال القنا قرن من الشمس طالع

ومنها :

اذا خفت من أمر عليك صعوبة … فاصعب به حتى تذل مراكبه
وامر على مكروهه قد ركبته … فكان بحمد الله خيراً عواقبه

١٠ ـ نفيل بن مرّه العبدي :

من شعراء بني عبد القيس . وله شعر في منتهى الروعة ، فمن قولـــه من قصيدة :

وان أمانتي لا يحتويها … خليل في زيال واجتماع
سأرعاها وان هو غاب عني … لكل أمانة بالغيب راعي

وقد انتجت قبيلة بني عبد القيس غير هؤلاء عـــدداً كبيراً من الشعراء المشهورين الذين أغنوا الادب العربي بروائع من آثارهم ، فمنهم توبة بن مضرس ، ومالك بن عروة ، وحريث بن الزبرقان ، والمفضل ، والمخضع ، والحصين ، وجدل بن اشمط ، وسامة بن ربيعة ، وثعلبة بن حزن ، وربيعة بن توبة ، ومنقذ ابن هلال الشني ، وهرم بن حيان ، وعمرو بن هبيره ، وانس بن مساحق ، ومعارك بن مرّه ، ويزيد بن خذاق ، ومسعود بن سلامه ، ومويلك بن قابس ،

ونشبة بن عمرو ، والنعمان بن حنظلة ، وعمرو بن مره ، وعطارد بن حاجب ، وعمرو بن أوس بن عصيه ، ومقاتل بن مسعود ، وسلمة بن حبابة .. الى غير هؤلاء الذين يتجاوزون الثلاثين عداً ، وكلهم من عبد القيس وتجـــد أشعارهم متفرقة ، مثبتة في المفضليات والأصمعيات وحماسة أبي تمام وحماسة البحتري ، وطبقات فحول الشعراء وغيرها ، وحسبهم انهم استأثروا باهتمام البحتري فأثبت لهم في حماسته حوالي ستين قطعة .

وقد اسهمت المرأة بنصيب وافر في النشاط الأدبي في العصر الجاهلي لم نره في أي عصر من العصور التالية ، وقد لمعت اسماء بعض الشواعر المشهورات ، من بينهن بنت حكيم بن عمرو العبدية التي تقول في مرثيتها في أبيها :

أيرجو ربيع أن يعود وقد ثوى ... حكيم وأمسى شلوه بمطبق
فان كنتم قوماً كراماً فعجلوا ... له جرأة من بأسكم ذات مصدق

ومن بينهن أيضاً الخرنق أخت طرفه بن العبد التي وقفت تمجـد قومها في مواقفهم البطولية الرائعة :

أبو ان يفروا والقنا تقرع القنا ... ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما
ولو انهم فروا لكانوا أذلة ... ولكن رأوا صبراً على الموت اكرما

٣ ـــ بعد دخولها في الاسلام

أما اذا تتبعنا الحركة الادبية بعد دخول هذه المنطقة في حظيرة الاســلام فاننا نجد بعضاً من الفتور قد دب فيها ، ونجد أيضاً عدد الشعراء كان أقـــل

بكثير مما انتجه العصر الجاهلي . وهذه الظاهرة لا تنفرد بها هـذه المنطقة وحدها ، بل انها كانت شاملة لجميع الاقطار التي آمنت بالدين الجديد ودخلت فيه طائعة أو مكرهة .

لقد كان الشعر في العصر الجاهلي يستأثر باهتمام العرب ، فهم يحتفلون من جملة ما يحتفلون به ، فيذبحون الذبائح ويقيمون الولائم اذا نبغ شاعر في القبيلة لانه لسانها الذي يدافع عنها ويشيد بمجدها ، ويرفع من ذكرها ، فاذا احتفوا بالشعر فلانه أيضاً مرآة صادقة لمشاعرهم ، وانعكاس لحياتهم التي كانوا يعيشونها ، وهو في نفس الوقت يعد في أكثره تجربة حية من واقعهم الذي سار على نمط معروف من التفاخر بالانساب وتمجيد البطولات والفروسيات ووصف الحروب والغارات .

فلما جاء الاسلام قلب هذه المفاهيم رأساً على عقب فـلا تفاخر بالانساب « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم دعا للوفاق ورفع شعار السلام والمحبة ، فآخى بين القبائل المتناحرة ، وأزال الطبقية في المجتمع العربي ، واحدث تطوراً كبيراً في حياتهم العقلية والاجتماعيـة ، فأدى ذلك الى اعراضهم عن الشعر ، وانشغالهم بمفاهيم الدين الجديد ، وتدبّر محكم آياته ، التي تؤلف في حد ذاتها أدباً جديداً غنياً بالقيم الانسانية والمثل العليا .

هذا التطور الجديد احدث انقلاباً في حياتهم الفكرية ، فانبهروا بمعجز قرآنهم ، واغناهم ادبه عن أدبهم ، فخفتت قرائحهم من قول الشعر ، ونأوا بجانبهم عنه ، ولعلّ هذه الآية « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » . جاءت للحد من اقبالهم على الشعر ، فنددت بالشعراء ووصفتهم وصفاً غير مشرف ، ودمغتهم بوقائع على

ضوء الاسلوب الذي كان ينتهجه أكثريتهم ، ولولا أداة الاستثناء التي جاءت مباشرة في هذه الآية « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا » لحلت كارثة بالشعر العربي . ذهبت بأوله وبآخره، كما حلت بالفنون الأخرى كفن الرسم والنحت والموسيقى والغناء .

على ان الرسول العربي أعجب بالأدب الموجه فوصف بيت طرفة بن العبد بانه من كلام النبوّة ، وهو قوله :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالانبـاء من لم تزود

وعلى الرغم من ذلك فقد انتجت هذه المنطقة عدداً من الشعراء . كما برز الى جانبهم عدد من الخطباء والمفكرين والقادة والولاة ، أمثـال صعصعة بن صوحان ، وابن حارثة وحكيم بن حيان العبدي ورشيد الهجري وغيرهم ، ومن شعراء هذه الفترة :

١ – الصلتان العبدي :

واسمه قثم بن حنية من بني عبد القيس ، وهو شاعر اسلامي مشهور يقال انه كان خبيث اللسان ، احتكم لديه جرير والفرزدق فقضى بينهما ، وحكم بان جريراً أشعر من الفرزدق ، وان بني مجاشع أشرف من بني كليب ، وقد أشار الى ذلك في قصيدة له :

انا الصلتان الـذ علمتم قضاءه متى ما يحكم فهـو بالأمر صادع
أتتني تميم حين هابت قضاتها واني لبالفصل المبـين لقاطع

ومن شعره :

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومـــر العشي
اذا ليـــلة هرأت يومهـــا ... أتى بعد ذلك يوم فـــتي
نروح ونغدو لحاجاتنـــا ... وحاجة من عاش لا تنقضي
ويسلبه الموت أثوابـــه ... ويمنعـه الموت ما يشتهي
تموت مـــع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجـــة ما بقي
اذا قلت يوماً لمن قـد ترى ... أروك السري أروك الغني
بني بدا خب نجوى الرجال ... فكن عند سرك خب النجي
وسرك ما كان عند امرء ... وسر الثلاثة غـــير الخفي

وله أيضاً :

أغش الامور بحزمهـــا ... حتى تكون الاحزمـــا
واظلم فلست بمدرك الاوطار ... حتى تظلمـــا

٢ ـ زياد الاعجم العبدي :

هو زياد بن سليمان مولى بني عبد القيس ، ونسب الى هذه القبيلة لأنه كان من مواليهم ، أقام فترة من الزمن في مدينة اصطخر من بلاد فارس فغلبت العجمة على لسانه ، فلقب بالأعجم ، وقيل أنه لا يستطيع نطق « العين » وهو شاعر اسلامي فصيح اللفظ على الرغم من اللكنة التي في لسانه ، وقد عده بن سلام الجمحي في الطبقة السابعة من الشعراء الاسلاميين .

مدح المغيرة بن المهلب ، ولما مات رثاه بقصيدة تزيد أبياتها على الخمسين ، وهي معدودة من مختـار المراثي في عصره ، وهو معاصر للفرزدق الشاعر ،

ويروى أن الفرزدق همّ بان يهجو بني عبد القيس موالي زياد الأعجم ، فبعث اليه زياد « لا تتعجل حتى أهدي لك هدية » فانتظر الفرزدق ، فبعث اليه هذه الأبيات :

وما ترك الهاجون لي ان هجوته ... مصحاً أراه في أديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق
سأكسر ما أبقوه لي من عظامه ... وانكث مخ الساق منه وانتقي
وأنا وما تهدي لنا ان هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما وصلته قال: « ليس لي الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد » .
ومن مأثور حكمه الذي نسبه الرواة الى زهير بن أبي سلمى وأضافوه الى معلقته :

وكائن ترى من كائن لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ومن شعره يهجو بني يشكر وقد ظهر فيه أثر البيئة :

لو ان بكراً يراه الله راحلة ... لكان يشكر منها موضع الذنب
ليسوا اليه ولكن يعلقون به ... كما تعلق راقي النخل بالكرب

وقد استشهد النحاة بشعره ، فورد في شواهد الفية بن مالك هذا البيت :

وكنت اذا غمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها او تستقيما

٣ ـ الأعور الشني :

نسبة الى شن ، فخذ من قبيلة بني عبد القيس وهو شاعر من فحول الشعراء

الاسلاميين . انضم الى صفوف عسكر المهلب بن ابي صفره ، ويروى ان المهلب أمره ذات مرة أن ينزل في ميدان القتال ويبارز فامتنع وأنشد :

يقول لي الأمير بغير حزم تقدم حين جد بنا المراس
فما لي ان اطعتك من حياة وما لي غير هذا الرأس راس

ومن غرر شعره قوله :

ولست بقائل قولاً لأحظى بوعد لا يصدقه فعالي
ولكني أحققه بنجح يقصر دونه عمر المطال
لقد أصبحت لا احتاج فيما بلوت من الامور الى سؤال
وذلك أنني أدبت نفسي وماحلت الرجال ذوي المحال

٤ - كعب عودين الهجري :

شاعر اسلامي من شعره قوله من قصيدة له :

ألم تر كعباً كعب عودين قد قلى معايش هذا الدهر غير ثمان
فمنهن تقوى الله بالغيب انها رهينة ما تجني يدي ولساني
ومنهن جري جحفلاً يحب الوغى الى جحفل يوماً فيلتقيان
ومنهن تجريد الاوانس كالدّمى للذاتها من كاعب وعواني
ومنهن شربي الراح وهي لذيذة من الخمر لم تمزج بماء شنان

٥ - ابو الجويرية :

واسمه عيسى بن أوس بن عصية من شعراء عبد القيس ، مدح الجنيد بن

عبد الرحمن المري والي خراسان بشعر منه هذه الابيات :

بيت بناه سنان ثم شيده بحيث طنب في اثنائه الكرم
الصافحون باحلام اذا قدروا والضاربون اذا ما اعصوصب القتم
القتل ميتهم والجود عادتهم والحلم والعزم من أخلاقهم شيم

٦ ـ عمرو بن أسوي :

شاعر اسلامي من بني عبد القيس من غرر شعره قوله :

وما أنا بالناسي الخليل ولا الذي تغير ان طال الزمان خلائقه
ولست بمنان على من أوده ببر ولا مستخدم من أرافقه

وهناك غيرهم من الشعراء الذين تمتعوا بشهرة فائقة في الاقطار العربية واصبح شعرهم مضرب الامثال كعمرو بن مبرده ، وعبد الاعلى الصامت ، والجارود بن المنذر ، ومحمد بن أبي شامه ، وهرم بن حيان ، وخليد عينين وأمثالهم .

٤ ــ في العصر الاموي والعباسي

اعتاد مؤرخو الآداب ان يقسموا تاريخ الادب الى عصور سياسية نظراً للتطور الشامل الذي طرأ على كل عصر ، وصبغ الأدب بلون خاص يتميز عن سابقه ولاحقه بتأثير العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية فيه ، فقسموا الادب العربي الى خمسة عصور أولها العصر الجاهلي الذي ينتهي بظهور الاسلام ويليه العصر الاسلامي والأموي ثم العصر العباسي ثم العصر التركي وآخرها العصر

الحديث . وقد راعينا مجاراتهم في هذا التقسيم نظراً للطابع العام الذي اكتسبه أدبنا في كل عصر من هذه العصور .

وكان الأوفق ان نربط تاريخنا الأدبي بتاريخنا السياسي لو وجدت لدينا مواد للدراسة تصل الحلقات بعضها ببعض ، ولكن اهمال المؤرخين لتاريخنا واقبالهم على تاريخ الحواضر العربية ، وتسجيل أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي فيها جعلنا في شبه عزلة ، وصيّر عندنا مواد البحث قاصرة عن تحقيق ما نتطلبه .. ذلك ان هذه المنطقة قد كان لها وضعها السياسي الخاص المستقل أيام انفصالها عن الخلافة الاموية والعباسية منذ منتصف القرن الاول للهجرة ، فقد سيطر عليها الخوارج ثم صاحب الزنج ثم القرامطة ، ثم انكفأت في عزله تامة بسيطرة القبائل العربية عليها آخر الأمر . ولولا ان بعض شعرائها الذين أتيح لهم ان يخرجوا منها ويختلطوا بمجتمعات الحواضر العربية لما عرفنا عن أكثرهم شيئاً .

لذلك نجد شعراء هذه المنطقة في العصر الجاهلي وصدر الاسلام كانوا أكثر منهم في أي عصر من العصور التالية للسبب ذاته . بل ان هناك فترة طويلة تقارب ثلاثة قرون هي القرن السابع والثامن والتاسع الهجري نكاد لا نعرف شيئاً عن وجوه النشاط الثقافي فيها ، وهو شيء لا يمكن ان نتصوره ، ولا يمكن ان نعلله الا باغفال المؤرخين لتاريخنا الأدبي نتيجة للوضع الانعزالي الذي كانت تعانيه هذه المنطقة .

ولقد تركت تلك المذاهب التي انتشرت فيها أو التي فرضت سيطرتها السياسية عليها أثراً ظاهراً في حياتها الفكرية انعكس على آثار شعرائها . فنجد في تلك الفترة عدداً من الاتجاهات المذهبية التي توزعت شعراءها ، وفرقتهم شيعاً وأحزاباً ، فمنهم الشيعي والاسماعيلي والناصبي والخارجي ونذكر على سبيل المثل من شعراء الشيعة :

١ ـ محمد بن ثمامه العبدي :

شاعر من بني عبد القيس ومن الموالين لأهل البيت، عاش في العصر الاموي.

من شعره :

أتزعم انني أهوى خليلاً ... سواك على دنو او بعاد
جحدت اذا موالاتي علياً ... وقلت بانني مولى زياد

ومن شعره في رجل هاجاه من العجم :

هات لسانا فاهجنا ... غير لسان العرب
فاخر فان الفخر لا ... يصلح الا لي وبي
كأنما فاخرني ... بمثل جدي وابي

٢ ـ يحيى بن بلال العبدي :

هو ابو محمد البحراني عاش في صدر الدولة العباسية واقام في همذان وكان يتظاهر بالتشيع لآل البيت، وقد مدح هرون الرشيد بقصائد رائعة ومن شعره:

أما الدعاة الى الجنان فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار
أامي مالك من قرار فالحقي ... بالجن صاغرة بارض بوار
فلئن رحلت لترحلن ذميمة ... واذا اقمت بذلة وصغار

وقوله

لعمري لئن جارت أمية واعتدت ... لأول من سن الضلالة أجور

ومن شعره ايضاً :

وللموت خير من حياة زهيدة ... وللمنع خير من عطاء مكدر
فعش مثرياً او مكدياً من عطية ... تمن والا فاسأل الله واصبر

ومن شعراء الخوارج :

٣ - قطري بن الفجاءة :

احد رؤساء الخوارج وفرسانهم المشهورين ، وهو شاعر فحل ومن شعره :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الابطال ويحك لم تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم ... على الاجل الذي لك لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز ... فيطوى عن اخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي ... فداعيه لاهل الأرض داعي
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون الى انقطاع
وما للموت خير في حياة ... اذا ما عد من سقط المتاع

٤ - عيسى بن عاتك الخطي :

نسب الى امه (عاتك) واسم أبيه حدير من بكر بن وائل ، وهو احد شعراء الخوارج ، كان اذا أراد الخروج للحرب تعلقت به بناته فيقيم ، ثم خرج أخيراً . وفيهن يقول :

لقد زاد الحياة الي حباً ... بنـــاتي انهن من الضعاف
اخاف بان ينلن الفقر بعدي ... وان يشربن رنقاً بعد صافي
فلولاهن قد سومت مهري ... وفي الرحمن للضعفاء كافي

ومن شعره :

ابي الاسلام لا اب لي سواه ... اذا فخروا ببكر او تمـــيم .
كلا الحيين ينصر مدعيه ... ليلحقه بذي الحسب الصميم
وماحسب ولو كرمت عروق ... ولكن التقى هو بالكريم

ومن شعراء النواصب :

٥ - كعب بن جابر العبدي :

ناصبي الاتجاه ، انضم الى جيش عبيدالله بن زياد في معركة الطف وشهـــد مقتل الامام الحسين (ع) ، وقد قال في هذه المناسبة :

سلي تخبري عني وانت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع
معي يزني لم تخنـــه كعوبه ... وابيض مسنون الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم ... بديني واني لابن عفان تابـع
اشدوا حمي بالسيوف لدى للوغى ... وما كل من يحمي الذمار يقارع

٦ - محمد ابن اسلم بن مدحور العبدي :

ناصبي الاتجاه ومن اشياع المتوكل ، وقائد من قواده ، وهو شاعر معروف .
من شعره :

السيف والرمح دون الخلق قد شهدا ... اني شجـاع وما داناني الأسد
اذا شددت على قــوم هزمتهم ... ببأس ذكري فلا يبقى لهم مدد

ومن شعراء القرامطة :

٧ – الأعصم :

هو الحسين بن أحمد بن سليمان بن الحسن الجنابي الذي تولى أمر القرامطة سنة ٣٥٩ هـ وتوفي بالرملة سنة ٣٦٦ هـ وقد ذكرنا طرفاً من حياته في الفصل الرابـع من هذا الكتاب ، ومن شعره :

زعمت رجال الغرب اني هبتها ... فدمي اذاً ما بينها مطلول
يا مصر ان لم اسق ارضك من دم ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

وله أيضاً :

اني امرؤ ليس من شأني ولا أدبي ... طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة ... وذات دل لها بالغنج تأويـد
ولا أبيت بطين البطن من شبـع ... ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع ... يوماً ولا غرني فيها المواعيـد

وله أيضاً :

يا ساكن القصر المنيف تعززاً ... بقلاعه وحصونه وكهوفـه
وما العز إلا للعزيز وأهـله ... وبخيله وبرجله وسيوفـه

وبقية بيضاء قد ضربت على　　شرف الخلال لجاره وضيوفه
لم يجعل الشرف التليد لنفسه　　حتى أفاد تليده بطريفه

٨ – كشاجم :

هو ابو نصر بن ابي الفتح كشاجم، وهو شاعر وكاتب ، التحق بخدمة الأعصم القرمطي ، فكان كاتبه الخاص ، وقد ذكر له الثعالبي في يتيمته بضع قصائد .

ومن شعره في وصف الكتاب :

وصاحب مؤنس اذا حضرا　　جالسني بالملوك والكبرا
جسم موات تحيا النفوس به　　يجل معنى وان دنا خطرا
ملكت منه كنزاً غنيت به　　فما أبالي ما قل أو كثرا
أظل منه في مجلس حفل　　بالناس طرّاً ولا أرى بشرا
أعجب به جامعاً ولو جعلت　　عليه كف الجليس لاستترا

وله أيضاً :

غبط الناس بالكتابة قوماً　　حرموا حظهم بحسن الكتابه
واذا اخطأ الكتابة حظ　　سقطت تاؤه فصارت كابه

٩ – صاحب الزنج :

ويمكننا أن نعد من شعراء هذه المنطقة صاحب الزنج على اعتبار انه من عبد القيس كما تقول بعض الروايات ، أو لأنه عاش فيها فترة ، وقد أتينا على

شيء من أخباره في الفصل الرابع ، وله شعر جيد منه قصيدته التي مطلعها :

أيا طائر الصيمان مالك مفرداً تأسيت بي ام عاق الفك عائق

وفيها يثني على بني تميم ونمير وكلاب ، ويهدد بني عامر ومحارب ويهجو العريان :

عدمت عتاق الخيل ان لم ازربها عليها الكماة الذارعون البطارق
عليها رجال من تميم وقصرها كليب بن يربوع الكرام المصادق
وجثوتها سعد وفي جنباتها نمير وبيض من كلاب عوانق
وان لم أصبح عامراً ومحارباً بخطة خسف أو تقضي العوائق
أيحسبني العريان أنسى فوارسي غداة نزال الروم والموت عالق

وهناك شعراء آخرون ، كمعاذ الازرق ، وعلي بن محمد العبدي ، واحمد بن منصور القطيفي ، وأبو معشر الكاتب احمد بن الحسن ، ومالك بن مزموم ، ومهذب الدين القطيفي وموفق الأربلي وعلي بن المقرب العيوني وغيرهم ؛ على أن أشهر شاعر فيهم هو ابن المقرب سليل الأسرة العيونية التي حكمت هذه المنطقة خلال القرن الخامس والسادس والسابع الهجري لذلك نثبت له ترجمة ، لأنه عاش فترة من حياته في القطيف وتغنى بها فدعاها تارة بامه وتارة بابيه.

١٠ – علي بن المقرب :

نظم الشعر في سن مبكرة ، وهو لا يتجاوز العاشرة من العمر ، وقضى أيام

شبابه بالاحساء ، وكان طموحاً للملك ، وقد شاهد بام عينيه مدى التناحر والانشقاق في الاسرة العيونية وطمع كل أمير في الاستئثار بالملك حتى تجزأت بلاد البحرين الى امارات بين اسرته ، وظل كل أمير يثب على ابن عمه أو أخيه فيغتاله أو يقتله دون مراعاة لروابط القربى .

وقد أصاب الشاعر شيء من هذه المحنة فصادر أبو المنصور املاكه وسجنه ، ولما أطلق سراحه غادر الاحساء الى بغداد ، وحين تولى محمد بن ماجد عاد الى مسقط رأسه فمدحه آملاً منه في استرجاع املاكه ، فماطل في وعده ووشى به بعض الحساد من جلساء الامير ، فخاف الشاعر على نفسه فغادرها الى القطيف ، ولبث فيها فترة مدح أميرها الفضل بن محمد دون جدوى ، ثم عاد أخيراً الى الاحساء أملاً منه في اصلاح الوضع ، فلما يئس غادرها الى الموصل حيث مدح أميرها بدر الدين بقصائد كما هجاه أخيراً حينما لم يصل منه الى غاياته .

وسيرة الشاعر بن المقرب تشابه الى حد كبير سيرة أبي الطيب المتنبي ، كلاهما طموح للملك . حاول ابن المقرب الوصول الى الملك في وطنه فأبعده أقاربه ، فسجن وصودرت أملاكه ، كما حاول المتنبي التوصل الى الملك بادعائه النبوة ، فوشى به وسجن ، ولما اطلق سراحه حاول الوصول الى غايته عن طريق الشعر ، فوفد على سيف الدولة الحمداني فمدحه دون طائل ، فجافاه وقصد كافور الاخشيدي ملك مصر ، وعقد عليه الأمل في تحقيق آماله ، فلما فشلت هجاه .. كذلك كان ابن المقرب حين اطلق سراحه حاول الوصول الى غاياته عن طريق الشعر ، فطاف بانحاء البلاد ومدح أمراءها كما حاول الاتصال بالملك العادل ، وانتهى به المطاف الى امير الموصل الذي كان مملوكاً أرمنياً فمدحه ، فلما لم ينل منه مبتغاه عمد الى هجائه فقال فيه :

تسلط بالحدباء عبد للؤمـــه بصير بلى عن كل مكرمة عمي
اذا أيقظته لفظة عربيـــة الى المجـد قالت أرمنيته نم

وقد توفي هذا الشاعر سنة ٦٢٩ هـ. بعد أن ترك ثروة أدبية أودعها ديوان شعره الذي طبع مرتين ، وان كان الديوان المطبوع لم يشتمل على جميع أشعاره ، فقد حذف منه الشارح مدائحه ومراثيه في أهل البيت . منها :

يآل طه انـتم وسيلتي عند إلهي واليكم مفزعي
وان منعتم من نوالي غيركم ان يرد الحوض غداً لم امنع
اليكم نفثة مصدور أتت من مفحم للشعراء مصقع
مقربي عربي طبعـــه ونجره ، وليس بالمبتدع
ينمى الى البيت العيوني الى أجل بيت في العلى وأرفع
عليكم صلى إلهي وسقى أجداثكم بكل غيث ممرع

ومن شعره الحماسي :

بيني فما أنت من جدي ولا لعبي مالي بشيء سوى العلياء من أرب
لاتكثري من مقالات تزيد ضنى ما الخط أمي ولا دار الحسا بابي
في كل أرض اذا يممتها وطن ما بين حر وبين الدار من نسب
ياساكني الخط والجرعاء من هجر هل انتظاركم شيئاً سوى العطب
بححت مما أناديكم وأندبكم لخير منقلب عن شر منقلب
فسكتوني بقول لا يفون به قد صرت أرضى بوعد منكم كذب
لي عن ديار الأذى والهون متسع ما كل دار مناخ الويل والحرب
لا تنسبوني الى منشاي بينكم الترب ترب وفيه منبت الذهب

لاتحسبوا بغضي الاوطان عن ملل | لا بد للود والبغضاء من سبب
اذا الديار تغشاك الهوان بها | فخلها لضعيف العزم واغترب
لأطلبن العلى جهدي طلاب فتى | يدوس بالعزم هام السبعة الشهب
فان أنل فبسعيي ما أتيت بـه | بدعاً والا فقد اعذرت في الطلب
واحسرتا لتقضي العمر في بلد | الشؤم في أهلها أعدى من الجرب

ومن شعره الوطني :

خلياني من وطـــاء ووساد | لا أرى النوم على شوك القتاد
وارحلا من قبل ان لا ترحلا | فالبـــلايا كل يوم في ازدياد
واتركاني من أباطيـل المنى | فهو بحر ليس يروى منه صادي
وأبـــذلا في العز مجهود كما | لا يلام المرء بعـد الاجتهاد
انمـــا تدرك غايات المنى | بمسير وطعان وجـلاد
من نصيري من زمان فاسد | جعل الأمر الى أهل الفساد
كنت قبل اليوم أبكي بشجى | هم نفسي وطريفي وتـلادي
ثم قد أصبحت أبكي بأسى | شجو اخواني ورهطي وبلادي
كم تقاضاني المعالي عزمـــة | يهتف الشادي بها في كل نادي
يا نديمي اتركاني واذهبـــا | ليس وادي الذل للحر بوادي
تمضـغ الايام لحمي عبثـــاً | ليس بعد المضغ غير الازدراد
يا جفوني طلقي عنك الكرى | انما طيب الكرى بعد السهاد
لا يطيب العز ما لم تجنــــه | باللدان السمر والبيض الحداد
قد تساوى في مضاء صارمي | وسناني ولساني وفؤادي

٥ ــ العهد التركي

اتفق مؤرخو الآداب على تسمية الفترة التي تبدأ منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد حتى قيام النهضة الحديثة بعصور الانحطاط في الحركة العلمية والأدبية في لغة الضاد ، وهم على حق فيما ذهبوا اليه ، فقد ندر في هذه الفترة نبوغ العلماء والمفكرين ، اذا قيسوا بكثرة من تقدمهم ، وكذلك آداب اللغة ، فالنثر غلب عليه السجع والتأنق المبتذل ، والشعر ساد فيه التقليد والعبث بالالوان البديعية ، وأصبحت عناية الكاتب والشاعر مقتصرة على الالفاظ والتلاعب بها دون النظر الى المحتوى والمضمون ، فاصبح الاثر الادبي لا يعبر عن واقع او تجربة .

وكان لهول النكبة التي أحاقت بالأمة العربية على أيدي التتر ، ثم سيطرة المغول والجركس والترك ، أثر كبير في تدهور آدابها وعلومها ، فقد فجعت بتحريق المكاتب وتعطيل المدارس وتقويض المراصد وتخريب الديار وتقتيل العلماء . الأمر الذي أدى الى هبوط المستوى الثقافي ، وتدهور العلوم والآداب ، واختفاء عنصر الاصالة والابداع .

وكما ابتليت الحواضر العربية بتلك النكبات على أيدي الامم الاعجمية ، أحاقت بهذه المنطقة نكبات أمر وأفدح على أيدي القبائل البدوية المتحكمة الجاهلة ، فاستيلاؤها على سياستها ومقدراتها جعلها تعاني وضعاً مريراً ، وتركتها في عزلة تامة عن العالم المتحضر . لذلك لا نستغرب ندرة العلماء والادباء والشعراء خلال تلك القرون الطويلة ، ولا نعجب حين يمر عليها ثلاثة قرون وهي تغط في سبات عميق لم تنجب شاعراً ، ولم نعرف شيئاً عن حياتها العلمية والادبية .

أما بعد سيطرة البرتغاليين عليها وتغلب الاتراك عليهم اخيراً في أوائل القرن العاشر الهجري واستيلاء الفرس على جزيرة أوال ، فقد لمح بصيص من حياتها الفكرية بحكم اتصالها بالعالم الاسلامي وخروجها من عزلتها، فكتب ابن معصوم المدني شيئاً عنها ، فخص شعراء البحرين بقسم من كتابه «سلافة العصر» فترجم لاحد عشر شاعراً ، وأثبت لهم مختارات وقصائد مطولة ، وقد كان ينظر الى بلاد البحرين حتى ذلك التاريخ على أنها وحدة اقليمية ، فمن الصعوبة جداً أن تميز مسقط رأس الشاعر الا ما ندر ، او تنسبه الى بلد معين من مدن البحرين الثلاث . الخط (القطيف) ، هجر (الاحساء) ، أوال (البحرين) .

ولعل الشاعر الذي أمكننا ان نعرف مسقط رأسه وشيئاً مفصلاً عن حياته هو ابو البحر جعفر بن محمد الخطي الشاعر المشهور ، وهو شاعر مجلي استطاع بعبقريته واصالته ان يتحرر من ربقة التقليد والعبث بالالفاظ التي كانت تسيطر على آداب ذلك العصر .

جعفر الخطي :

ينتمي الى بني عبد القيس ، ولد في قرية التوبي من قرى القطيف ، فقضى فيها أيام صباه ، ثم غادرها عند نهاية القرن العاشر الهجري الى جزيرة أوال ، وظل يتردد بينها وبين مسقط رأسه ، وقد عاش فيها فترة من الزمن، اتصل فيها بعلمائها وأدبائها ووجهائها ، ومدحهم بعدة قصائد ، وعلى الأخص قاضي القضاة السيد عبد الرؤوف البحراني ، ثم سافر الى ايران سنة ١٠١٢ هـ. واتصل هناك ببعض أعيانها ، وقطن شيراز فترة من الزمن ، وفي عام ١٠١٦ هـ. التقى في اصفهان ببهاء الدين محمد بن الحسن العاملي المعروف «بالبهائي» صاحب الكشكول ، فنشأت بينهما مساجلات شعرية دلت على تفوقه ، وأقام في ايران حتى توفي سنة ١٠٢٩ هـ.

له ديوان مطبوع[1] وشعره يمتاز بالاصالة وخلوه من الالوان البديعة التي اصطبغت بها آداب العصر الذي عاش فيه . ومن شعره :

هلا سألت الربع من سيهات عن تلكم الفتيان والفتيات
ومجر ارسان الجياد كأنها فوق الصعيد مسارب الحيات
حيث المسامع لا تكاد تفيق من ترجيع نوتي وزجر حداة
ان القطيف وان شغفت بحبها وعلت على استيطانها زفراتي
اذ أين جزت رأيت فيها مدرجي طفلاً وأترابي بها ولداتي
لأجل ملتمسي وغاية منيتي اني اقيم بتلكم الساحات

ومن شعره قصيدته المشهورة في السمكة « السبيطية » التي شجت وجهه اثناء عبوره في البحر من قرية « نوبلي » الى « نوبهان » .

برغم المعالي والمهندة البتر دماء أراقتها سبيطية البحر
فويل ابن شن وابن اقصى وما الذي رمته به أيدي الحوادث من وتر
دم لم يرق من عهد نوح ولا جرى على حد ناب للعدو ولا ظفر
تحامته اطراف القنا وتعرضت له الحوت يابؤس الحوادث والدهر
ألا ابلغ الحيين بكراً وتغلباً فما الفوت الا عند تغلب او بكر
أيرضيكما ان امرءاً من بنيكما واي امرىء للخير يدعى وللشر
يراق على غير الظبا دم وجهه ويجري على غير المثقفة السمر
ليقضي امرؤ من قصي عجباً فمن يرد شرح هذا الحال ينظر الى شعري.

---

(١) عني بطبعه واخراجه الصديق الخطيب السيد علي الهاشمي عضو الجمعية الأدبية في النجف الاشرف ، فطبعه بايران سنة ١٣٧٣ هـ.

انا الرجل المشهور ما من محلة	من الارض الا قد تخللها ذكري
تولع بي صرف القضاء ولم تكن	لتجري صروف الدهر الاعلى الحر

ومن شعره في الخمرة :

عاطنيها قبل ابتسام الصباح	فهي تغنيك عن سنا المصباح
واسلها وردية كدم الكبش	اسالته مدية الذباح
فهي تقصي اما دنت وارد الهم	وتدني شوارد الافراح
مزجوها فقيدوها ولو تترك	صرفاً طارت بغير جناح
يا خليلي وما أرى لي من الناس	خليلا الا فتى غير صاحي
رح على الراح بي فليس على	الاجسام عار في السعي للارواح

ويعتبر الشاعر الخطي مظهراً رائعاً للحياة الادبية التي انتعشت خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجري في هـذه المنطقة ، والتي نشطت فيها الحركة الفكرية ، فبرزت بيوتات علمية وشخصيات كان لهـا الأثر البعيد في انتعاش الحياة الثقافيـة في ذلك العهد ، كالشيخ ابراهيم بن سليمان القطيفي صاحب المؤلفات الشهيرة الذي عاش خلال القرن العاشر الهجري ، والشيخ حسين بن راشد والشيخ يوسف بن ابي وغيرهم ..

وقد كان للروابط الروحية والثقافية بين القطيف والعراق أكبر عامل في ازدهار الحركة العلمية ، فقد كان الكثيرون منهم يقصدون جامعة النجف الاشرف للتخصص في العلوم الدينية واللغوية والفلسفية ، فمنهم من يؤثرون البقاء هناك ، ومنهم من يعودون رسلاً للثقافة واساتذة يؤلفون حلقـات للدراسة والتحصيل كآل عبد الجبار وآل عمران وغيرهما من الأسر العلمية العريقة .

فالحركة العلمية التي نشأت بحكم الاتصال الوثيق بينها وبين النجف الاشرف

ظهر أثرها جلياً في بروز عدد كبير من العلماء والادباء خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر وما بعده ينيف على الخمسين عداً ، وقد ترجم لهم صاحب كتاب «أنوار البدرين» ، وفيهم من أسهم في حركة التأليف في مواضيع متنوعة ، فكتب الشيخ ناصر الجارودي في مكارم الاخلاق والسلوك ، وكتب الشيخ سلمان آل عبد الجبار رسائل متنوعة ، منها رسالة في الجزء الذي لا يتجزأ ورسالة أخرى في ان الواحد لا يصدر منه الا واحد ، وله شروح منها شرح تهذيب المنطق للتفتازاني ، وشرح على كتاب ايساغوجي ، وكذلك الشيخ محمد آل عبد الجبار له شرح واسع على اصول الكافي في ١٤ مجلداً ، وهناك غيرهم ممن كتب في الاصول والفقه والحديث كالشيخ احمد بن صالح طوق والشيخ محمد بن سيف النعيمي والشيخ حسنعلي البدر . ومنهم من تفوق في علم الطب كالشيخ محمد بن نمر .

وكان كثير منهم من جمع بين العلم والأدب كالشيخ علي آل عبد الجبار وله ديوان شعر ، والشيخ محمد ابو عزيز شاعر وله كتب كثيرة في مواليد ووفيات الأئمة ، والشيخ احمد بن صالح القديحي وله ديوان مطبوع ، والشيخ علي القديحي صاحب كتاب « أنوار البدرين » والشيخ حسنعلي البدر وغيرهم .

والى جانب هؤلاء العلماء برز رعيل من الشعراء الممتازين ، وان كان أغلب انتاجهم في مدائح ومراثي أهل البيت ، فمنهم عبد المحسن التاروتي ، ومحسن التاروتي ، وعلي التاروتي ، ومحسن الملهوف التاروتي ، وعبد النبي المانع ، وعبدالله الذهبه الخطي ، والسيد محمد الفلفل ، وعبد الحسين ابو ذيب ، ويوسف ابو ذيب ، وحسين آل عمران ، ومحمد بن سلطان ، وعبد العزيز الجشي ، ومحمد الزهيري ، واحمد نصرالله وأمثالهم ، ومن المؤسف ان اكثر هؤلاء الشعراء أضاعوا موهبتهم الشعرية بالابتعاد عن واقعهم ، فهاموا بالكثبان والدمن ،

وبكوا الرسوم والاطلال ، وعمدوا الى اتباع الطريقة التقليدية التي درج عليها شعراء ذلك العصر .

وقد رأينا ان نقدم ثلاثة نماذج من أولئك الاعلام الادباء ، لأن لشعر هؤلاء خصائص لا تتوفر في شعر غيرهم .

١ - الشيخ حسنعلي البدر :

عالم من اساطين العلماء في القطيف ، أقام في النجف الأشرف طيلة حياته ، وأسهم في المحيط السياسي ، فكتب رسالة تحت اسم « دعوة الموحدين الى حماية الدين » شجب فيها الاعتداء الايطالي على ليبيا وأعمالها الوحشية في طرابلس الغرب ، ودعا الى الجهاد وحمل السلاح ضدها . له رسائل في الفقه والاصول طبعت في النجف الاشرف .

ومن شعره وقد ظهرت فيه النزعة الفلسفية :

ومن ينظر الى الدنيا بعين بصيرة	يجدها اغاليطاً واضغاث حالم
ويوقظه نسيان ما قبل يومه	الى انها مهما تكن طيف نائم
ولكنها سحاره تظهر الفنا	بصورة موجود بقالب دائم
ولا فرق في التحقيق بين مريرها	وما يدعى حلواً سوى وهم واهم
فكيف بنعماها تغر اخاحجي	فيقرع ان فاتت لها سن نادم
وهل ينبغي للعارفين ندامة	على فائت غير اكتساب المكارم
على قدر بعد المرء منها ابتعاده	عن الروح واللذات ضربة لازم

٢ - احمد بن مهدي بن نصر الله :

ورث الزعامة من أبيه الشيخ مهدي ولكن علاقته بالحكام النجديين ساءت أخيراً فصودرت أمواله وأملاكه ، ففر الى قطر ، ومنها عبر الى جزيرة البحرين ثم أبحر منها الى أبي شهر والبصرة حيث اتصل بالمسؤولين الاتراك ومدح السلطان عبد الحميد العثماني بقصائد بعثها اليه ، وشجعهم على الاستيلاء على هذه المنطقة ، فقدم مع الحملة العسكرية ، فأعادوا اليه أمواله وأملاكه وبقي سيد البلاد حتى توفي سنة ١٣٠٦ هـ.

ترك ديواناً ضخماً يقع في أربعة مجلدات . وله قصائد مطولة تتجاوز مائة وعشرين بيتاً ، وقد جارى المعلقات السبع ، كما جارى ابن أبي الحديد في قصائده « السبع العلويات » فنظم على نفس الروي والبحر قصائد مماثلة ، وكان رغم مشاغله السياسية والاجتماعية شاعراً مكثراً ، وله اكثر من ماية قصيدة في رثاء الشهداء ، وشعره يتسم بالقوة والاغراق في غريب اللغة ، ولعل ذلك يرجع الى سعة اطلاعه وبعد ثقافته ، ومن شعره الذي يجسم آماله ومطامحه :

سبع وعشرون اهتبلن لي العدى ... فغدت بكاسات العنا تتجرع
أرعى من العهد القديم بروضة ... أنفي وأدعو معرضاً ما يسمع
وأظن من عصر الصبا بشبيبة ... ذهبت وفات بها الزمان المهيع
مالي اذل ولا ذراعي رخوة ... كلا ولا غضبي كهام يوزع
ولأقذفن بكل حزق واسع ... عيساً تجـــد الده وتزعزع
ولأحملن على الدجنة فتيـــة ... يجبى لهم من كل فضل مرتع
فهم نجاد المجد أين تنجدوا ... وهم طلاع المجد أين تطلعوا

٣ – عبد النبي المانع :

شاعر مطبوع ، وقفت له على قصيدة رائعة استهلها بابيات غزلية في منتهى الرقة ، تدل على شاعرية ممتازة خصبة . منها :

لما اتخذن من الجمال سلاحاً ... صيرن قتل العاشقين مباحا
لم تدر كيف القتل أجناد الهوى ... حتى شهرن من الجفون سلاحا
وبرزن من خلل الخبا يززن من ... قاماتهن على القلوب رماحا
يا حبذا ذاك السلاح وحبذا ... وقت يكون الحسن فيه سلاحا
بيض تريك من الغدائر في الضحى ... ليلاً ومن غرر الوجوه صباحا
وتريك من خصر السوالف مأثراً ... روضا ومن خمر الرواشف راحا
تلك الثغور كأنهن بما جرى ... فيهن من شنب نبتن اقاحا
وردية الوجنات الا انني ... بين الشفاه اخالها تفاحا
حمر الملابس والحلي عوابقاً ... طيباً بغير تطيب فياحا
اقمار تم لو نظرت بدورها ... أبصرت من هالاتها الارواحا
أرام أنس ما أردن سوى الحشى ... مرعى ، ولا غير القلوب مراحا
ولقد بكيت من الغرام بمدمع ... أودعته سر الغرام فباحا
وكتمت أشواقي فبرحها الاسى ... وسترته فوجدته فضاحا
برح الخفاء بزفرة وبعبرة ... يتساجلان تألقاً وسماحا

٦ — العصر الحديث

الكلام على الحياة الثقافية في هذه المنطقة في عصرنا الحاضر متشعب النواحي متعدد الاطراف ، لا يفي به هذا الفصل الذي جاء ضمن فصول هذا الكتاب ،

ولا يفي أيضاً بالحديث عن رجالات العلم والادب واعطائهم حقهم ، والافاضة عن حياتهم وآثارهم ، فالحديث عن الحركة الثقافية وحدها يستلزم كتاباً مستقلا نرجو ان يتحقق مشروعه في المستقبل ، لذلك لا يمكننا في هذا المجال الا اعطاء فكرة عامة عن أهم مظاهرها على نحو من الاختصار .

الواقع ان هذه المنطقة قبل ربع قرن مضى أو أكثر بقليل ، قبل ان توجد مدينة الدمام والخبر ومناطق الزيت لم تعرف شيئاً من أسباب التطور ، فلم يكن فيها مدارس للتعليم ، ولم يكن فيها طباعـة او صحافة ، وكل ما هنالك كانت توجد كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب .. منتشرة في مدينة القطيف وضواحيها ، ويوجد الى جانب هذا التعليم البدائي حلقات من الدراسات العلمية يرعاها رجال الدين ، حيث يتلقى الطالب في دراسته علوم اللغة العربية والمنطق والفلسفة وعلم الكلام والفقه والاصول ، على غرار الدراسة في جامعة النجف الاشرف ، وهذه الحلقات يرجع اليها الفضل في تخريج علمائها وفقهائها ، والرعيل الاول من أدبائها وشعرائها ، الذين كانوا نواة للنهضة الادبية الحديثة .

وقد حفلت القطيف بشخصيات علمية فذة ، سهروا على رعاية الحركة الثقافية ، وأدوا دوراً كبيراً في مجال التثقيف والتعليم ، نذكر في طليعتهم العلامة الاكبر الشيخ علي أبا الحسن الخنيزي صاحب التآليف الشهيرة ، والشيخ عـلي الحاج حسنعلي الخنيزي الزعيم الديني المعروف ، والسيد ماجد العوامي ، والشيخ عبدالله المعتوق ، والشيخ محمد صالح الصفواني ، والشيخ فرج العمران ، والشيخ محمد علي الجشي ، والشيخ محمد علي الخنيزي ، والشيخ محمد صالح البريكي ، والشيخ منصور آل سيف ، والشيخ ميرزا حسين البريكي ، والشيخ منصور البيات وغيرهم من شيوخ العلم ورجال الدين .

لقد كان هؤلاء وغيرهم من وجوه العلم والثقافة .. هم الذين رعوا البذرة الاولى

للحركة الثقافية المعاصرة في مدينة القطيف ، فتخرج على أيديهم الرعيل الاول من شعرائها وأدبائها المجددين ، وكان بين هؤلاء أدباء وشعراء مكثرون نذكر منهم على سبيل المثل الشيخ علي الجشي وله ديوان ضخم وقد صدر له مجموعة شعرية « الشواهد المنبرية » وكذلك الشيخ فرج العمران الذي اشتهر بنظم الاراجيز ، وله ديوان شعر (الروض الانيق) طبع اخيراً .

ولا ينكر ان لبعض الشخصيات التي استوطنت القطيف فترة طويلة من الزمن كالاستاذ خالد الفرج دوراً كبيراً في نشاط الحركة الادبية وأثراً بعيداً في تطور الحياة الفكرية لدى أدباء الجيل الشباب ، وقد كان للصحف والمجلات التي تصدر في البلاد العربية والمطبوعات من انتاج الادباء والشعراء المعاصرين في مصر ولبنان وسوريا والعراق والمهجر عامل فعال في تطور الانتاج الادبي ، وتأثره تأثراً واضحاً بالاتجاهات الفكرية والمذاهب الشعرية الحديثة ، وعلى الاخص المذهب الرومانتيكي الذي اصطبغ به أدب جيلنا المعاصر .

وقد حملت أمهات الصحف وكبريات المجلات في السنوات الاخيرة انتاج عدد غير قليل من شبابنا الشعراء والادباء .. نذكر في طليعتهم الرواد الاول للحركة الشعرية الحديثة عندنا .

١ – خالد الفرج :

ولد سنة ١٣١٦ بمدينة الكويت ثم هاجر الى الهند ، وأقام فيها فترة من الزمن ، ثم عاد وتنقل في أنحاء الخليج ، حتى استقر به المقام في مدينة القطيف ، فلبث فيها حوالي خمس وعشرين سنة ، حيث تولى بعض الوظائف الحكومية ، وعين فترة مديراً لبلديتها ، وفي آخريات حياته أسس المطبعة السعودية في مدينة الدمام ثم هاجر الى دمشق ، وأقام فيها حتى توفي سنة ١٣٧٤ هـ.

له مؤلفات مخطوطـــة ، ومن كتبه المطبوعة كتاب « أحسن القصص » و « علاج الامية في تبسيط الحروف العربية » والجزء الاول من ديوانـــه .

ومن شعره :

انا شاعر لكن ببؤس ببلادي	أفؤادكم يا قوم مثل فؤادي
يا قوم هل من ناظر فأريه ما	فيها وهل من سامع فانادي
زعماؤنا متخاذلون لجهلهم	والكل للثاني من الاضـداد
والعالمون حديثهم بعلومهم	وصف المآكل من لذيذ الزاد
قد قاوموا روح الهدى بسلاحهم	يرمون ذا الاصلاح بالالحـاد
والعلم كل العلم فينـا عمـــة	وقفت لنا سدّاً من الاسداد
فالمصلحون خوارج من دينهم	والجاهلون مصابح الارشاد
واذا ابن هذا العصر جاء مفاخراً	بعلاه فاخرناه بالاجـــداد
نحن العظاميون نفخر بالألى	عظموا بقرطبـة وفي بغداد
صعدت الى قمم الجبال جدودنا	فعلام صبرنا في حضيض الوادي
نمنـا فقام الآخرون فأسسوا	بالعـلم مجداً شامخ الاطواد

٢ ـ الشيخ عبد الحميد الخطي :

شاعر من الرواد الأوائل ، تلقى تعليمه في القطيف ، ثم هاجر الى النجف الاشرف فأكمل ثقافته هناك ، ثم عاد أخيراً وأسهم في الحركة الادبية ، يتميز بثقافة لغوية بارعة ، له كتاب « آراء وخواطر » وله بحوث ودراسات متنوعة ، ولديه مجموعتان من الشعر أولاهما «وحي العواطف» التي كتبها في شبابه وثانيهما « وحي النجف » وله رباعيات ، ومن شعره :

ارهفوا السمع وانصتوا يا رفاقي	لأساطـير شاعر خـلاّق

رب يوم قبل العصافير في الغاب وقبـــل الشموس في الآفاق
في سكون الدجى في هدأة الجدول في غفوة الشذا العبــاق
جئت أسعى لمشهد الجوهر الفرد وسر المكوّن الخــلاق
غربت أنجم السماء ولاحت أنجم في السماء ذات ائتلاق
والثريا شفافـــة تتجلى قد احيطت من السنا بنطاق
وبقايا الظلام في غرة الفجر تراءت كالكحل في الآماق
من رأى الفجر مصلتا ضبة النور ويعدو خلف الدجى بالعتاق
والدجى خافق الجوانح واهي العزم في حـــيرة وفي اطراق
نهض الليل هاتفاً بالنجوم الزهر هيـــا قد آن وقت الفراق
هكذا الفجر فلّ لليل جيشاً بعمود من شقـــة الانبثاق
هكذا يبلغ القوي الأمــاني ويؤوب الضعيف بالاخفاق
فتح الفجر جفنه فاكتسى الكون بـــبرد من السنا البراق
وانثنى الفجر مائس العطف يختا ل على ظل بنده الخفاق
وحفيف الاوراق والنسم الساري وعبق الربى ولحن السواقي
وتمطى الصباح من مهده الواجم يصغي لصيحـــة الصفاق
وصحا الطير بعد نوم عميق يتغنى على الغصون الرشاق
واطلت من خدرها غادة الآفاق ترنو الوجود لحظ استراق
وتهادت في موكب النور ثملى تتخطى مناكب الآفاق
ذاب تبر الشروق في قبة النور فشاهــد مفاتق العشاق
يا لها من مناظر تترك الشاعر رهن الفتون جم اشتياق

* * *

منظر أبدعت يد الفن فيه متعة النفس نزهــة الاحداق

ملأ النفس نشوة وارتياحاً   فوجدت المرير حـلو المذاق
وسقاني من خمرة القدس كأساً   حلقت بي لعالم الاشراق
أنا منها أكاد اعرج للذات   واسمو سمو رب الـبراق
أنا منها كأنني في ظلال الخلد   في جنب جـدول دفـاق
غمرتني الالطاف فيها فآمنت   بأن الالطاف بنت العراق
يلهم الشعر من رقيق المعاني   وأنا شاعر المعاني الدقـاق

* * *

انت اطلقتني وكنت أسيراً   طالما قد شـكوت ثقل وثاقي
بك اصبحت كالوليد خليـاً   من هموم الحيـــاة والاطواق
سوف أرعى الالطاف والنعم   العصم وتبقى في القلب مادمت باقي
ويوفيك شاعر أخلص الود   طهور الفؤاد سمح الخلاق

٣ — عبد الرسول الجشي :

اديب وشاعر ، ولد عام ١٣٤٤ هـ. تلقى تعليمه في النجف الاشرف ، وفيها تفتحت مواهبه ، فنظم الشعر ونشر دراسات أدبية وتاريخية في صحف العراق، وعهد اليه بتحرير مجلة « الغري » ثم عـاد أخيراً الى وطنه فساهم في الحركة الادبية ، له بحوث ومقالات في مواضيع متنوعة ، وله ديوان شعر لم ينشر اسمه « غزل » ، وله قصائد جيدة في المناسبات ، ومنها قصيدته التي كتبها بمناسبة الاحتفال الذي أقيم على شرف الدكتورة بنت الشاطىء وزملائها :

بلد عريق في الحضارة نـير   ورسالة من عهد خوفو تؤثر

وثقافة شهدت أثينا فجرها ومشت على أضوائها تتأثر
حفلت بها دنيا القديم ولم تزل آثارها مثل الكواكب تزهر
فكأن مصر على الزمان قلادة من خير ما قد أبدعته عبقر
آمنت بالمجد التليد ومثله مجد طريف في البلاد مشهر
صحف منشرة تفيض معارفاً شتى وفناً بالاوابد يزخر
والخالدات معاهداً ونوادياً هي للتقدم والسعادة عنصر
نهضت بها فتياتها ورجالها حتى تكاد بها السما تتسور

* * *

يا قادة الجيل الجديد تحية أزكى من الزهر الندي وانضر
ألقى الربيع على المباسم ظلها وافتر منها الارجوان الاحمر
ولقد وقفت مرحباً ومعرفاً بكم ولست بما أعرف أفخر
ولعل في الاجفان دمعة آسف اني بمجد الغابرين أفكر
هذي بلادي وهي ماض عامر مجداً وآت بالمشيئة أعمر
ألقى عصاه على فسيح جنانها وعلى الجزائر عالم متحضر
وأقام فيها نهضة علمية بالعلم تسندها العقول وتنصر
وأذلت التيار تحت شراعها فلها عليه تحكم وتأمر
وترى السفائن بالتوابل والحلى والعطر من بلد لآخر تمخر
شهدت موانيالهند خفق شراعها فكأنها فوق المياه الأنسر
وشواطىء اليونان لم يبرح بها من ذكريات سفينها ما يسكر
ولها على وادي الفرات ودجلة فضل المعلم وهو فضل يشكر
وطوى الزمان سجلها وتعاقبت من بعدها أمم طوتها الاعصر

وأتت ربيعة وهي غرة يعرب ... واذ بهـا يوم الكفاح واصبر
وأعزها جاراً وأكثرها حمىً ... اذ يمحل البلد الخصيب ويقفر
فرأت بها الوطن الخصيبة أرضه ... للماء فيـــه تدفق وتفجر
والنخل وارفة الظلال كأنها ... جيش كثيف بالخليج معسكر
تهدي لها الصحراء في السحر الصبا ... فتمر كالحلم اللذيذ وتخطر
والبحر يهديها اللالىء زينـة ... وتجارة فيهـــا الغنى يتوفر
وكصفحة المرآة جو مشرق ... وكلوحة الفنان ريف مزهر
دنياً بها من كل فن ساحـر ... ولكل ما تصبو النفوس مصوّر
ورأت بها لغة العروبة بيئة ... شعرية توحي وجـواً يسحر
فاذا الضفاف نشائد مسحورة ... وكأنها في كل حلـق مزهر
الملهمون المبدعون تسابقوا ... فيها بمدرجة الخلود وشمروا
شعراء عبد القيس تهزج بالهوى ... فيجيبها من بكر رهط اشمر
فيها جنى ابن العبد حلو شبابه ... راح وريحان ووجـــه أقمر
وخيال خولة يستثير غرامـه ... فيظل في أطلالهــــا يتحسر
وابن المقـــرب لم تزل آثاره ... بالفخر والشكوى تضج وتزأر
ولجعفر الخطي فـــن خالد ... وروائع غنى بهـــن السمر
هذي بلادي في قديم عهودها ... عـــلم وفن خالد لا يدثر
واليوم يدفعها الطموح لنهضة ... بشبيبها تسمو الشعوب وتكبر

٤ ــ محمد سعيد الجشي :

أحد شعراء القطيف الشباب وأدبائها ولد عام ١٣٣٧ هـ. تلقى تعليمـه في مدينة القطيف ، وقد كان مجلياً في شعر المناسبات وله ديوان شعر مخطوط اسماه

« الانغام » ومن شعره :

تجـــددي تجـــددي — انت ليومي وغدي
يا زهرة ريانـــة — ترف بالعطر الندي
انت على صدر الربيع — روعة التجـــدد
عيناك في سحرهمـا — وحي هزار غـرد
وانت في فم القريض — نغمـة « لمعبـــد »
يا غادة عشقتهـــا — حسناء مثل الفرقد
هيفاء من رقتهـــا — كالغصن في التأود
كروضة مزدانـــة — في ثوبهـــا المورد

٥ ـ محمد سعيد الخنيزي :

أحد شعراء الشباب ولد عام ١٣٤٣ هـ. تلقى تعليمه في القطيف ، ثم زاول مهنة المحاماة في المحاكم الشرعية ، صدر له ديوان « النغم الجريح » وله مجموعات شعرية أخرى ، ومن شعره :

سألتني اسمـــاء ذات مساء — عن سكوتي وحيرتي وفتوري
ما الذي اسكت الهزار عن — الشدووهذا الربيع فجر الطيور
أيها الصادح الذي اسكر الزهر — فذاعت أسراره في العبير
عد الى وكرك الجميل وردد — نغمات مع الصبـاح البكور
يا نجي الطيور والحقل والورد — ترنم على أغـــاني الغدير
ما حنين الاوتار ما نغم العود — وما نسمـــة الصباح المنير
غير الحانك التي هي فجر — ودموع لجرح قلب كبير
قم الى الحقل واطرح القيد وانهض — لحيـــاة مملوءة بالسرور

قم الى الصبح فهو في الروضة الغنّاء يحبو على بساط الزهور
انهب العيش واللذائذ في الحقل فما انت غير ظلّ قصير
واّطرح عنك كل عبء ثقيل انت حر تعيش مثل الطيور
ملكك الجو والفضاء فحلق بجناح الخيال والتفكير
انما انت طائر يتغنى بجمال الطبيعة المأثور

٦ — عبد الواحد الخنيزي :

أحد شعراء الشباب ، ولد عام ١٣٤٥ هـ. نظم الشعر في سن مبكرة ، ثم تركه فترة من الزمن ، ولكنه عاد أخيراً يغرد من جديد ، له ديوان « حب وأمل » ما زال مخطوطاً ، ومن شعره :

لبنان يا مسرح الولدان والحور رضمت حبك في كأس من النور
لبنان يقظة أحلام مجنحة وغفوة الحب في أجفان مسحور
يغفو على قبلة سكرى واغنية ويستفيق على نجوى الشحارير
سمعت في ليله الساجي صدى قبل وبوح آهات مفتون ومهجور
كم قبلة عذبة الايقاع لحنها فم على شفتي سكرى ومخمور
تطوى لياليه في اجفان ساحرة بين الكؤوس وأنغام المزامير
وينطوي يومه الكسلان متكأ على وساد من الاحلام مغمور
ربيعه المبدع الفنان أغنية طافت على فم شلال وعصفور
وحومت وارتمت في حضن ساقية وذوبت سحرها في ثغر شحرور
وعربدت في السفوح الخضر وارتجلت رياضها البكر الوان الازاهير
ولامست ذروات الشم فاغتسلت هاماتها السمر بالأطياب والنور

٧ – عباس مهدي خزام :

أحد شعراء الشباب ، بـــدأ حياته في تعلم الخطابة ، ثم تركها وامتهن الصحافة ، وله بعض الدراسات الأدبية ، وقد طبع أخـيراً ديوانه « أنغـام وآلام » ومن شعره :

يا خيول الظلام ها انا ميدان فدوسي على جناجن صدري
وامسحي جبهة الوجود باشلائي وخطي بفحمة الليل قبري
اطفئي مشعل الاماني في قلبي ونادي الظلام يحجب فجري
والنشيد الذي يذوب بقلبي اقتليه واهرقي كأس خمري
وارو للفجر والربيع أناشيدي وللزهر والعنادل شعري
واطوي في البديع والحلم العا طر واطوي المنى وصفحة عمري
فانا لست للحياة ولا للفجر الا كظامىء وسط قفر
ينشد الصبح والربيع أناشيدي وتعوي الرياح في روض صدري

٨ – احمد الكوفي :

أحد شعراء القطيف المصاميين ، كتب الشعر الجيد وليس له الا المام بسيط بمبادىء القراءة والكتابة ، ولكنه أخيراً نمّى موهبته بالمطالعة وتعلم مبادىء اللغة العربية ، له ديوان مخطوط ، ومن شعره :

كن ثابتاً مطمئن القلب مبتسماً ما دمت حياً وكن بالله معتصما
وثق بربك دون الخلق متكلا عليه في كل أمر هان او عظما
وان ترد هيبة من دون سلطته خف الاله وكن بالصمت ملتزما
واحبس لسانك لاتطلقه في هزل فرب قول به الانسان قد اثما

صن ماء وجهك واصدق في الحديث تكن حر النقيبة عند الناس محترما
واحفظ شؤونك واصحب ان اردت أخا علم فما كان ذو جهل كمن علما
مطية الجهل قد ضلت براكبها والعلم لا زال حياً من به اعتصما
وصاحب العلم لم تغرق سفينته يوماً اذا ماج بحر الغي والتطما
فكن من النفس والشيطان في حذر ان سولا لك أمراً فاعص أمرهما
ولا تكن باكتساب الرزق مشتغلا عما خلقت له فالرزق قد قسما
قد اقسم الله في قرآنه قسما بانه كان للارزاق ملتزما

وهناك بعض الشعراء الناشئين الذين يرجى لهم مستقبل باهر في عالم الشعر ؛ نذكر منهم :

٩ – عبد الوهاب حسن المهدي :

تلقى تعليمه في المدارس الحكومية ، وفيها أتم دراسته الابتدائية ، فتفتحت موهبته ، فزاول نظم الشعر ، وله مجموعة شعرية ، ومن شعره :

كم عليه ياصاحبي طافت الذكرى وتاهت .. كما يطوف الخيالُ
وتهادت عرائس الشعر في مغناه سكرى يختال فيها الجمال
فكأن الرمال حول مجاليه بساط تحبو عليه الظلال
وكأن النسيم يبدو ملاكاً دارجاً في رحابه يختال

* * *

كم عليه نسجت من حلو آمالي خيوطاً محلولة من رجاء

حيث في قربه تغازل احلامي		عذارى المنى ذوات البهاء
وتطوف الانسام حولي نشاوى		تتهادى عند اصطفاق المـاء
فاذا للطبيعة البكر الوان		رؤاه تميس في حيـــلاء

* * *

ذكريات تمر في خاطري الغافي		فيصحو على لظى ذكرياته
فتمنيه ، والامـاني سراب		يجتلي للظمآن في رشفاته
وتمر الحيـــاة ما بين عينيه		كمثل الخيال في سبحاته
ثم تطوى عليه أجنحة الذكرى		فيغفو على لظى آهاتــه

١٠ – سعيد البريكي :

أتم تعليمه الابتدائي والثانوي في المدارس الحكومية ، وهو – الآن – على أبواب الجامعة ، وفي خلال دراسته تفتحت موهبته الشعرية ، فنظم الشعر رغم انشغاله بمواصلة الدراسة ، ويرجى له مستقبل باهر في دنيا الشعر ، ومن شعره :

غفوت وقد لاح نور القمر		سطوعاً يشع بنور أغر
ورفت على الكون روح السكون		وطاف الرقاد بعين البشر
وطوفت في عالم الذكريات		ومرت أمامي شتى الصور
ونبهني حـــلم هزني		وذكرني بالليالي الأخر
ليالي بت بها احتسي		كؤوس الطلا تحت خفق الوتر
فاطلقت فيها لفكري العنان		وطافت برأسي شتى الفكر
وخاطبت نفسي في حيرة		وران علي الأسى والضجر

أما آن لليل ان ينجلي | وتشرق شمس النهار الأغر
وأمسيت ارقب وجه الصباح | وصعدت في الكائنات النظر
فصافحني النور ملء الفضا | وقد طال حتى نما وازدهر
ومس سناه جبين السماء | فاخجل أنجمها والقمر
وطافت على مسمعي نغمة | وزغردة من نواح اخر
وتكبيرة من وراء الضياء | ورجع يزيد جلال السمر

ويوجد غير هؤلاء من الشعراء الذين أسهموا في الحياة الادبية نذكر منهم الشيخ علي المرهون صاحب كتاب (لقمان الحكيم) ، وسليمان المسلم ، وملا عبدالله الخباز ، والشيخ حسين القديحي ، وملا علي رمضان وقد طبع أخيراً ديوان شعره ، واحمد المصطفى ، وحسن الشيخ فرج . وأمثالهم من شعراء المناسبات ممن لا تحضرني أسماؤهم .

وهناك ايضاً الى جانب هؤلاء الشعراء نخبة من الادباء والكتاب الذين حملوا مشعل الفكر ، نذكر في مقدمتهم الاستاذ سلمان الصفواني صاحب جريدة اليقظة العراقية الذي هاجر الى العراق وأسهم في الحركة الوطنية ، وكذلك الاستاذ محمد حسن بن نمر الذي حذا حذوه ، وهو اول رائد قطيفي للقصة ، وقد اصدر جريدة سياسية في العراق ، ونشر له مجموعات قصصية .

ومن الرواد الأوائل الذين عالجوا فن المقالة المرحوم علي ابو السعود وعبدالله اخوان ، وحسن الخنيزي ، وتلاهم الرعيل الاخير وفي طليعتهم السيد علي العوامي وعبدالله الخنيزي مؤلف كتاب « ابو طالب » ، والسيد حسن العوامي ، وجعفر سنبل ، وموسى الشيخ علي القصصي المعروف ، وعلي سلمان الصفواني ، وعلي الزاكي ، وعبدالله الحجاج ، وغيرهم .

وهناك لفيف من الشباب المثقف الذين قاموا بدافع من الشعور الوطني ، فأسسوا مكتبة أهلية عامة في القطيف ، ظهر أثرها فيما بعد بمساهمة عدد من أعضائها في الحركة الأدبية ، وفي مقدمتهم رئيسها الحالي السيد سعيد العوامي خريج الجامعة الامريكية في قسم الصيدلة .

هذه أهم وجوه الثقافة في مدينة القطيف ، وما دمنا نتكلم على الحياة الثقافية فلا يمكننا في هذا الصدد إلا أن نتكلم على الحركة التعليمية الحديثة ، التي رافقت حركة الاصلاح والتنظيم الاداري في حكومتنا الفتية ، وشملت جميع مدن المنطقة ، لقد افتتحت أول مدرسة ابتدائية في القطيف عام ١٣٥٧ هـ فلم تجد حينذاك تشجيعاً من الأهالي ، فكان الاقبال عليها ضئيلاً نظراً لضعف برامجها أولاً ولسيطرة الافكار الرجعية على الأهالي ثانياً ، ولكنها بعد سنوات قلائل أخذت تتمتع باقبال منقطع النظير ، وضاقت مقاعدها عن استيعاب الطلاب الذين سجلوا اسماءهم .. الأمر الذي استدعى مديرية المعارف الى افتتاح مدرسة ثانية ، كما افتتح فيها قسم للدراسة الثانوية ، وتتالت جهود مديرية المعارف السعودية في نشر التعليم ، فعمدت الى فتح المدارس الابتدائية في القرى والأرياف ، ومنذ عامين افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنات .

وكذلك كان الأمر في مدينة الجبيل العريقة فافتتحت فيها مدرسة ابتدائية ثم مدرسة ثانوية ، ومدرسة للبنات ، وقد نشطت فيها الحركة الأدبية أخيراً فبرز فيها عدد من الادباء .. نذكر منهم :

١ ـ عبد الرحمن العبيد :

كاتب وشاعر ، ولد في مدينة الجبيل ، وتلقى فيها دراسته ، ثم انتقل الى مدينة الدمام ، والتحق بالوظائف الحكومية . ساهم بنصيب كبير من

الحركة الادبية ، فأصدر كتابه « الادب في الخليج العربي » واشتغل فترة في تحرير جريدة أخبار الظهران . وله عدة مؤلفات مخطوطة ، وديوان « في موكب الفجر » .

٢ – يوسف الشيخ يعقوب :

كاتب اجتماعي ولد في الجبيل ، وأتم دراسته الابتدائية فيها ، ثم زاول الكتابة وعني بكتابة البحوث الاجتماعية ، فاصدر قبل سنوات جريدته « الفجر الجديد » المحتجبة بمدينة الدمام بالاشتراك مع أخيه أحمد .

٣ - ثاني المنصور :

عالم وشاعر ، ولد بالجبيل ، وأتم دراسته على بعض علماء الاحساء ، ثم عين استاذاً بمدرسة الجبيل ، ثم بارحها الى الرياض حيث عين مديراً للمدرسة الخالدية ، فمفتشاً للعلوم الدينية ، وله ديوان شعر مخطوط .

وهناك غيرهم من الادباء والكتاب منهم محمد سليمان الشيحة ، وعبد الرحمن البهيجان ، وسعود المرشد العقيلي ، وراشد محمد الخاطر وأمثالهم .

* * *

أما الحركة الثقافية في الدمام والخبر والظهران وبقية مناطق الزيت .. فهي حديثة العهد حداثة هذه المدن في نشأتها وتكوينها ، فلم يكن لها ماض ثقافي ، وكل ما في الامر انها حفلت بروافد من السكان القادمين من أنحاء المملكة وبعض الجاليات ، ويتألفون كلهم من التجار ورجال المال والاعمال والموظفين والعمال ،

فاستوطنوها ، وفيهم الشاعر والكاتب والاديب ، فتكونت فيها حركة أدبية، وساعد على نموها وازدهارها وجود الطباعة والصحافة ، وانتشار المدارس التي رافقت حركة التقدم والعمران .

لقد تأسست في مدينة الدمام شركة الخط للطبع والنشر ، فاصدرت جريدة أخبار الظهران التي تولى رئاسة تحريرها في أول صدورها الاستاذ عبد الكريم الجهيمان ، وتأسست كذلك المطبعة السعودية بمساعي المرحوم خالد الفرج ، والتي قامت بنشر بعض الكتب ، ومطبعة المطوع التي تقوم بطبع جريدة *Sun Flair* التي تصدرها شركة أرامكو ، وصدرت في الدمام جريدة (الفجر الجديد) المحتجبة لصاحبها الاستاذ يوسف الشيخ يعقوب ، كما صدرت في الخبر مجلة (الاشعاع) لصاحبها الاستاذ سعد البواردي والتي توقفت عن الصدور ، ثم صدرت أخيراً مجلة (الخليج العربي) التي تحولت الى جريدة اسبوعية لصاحبها الاستاذ عبدالله شباط والتي منح امتيازها أخيراً للاستاذ علي بو خمسين ، وهناك عدد من المطابع التجارية كالمطبعة الفنية في الدمام ومطابع وزنكوغراف المنطقة الشرقية في الخبر .

وقد عرفت وجوه في الادب والشعر من سكان الدمام والخبر والظهران .. نذكر في طليعتهم :

١ ــ احمد الراشد المبارك :

شاعر وكاتب من الرعيل الاول بين أدباء المنطقة الشرقية ، هاجر من مسقط رأسه الاحساء وقطن مدينة الخبر ، وهو الآن من رجال الاعمال فيها ، وقد برزت خصائصه في النقد ، وله دراسات تاريخية وبحوث متنوعة ، ومؤلفات مخطوطة ، أهمها (المذاهب الفكرية في الاسلام) وله ديوان شعر (الصدي

الضائع) ما زال مخطوطاً ، ومن شعره :

اذا خفقت ريح الصبا بعد هجمة تخيلها قلبي رسول هواهـــا
وابصرها في الروض والروض ناضر فيبدو لقلبي ان ذاك رؤاها
وألمحها في الزهر والزهر يانـــع فاحسب عبق الزهر عرف شذاها
واسمع همس النهر في هدأة الدجى فاصغي اليه استبث شجاها
وان هتفت ورقاء في ظل دوحة تفيأتها أهفو للحن غناهـــا
كأن هشيم الروض تلهو به الصبا على قلبي المبتور وقع خطاها
ويا رب ليل قمت للكأس والدجى مهيب وقد غال النيام كراها
وما كنت أهوى الخمر لولا صبابة تخفف عني الخمر بعض لظاهـا
ويا ليتني لم أعرف في الدنى ويا ليتها اذ (قدرت) شفتاها

٢ ـ محمد أحمد فقي :

شاعر وكاتب ، ولد في مكة المكرمة سنة ١٣٥٠ هـ وأتم دراسته بمدرسة دار الايتام ، ثم التحق بمدرسة الشرطة ، وتخرج منها برتبة ملازم ثاني ، ثم انضم الى بعثة حكومية الى القاهرة ، حيث تخصص في شؤون المرور ، وفي سنة ١٣٧٤ هـ نقلت مهام أعماله الى المنطقة الشرقية في الظهران ، حيث تقلد أعمال رئاسة قلم المرور .

صدر له كتاب « نوادر ومختارات من قصص الاعراب » سنة ١٣٧٤ هـ وينوي طبعه من جديد حيث اضاف اليـه اشياء كثيرة ، وفي عـام ٧٨ تولى

رئاسة تحرير جريدة « الخليج العربي » ، وله كتب مخطوطة وديوان شعر ، ومجموعة قصص ، ومن شعره :

اراك فيأمر منك الجمال ... فؤادي ويشعل فيّ الحنين
اراك فاذكر عهداً مضى ... وطالت لياليه بين الفتون
اراك فاسعد من نظرة ... ترد الحياة لقلب الحزين
اراك فاعلم ان الحياة ... جمال وانت بـه تنعمين
اراك فيرقص في مهجتي ... غرام وشوق به تعلمين
اراك فاطرب من نشوة ... تزيل الهموم عن المتعبين
اراك فاعجب ثم انثني ... اغنيك لحن غرامي السجين
واطرب سمع الزمان الكبير ... بلحن الوفاء وحبي المكين
اراك فاشعر ان الجمال ... فضا ، له فيض وانت المعين

٣ - عبد الرحمن المنصور :

شاعر مقل ، ولد بالزلفى من اعمال نجـد سنة ١٣٤٥ . واتم دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق في بعثة الى القاهرة ، فحاز على الشهادة العالمية في الفلسفة والآداب ، واللغة والدراسات الاسلامية من كلية اللغة العربية ، كما حاز على دبلوم في التربية وعلم النفس من معهد التربية العـالي للمعلمين بجامعة عين شمس ، ثم عاد وعمل في مكتب مصلحة العمل والعمال في الدمام ، ثم عهد اليه أخيراً رئاسة المكتب حينما تحول الى ادارة تابعـة لوزارة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية .

ومن شعره :

أنعيش والمحراث والفأس الثليم
والأرض نزرعها ويحصدها الغريم
وكآبة خرساء تقضمنا على مر السنين
لا فرحة ، لا بهجة ، غير الكآبة والأنين
والارض نزرعها ، ويحصدها الغريم
رباه ! هل نبقى كهذي الساقية
أبداً تئن ، فتضحك الاقدار منها هازئة
أبداً تئن ، صباحها كمسائها
مكلومة تشكو على مر السنين
والناس تحسب شجوها الباكي لحون
فرمى أبي المحراث ، وانثالت شجون
لا تجزعي ، فلقد تباركنا الحياة ، فتفرحين
فتهاملت منها دموع .
وتلاعبت فيها ظنون
ويشب في اعماقها لهب حنون
رباه ! فاجعل بكرنا .. هذا الجنين
وتمر أعوام ، وحملق في القطيع
شيء صغير ، شيء فظيع
شيء تضيق به الطريق
طفل ، ملامحه ، تمرده .. رضيع

لقد رأينا أن نقدم ثلاثة نماذج من الشعراء لمدن ثلاث حديثة النشأة ، الأول

من الاحساء يقطن مدينة الخبر ، والثـاني من الحجاز يقطن منطقة الظهران ، والثالث من نجد يقيم في مدينة الدمام ، وقس على ذلك بقية الادباء والشعراء ، ومن الملاحظ ان بعضهم ربما عاد الى بلده وانقطعت صلته بهذه المدن المستحدثة ، واذا كتب مؤرخو الآداب في كل اقليم عن اديب الحق بادباء اقليمه الذي ينتمي اليه ، كما فعل الاستاذ عبدالله بن ادريس في كتابه « شعراء نجد المعاصرون » ، رغم ان الكثير منهم ربما تفتحت مواهبه تحت سماء هذه المدن .

ويوجد عدد كبير من الشعراء والكتـاب الذين عرفوا بنشاطهم الادبي ، وساهموا مساهمة فعالة في ازدهار الحياة الادبية في هذه المنطقة ، وكنا نود ان نترجم لهم ونوفيهم حقهم لولا ضيق المجال ، فمنهم عبد العزيز المحمد القاضي ، وهو كاتب وشاعر اشتهر بمقالاته عن القومية العربية ، وعبد الكريم الجهيمان الذي كان يرأس تحرير جريدة « اخبار الظهران » وهو شاعر وكاتب ، وقـد عاد الى بلده اخيراً ، ومثله سعد البواردي الكاتب الاجتماعي المعروف صاحب مجلة « الاشعاع » التي كانت تصدر في مدينة الخبر ، وهو شاعر وكاتب نشرت له عدة مؤلفات وديوان شعر ، وابراهيم الناصر الكاتب القصصي المعروف ، وقد عاد الى نجد حيث اشرف على اصدار مجلة « ندوة المواصلات » ، وعبدالله شباط الذي أسس جريدة « الخليـج العربي » وهو كاتب له بحوث في مواضيع متنوعة ومؤلفات مخطوطة ، وعلي ابو خمسين الذي منح اخيراً امتياز جريدة (الخليج العربي) وهو كاتب قصصي ، وعبد الرزاق الريس الذي تخصص في شؤون العمل والعمال ، فكتب مقالات كثيرة في هـــذا الموضوع ، واسماعيل الناظر صاحب المحاضرات القيمة التي يذيعها في ركن زاوية الكتب من تلفزيون أرامكو ، ومروان الطاهر الذي يعنى بالدراسات الادبية ، واحمد سليمان القريـع ، واحمد فؤاد الغول ، وسيف الدين عاشور ، ومحمـــود المردي ، وعبد العزيز ابو سنيد ، وعبدالله الضبيب ، وفهمي بصراوي ، وشكيب الاموي ، وعلي

قناديلي ، ومحمد الهوشان ، وعبد السلام العمري ، وحسين الاشول ، وسعود الميسى ، وفوزان الصالح ، وعبدالله الكنهل ، ومحمد سعيد قربان ، وفهد الظاعن ، والياس ابو عطا ، وفيليب راسي ، ومحمد المانع ، وغيرهم الكثيرون ممن لا تحضرني اسماؤهم .

هؤلاء هم وجوه الادب والثقافة في هذه المدن المستجدة ، التي خضعت فيها مرافق العيش لبريق الذهب ، فهم فيها بمثابة القطر الندي في صحراء حياتها المادية المجدبة التي نضب فيها نبع القلب ، وغاض منها معين الروح .

٥/٨/١٩٦٢ م

محمد سعيد المسلم

المؤلف في سطور[1]



محمد سعيد المسلم

ولد في القلعة – القطيف عام ١٩٢٥ م ، ونشأ فيها ، وتلقى دراسته ، ثم غادرها الى بغداد عام ١٩٥١ واكمل ثقافته ، وفي خلال اقامته هناك مارس التجارة ، ولكن هذا العمل لم يتفق مع نزعته الأدبية ، فتركه وفتح مكتبة تجارية ، اسماها (الخليج العربي) ليوفق بين اتجاهه الأدبي وميدان العمل ، ولكن هذه المكتبة لم تعش طويلا اذ تعرضت لفتنة الشيوعيين في بغداد . فاحرقت ثم اغلقت لنزعتها القومية عام ١٩٥٩ ، ثم ترك بغداد عائد الى وطنه في أوائل عام ١٩٦٠ ، وعمل في بنك الرياض – فرع الدمام. وما زال حتى كتابة هذه السطور .

درس الأدب العربي قديمه وحديثه ، وقرأ شيئاً من الأدب الانكليزي ،

(١) ملخص من ترجمة نشرت في مجلة (المنهل) تحت عنوان شخصية الشهر في عددها الثامن من سنتها السابعة والعشرين ، ومن ترجمة نشرت في الثقافة الاسبوعية التي تصدرها المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر تحت عنوان (اديب من بلادنا) بتاريخ ١٩٦٢/١/١٨ .

وحصل على شهادة دبلوم في المحاسبة الحديثة من أحد معاهد بغداد ، وقد أسهم في الحياة الأدبية المعاصرة ، واشترك في مؤتمر بلودان عام ١٩٥٦ ، وقد كتب في النقد والمقال والشعر ، ونشر انتاجه في أمهات الصحف الأدبية منذ عام ١٩٤٧ .. في مجلات الأديب ، والآداب ، والعرفان ، والكتاب المصرية ، والعالم العربي ، والثقافة ، وصوت البحرين ، وكثير من المجلات الأدبية والسياسية في العراق والخليج العربي ، كما أذيعت له أحاديث ومحاضرات وقصائد من بعض المحطات الاذاعية والتلفزيون ، وقد ساهم في تحرير جريدة الجمهورية في بغداد ، وتولى فترة وجيزة تحرير جريدة أخبار الظهران .

نظم الشعر في سن مبكرة، وقد تجمع له مما كتبه من الشعر مجموعات، كانت اولاها الوتر الباكي ، ثم الصدى الحائر ، ثم شفق الاحلام الذي نشره عام ١٩٥٥ ولديه مجموعة رابعة تحت عنوان (عندما تشرق الشمس) .

وله مؤلفات مخطوطة أخرى في الأدب والنقد ومن شعره من ديوانه الأخير :

١ - « الحروف الخضراء » :

تلك الحروف .. مناجم من عسجد

ومشارق من أنجم

وغمائم خضراء .. ممرعة خصيبة

ومشاتل للنور .. في صحراء ليل مظلم .

جدباء .. تمنحها السماء عطاءها
فتبارك الارض الخصيبة
حييت يا وطن العروبة
يا مشتل الاشماع ..
يا معطي الاهلة في سخاء
يا صانع التاريخ والامجاد .. يا هبة السماء
لك في الحياة رسالة
هبطت عليك من السماء
فصدعت تنشرها .. فمجدت الحياة
فكنت ارض المعجزات
وكنت خير مبلّغ تلك الرسالة
في انبعاثتك الحبيبة
حييت يا وطن العروبة

* * *

لك في الحياة رسالة
خلدت على مر الزمان
فاصدع بها .. يا ابن الحياة
فالموت يحترم الجبان
لك من صوى التاريخ .. اقباس

وفوج من شموع
وانت وارث انبياء
حملوا رسالتهم .. وساروا
يغسّلون الليل .. بالدم .. والدموع
اعظم بها تلك الرساله
هي في جبين البعث هاله .

٢ – « القبس الموحي » :

انت لي .. حيث كنت تمتمة نشوى
وبوحاً على شفاه الزهور
وعلى خفقة الظلال .. ارتعاشات
وبين المروج .. شلال نور
وباغفاءة الشذا امتلاك
يجني .. قارورة من عطور
وبتهويمة النسائم .. روحاً
ناعم الخطو .. سابحاً في الاثير
انت لي .. حيث كنت قيثارة الشاكي
وبوح المعذب المهجور
انت حلم مغوف .. رفّ في جفني
وغامت أطيافه في شعوري

وسماء علوية تخفق الانجـــم

فيهـــا .. ندليانة بالعبـير

وملاكاً مجنحاً .. طالمـا طاف

بروحي .. في عـــالم مسحور

انت .. انت الربيع .. في دفئـــه

الأخضر .. والفن صادق التعبـــير

انت لي .. حيث كنت قبلاً وبعداً

قبساً موحيـــاً ، وينبوع نور

ثبت المصادر والمراجع

١ - المراجع العربية

١ - الكامل	لابن الاثير
٢ - اخبار الرسل والملوك	للطبري
٣ - معجم البلدان	لياقوت الحموي
٤ - فتوح البلدان	للبلاذري
٥ - تقويم البلدان	لأبي الفداء
٦ - مروج الذهب	للمسعودي
٧ - التنبيه والاشراف	«
٨ - اخبار الزمان	«
٩ - رحلة ابن بطوطه	لابن بطوطه
١٠ - رحلة ابن جبير	لابن جبير
١١ - احسن التقاسيم	للمقدسي
١٢ - كتاب مسالك الممالك	للاصطخري
١٣ - مسالك الممالك	لابن خرداذبه

١٤ – الاصابة لابن حجر
١٥ – الاصمعيات للاصمعي
١٦ – المفضليات للمفضل الضبي
١٧ – الحماسه لأبي تمام
١٨ – الحماسه للبحتري
١٩ – يتيمة الدهر للثعالبي
٢٠ – سلافة العصر لابن معصوم
٢١ – الاخبار الطوال للدينوري
٢٢ – الفخري لابن الطقطقي
٢٣ – تاريخ الخلفاء للسيوطي
٢٤ – تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي
٢٥ – تاريخ العرب لفيليب حتي
٢٦ – تاريخ ايران لشاهين مكاريوس
٢٧ – تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي
٢٨ – تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان
٢٩ – تاريخ آداب اللغة العربية » »
٣٠ – تاريخ العرب والتمدن الاسلامي لسيد امير علي
٣١ – تاريخ الدولة الفارسية في العراق علي طريف الاعظمي
٣٢ – تاريخ ملوك الحيرة » » »
٣٣ – تاريخ الجزيرة العربية – التحفة النبهانية للنبهاني
٣٤ – تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري
٣٥ – معجم الادباء للمرزباني

٣٦ الاطلس الجغرافي	زكي الرشيدي ومحمد نافع
٣٧ – صفة جزيرة العرب	للهمداني
٣٨ – مهد العرب	للدكتور عبد الوهاب عزام
٣٩ التاريخ القديم	لجميل نخله مدور
٤٠ – بلوغ الارب	للالوسي
٤١ – جزيرة العرب في القرن العشرين	لحافظ وهبه
٤٢ – قلب جزيرة العرب	لفؤاد حمزه
٤٣ – احسن القصص	لخالد الفرج
٤٤ – ايام العرب في الجاهلية	محمد احمد جاد المولى
٤٥ – دائرة معارف القرن العشرين	لفريد وجدي
٤٦ – جواهر الادب	احمد الهاشمي
٤٧ – طبقات فحول الشعراء	لابن قتيبة
٤٨ – حرب البترول في الشرق الاوسط	الدكتور راشد البراوي
٤٩ – رحلة	ناصر خسرو
٥٠ – ديوان الشريف الرضي	للشريف الرضي
٥١ – ديوان الفرزدق	للفرزدق
٥٢ – ديوان ابن المقرب	لابن المقرب
٥٣ – منجد العلوم	للأب فردينان توتل
٥٤ – تاريخ شركة الزيت العربيـــة الامريكية	
٥٥ – دليل الزيت للمملكة العربية السعودية	
٥٦ – تاريخ الخلفاء	لابن قتيبة
٥٧ – خطط الشام	محمد كرد علي
٥٨ – الاغاني	ابو الفرج الاصبهاني

٢ ــ المصادر الافرنجية

١ ــ تاريخ هيرودتس	ترجمة حبيب بطرس
٢ ــ مقدمة الحضارة الاولى	غوستاف لوبون
٣ ــ حضارة العرب	غوستاف لوبون
٤ ــ تاريخ العرب العام	ترجمة عادل زعيتر
٥ ــ حضارة اشور وبابل	غوستاف لوبون
٦ ــ تاريخ الشعوب الاسلامية	كارل بروكلمان
٧ ــ الخليج العربي	جان جاك بيربي
٨ ــ جزيرة العرب	» » »
٩ ــ تاريخ الخلفاء	ترجمة نخله شغوات
١٠ ــ قصة الحضارة	وول ديورانت

11 - *The Geography of Strapo. London. 1912*

12 - *Geography of Claudius Ptolemy New york 1932*

13 - *The Persian Gulf, Arnold. T. Wilson Second Impression. 1954*

الفهرست

الفصل الاول

القطيف

الفصل الثاني

مدنها القديمة والحديثة

الفصل الثالث

سكانها وحضارتها

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

تاريخها السياسي

الفصل الخامس

احوالها الاقتصادية

الفصل السادس

ثقافتها وآدابها